المحاضرة الأولى

اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات
في المملكة المغربية
دراسة تحليلية ونقد

الأستاذ الدكتور محمد طلال
مدير الدراسات أستاذ التعليم العالي
بالمعهد العالي للإعلام والاتصال
أستاذ التعليم العالي بكلية الحقوق
جامعة الحسن الثاني– الدار البيضاء

الثلاثاء 4 ربيع الأول 1424 هـ- 6 أيار 2003م

تقديم:

لعل أمر طرح وتحليل ومناقشة موضوع اللغة العربية في التلفاز والفضائيات ليس جديداً وسيبقى دائم الطرح، وفي طرحه جد وتحيين، ما دامت العلاقة الموجودة بين الإعلام واللغة، علاقة تبادلية طردية، فكلاهما لا يستكين لنظرة جامدة لا تتحرك. فاللغة بحكم ارتباطها بالمجتمع، معرضة للتطور والارتقاء، ما دام المجتمع ارتباطها بالمجتمع، هي معرضة للتطور والارتقاء، ما دام المجتمع يحتكم لآليات التطور والارتقاء، وبهذا المنظور يجتهد ويبدع الإنسان داخله على المستويين النظري والتطبيقي مجسداً ذلك في شتى علوم المعرفة ومترجماً معارفه هذه في اختراعات شكلت مؤشراً موضوعياً لتطور هذا المجتمع أو ذاك. وهي بالتالي تضبط دينامية التغيير أن نحو الإيجاب أو السلب.

واللغة بهذا المعنى تتأثر وتؤثر في المجتمع باعتبارها أحد العناوين الكبرى في سيرورة التغيير المجتمعي، بما يدل على أن اللغة في حيويتها تعكس بالضرورة حيوية الإنسان والمجتمع ونشاطهما، وفي استكانتها وضعفها تدل على استكانة وضعف المجتمع.

واللغة بما تحمله من رموز ودلالات، هي ناقلة لتراكمات معرفية تعبر عن مكانة المجتمع، بمعنى أن اللغة لا يمكن أن تعبر عن شيء لم تساهم فيه أطراف المجتمع الذي تنتمي إليه.

وفي سياق البحث عن العلاقة الحالية والمحتملة بين اللغة والإعلام دخلت عناصر متعددة، حتمت على الصحفي أن يتطور في استيعابه للغة، بما يتوافق والتقنيات المتطورة الحالية. إن التطور الذي نعنيه لا يتعلق بالقدرة على معرفة خبايا التكنولوجيا الاتصالية، وإنما يتعدى الأمر ذلك إلى معرفة البعد المعرفي والنظري الذي أعطى تطوراً مذهلاً. وهو ما نلاحظه في الدول التي أبدعت هذه

التكنولوجيا حيث أضحت اللغة متناغمة مع ما أفرزه الإبداع العلمي غير متناقضة معه ولا متخلفة عنه.

هذه النمطية في التجاوب والتناغم لا نجدها من سمات العلاقة بين اللغة العربية في استعمالاتها عبر التلفاز كان أرضياً أم فضائياً، قد يكون من أسباب هذه الظاهرة أن ما يروج من برامج وتحقيقات ومسلسلات وأفلام هو في غالبيته ليس إنتاجاً وطنياً، وهو خلل تعاني منه أكثرية الدول العربية، ذلك أن ما يبث شكلاً ومضموناً يعكس رسالة ومضموناً ترتبط باللغة التي صاغتها ولا ترتبط باللغة الوطنية التي تبث في مكانها وزمانها.

إننا في هذه المداخلة نسعى إلى فك إشكالية عامة تتضمن فرضيات رئيسية وهي:

ما طبيعية العلاقة بين اللغة العربية والإعلام، وكيف يتم استعمال هذه اللغة في التلفاز، وما واقع ذلك في فعاليات التلفاز المغربي.

القسم الأول: اللغة العربية واستعمالاتها في التلفاز والفضائيات:

- تبدو العلاقة بين اللغة العربية والإعلام علاقة متلازمة، فالإعلام دون لغة رصينة، مبسطة، لا يستقيم أمره. واللغة دون إعلام متطور، لا يمكنها أن تؤدي رسالتها في الانتشار وتعميم الذوق الراقي، والمساهمة في توفير شروط النهوض بالمجتمع، نحو الأفضل. وكما أن اللغة هي واحدة، من الأدوات الرئيسية، لتبليغ مكونات الحضارة، والاهتداء بسبل التقدم، وهي دعامة رئيسية للعملية التربوية والتعليمية، إن هي خضعت لقوالب مرنة في التعلم والتلقين نجد ذات الأمر بالنسبة للإعلام، باعتباره مجموعة من الآليات والقنوات الناقلة للمعرفة، وللرسائل الحضارية، شريطة أن يفهم دوره ووظائفه، وتستوعب مكوناته التقنية، فهو رسالة، ووسيلة. وكلاهما يعتمدان على اللغة، وهذه الأخيرة تعتمد عليهما. ويمكن للإعلام بثلاثيته البنائية ولتراتبية عمله، أن يرتقي باللغة، ويساهم في تطويرها، ويمكنه أيضاً أن يكون عنصر تأخر اللغة، في حالة غياب الشروط الكفيلة بفهم واستيعاب الإعلام في مكوناته وشروطه[1]، غير أن أمر هذه العلاقة ليس سهلاً يسيراً، فمن النادر أن نجد في مجتمع من المجتمعات وحدة لغوية

يسهل معها التعامل مع الإعلام، ويسهل على هذا الأخير التعامل مع اللغة، فغالبية المجتمعات، تتكون من أعراق، ومجموعات بشرية، قد لا تستعمل لغة واحدة، بل لغات متعددة. وهذه التعددية ليست عائقاً في حد ذاته للرسالة الإعلامية، ما دامت تعددية اللغة داخل المجتمع، تعكس مكوناتها عرقية مختلفة، مما يتطلب معها، تعاملاً إعلامياً، يرتكز على منهجية محددة، تراعي هذه الخاصية [٢] وتتجاوب مع مثل هذه الحالات ولا تناقضها. إلا أن الإشكال يبرز حينما تكون في مجتمع ما لغة واحدة تجسد تلاقياً حضارياً لهذا المجتمع أو ذاك، لكن هذا التلاقي حول اللغة، لا يستدل على ركيزة معرفية قوية للارتقاء باللغة إلى درجة التعامل مع المستحدثات التكنولوجية في مجال الإعلام.

فداخل المجتمع العربي مثلاً تطرح مسألة اللغة بإلحاح، والإلحاح هذا موجود بسبب عناصر ذاتية لم تساعد على أن تكون اللغة العربية، لغة قادرة على تبليغ رسالة إعلامية إلى الجمهور. فاللهجات المحلية داخل الدولة الواحدة، إضافة إلى انتشار العامية جعلت اللغة العربية، قادرة على أن تكون بديلاً مساعداً لصياغة وإرسال خطاب إعلامي له مضمون ووظيفة محددان. إن هذا الواقع ليس أمراً جديداً بحكم العناصر الدخيلة في المجتمع العربي، وهو يستند إلى خلفية تاريخية اعتبرها بعض الباحثين المهتمين" هي المؤثرة على اللسان العربي، وكانت سبباً في بلبلته، واستوعب لهجات مختلفة عرفت كل واحدة منها بأنها لغة[٣] مما اعتبر الإعلام في علاقته باللغة، أضيق تعبيراً للدلالة من اللغة، وهو الأمر الذي يتطلب التنقيب والبحث في علاقة الإعلام باللغة رسالة ووسيلة[٤] ؟ بمعنى أن الأبرز في إشكالية العلاقة التي نتكلم عنها بين اللغة والإعلام الجماهيري لا تقع على جانب الطرف الأول، بل ينحصر في الجانب الثاني أي الإعلام، ومن ثم يسهل حصر مسؤولية قصور الفهم المتبادل أساساً، للغة العربية المرتبطة بها ذلك أن المسألة لا تتعلق بتطور اللغة، وبإمكانية تطويعها لتبقى سلسلة سهلة، قادرة على أن تكون ناقلة للمعرفة حقاً. وإنما تعود المسألة أصلاً إلى مدى قدرة اللغة العربية على نقل المعارف، وتعميمها بما تحمله هذه المعارف من علوم متقدمة، وتكنولوجيا متطورة، ذلك أن العلماء العرب "لا يمكنهم من تطوير لغتهم ما لم يشاركوا بأنفسهم في تطوير المعارف الإنسانية". [٥] وبهذا نكون أمام صورة بناء جدلي للعلاقة بين اللغة والإعلام، أو بين الإعلام واللغة، وجدلية العلاقة تفرز دوراً خطيراً متميزاً للغة في تطوير الفكر، وليست مجرد مرآة تعكس الفكر فحسب. وهي ظاهرة اجتماعية كما

ذهب عدد من الباحثين، من هنا فإن هذه العلاقة تحتم علينا أن ننظر للغة لا باعتبارها مجموعة من الآليات التقنية المرتبطة بالمسلك النحوي وقواعده، بل ننظر إليها كسلوك فردي واجتماعي يمكن وسائل الإعلام من الاستفادة من اللغة الفصحى المشتركة[٦] .

المبحث الأول: اللغة العربية واستعمالاتها في الإعلام:

الكلام عن اللغة العربية واستعمالاتها في الإعلام، يطرح تساؤلاً منهجياً وهو أي لغة نعني؟ هل اللغة العربية في إطارها البنائي الفصيح هي المقصودة، وهل هي قادرة على التعبير عن مضمون الرسالة التي نريد إبلاغها مهما كان هذا المضمون، وهل اللغة العربية الفصحى في وضعها الحالي، يمكن أن تشكل تعبيراً وحدوياً عن باقي شرائح المجتمعات العربية.

وأمام المؤشر السيسولوجي "العمراني"، كما يذهب العلامة ابن خلدون، الذي يؤكد أن ثمة رديفاً للغة العربية، وهو اللهجات العربية منها وغير العربية، ففي العالم العربي ليس تعدد اللهجات، بتعدد دوله، ولكن داخل الدولة الواحدة لهجات تعكس طبيعة الوحدة الجغرافية التي تنتمي إليها، وثمة لهجات تنحدر من نسب غير عربي تعكسه الأقليات [٧]، داخل هذا البلد أو ذاك، من هنا تطرح على الباحث اعتبارات منهجية جوهرية تفرض إعادة صياغة التساؤل عن طبيعة العلاقة بين اللغة العربية والإعلام، وعن مدى قدرتها على نقل رسالة إعلامية محددة، وبوسيلة إعلامية محددة أيضاً، ثم هل اللغة العربية يمكن أن تكون لغة إعلامية مؤثرة في الفرد ليرتقي بلهجته إلى مستوى اللغة، وأن يتم تهذيب الذوق وإزالة الشوائب الزائدة في اللسان العربي. وخارج هذا الاعتبار، فإن الأعلام إذا ما احترم القواعد البنائية للغة العربية، يمكنه أن يساهم في نقل ثروة لغوية غنية إلى الجمهور للرفع من مستواه الإدراكي والمعرفي والثقافي[٨].

إننا حينما نتكلم عن الفوائد المتبادلة بين اللغة العربية في استعمالاتها في الإعلام، أو استعمالات الإعلام لها، يفرض علينا المقام أن نؤكد على أن ما يعرفه الإعلام من تطور تكنولوجي، وبالأخص على مستوى البث الفضائي، الذي زاد من دقته وساعد على انتشار وتعميم الرسالة الإعلامية وفرض صياغة ما

يمكن أن نسميه: بمنهجية التوازن بين القدرات الأدائية لوسائل الإعلام البصري خاصة، وبين قدرات اللغة على التعامل مع هذا المعطى" ولقد أدى هذا الأمر إلى إبراز لغة وسطى انطلقت من أرضية توافقية، اعتمدت تهذيب اللهجات ورفعها إلى مستوى اللغة. إن اللغة الوسطى هذه، اعتبرت بمثابة "لغة مشتركة" بإمكانها أن تكون"لغة الإعلام"[٩].

إن البحث في قدرات اللغة العربية على التعامل مع تكنولوجيا الاتصال التلفزي، جعل المهتمين من الباحثين والمنظرين في مجال الإعلام والاتصال يطرحون مقاربات منهجية تتعلق باللغة، وماهيتها باعتبارها واحدة من أدوات الاتصال التلفزي، وهل يمكنها أن تتبني علاقة مع التلفاز في شكل صيغة محددة، يمكن أن يتلقاه عامة الناس، ويفهمون ما تصله من مضامين، أم أن اللغة تعني شيئاً آخر، قد يرتبط بالقواعد اللغوية، التي تحدد شكل نظامها، ونوعية توجهها. ومسار صرفها، على اعتبار أن الصرف في نظر اللغويين"أم العلوم والنحو أبوها".

من هنا يمكن تلمس طبيعة الصلة الموجودة بين الإعلام وقدرته على توظيف اللغة، بما تحمله من قواعد وقوانين يتحتم احترامها إذا أريد استعمال اللغة العربية.

ذلك أن "اللغة ما هي إلا تعبير عن الفكر، وكل فكر لا بد من أن يعبر عنه، وعلى ذلك اعتبرت اللغة ظاهرة اجتماعية من الطراز الأول[١٠]. ولفهم قدرات اللغة على أن تكون عنصراً رئيسياً في نقل الرسالة الإعلامية عبر التلفاز، رفع بعض الباحثين آليات فهم هذه العلاقة، إلى مصاف العلوم، معتبرين أن العلاقة بين اللغة والإعلام ينبغي أن تقوم على أساس بناء علمي هو: "علم الإعلام اللغوي"، الذي أعطوا شرحاً له كما حددوا وظائفه وهو في نظرهم العلم الذي يدرس اللغة في ضوء فكرة الاتصال، ويدرس الظواهر الاتصالية الإعلامية، ويحدد مكانة اللغة فيها" [١١]، واضعاً نوعية سماتها المؤثرة في تحقيق الأغراض الآنية أو البعيدة، كما يدرس الأسس المؤثرة في تحقيق الأهداف المحددة.

ولقد سبق للعلامة ابن خلدون أن حدد في هذا السياق أركان اللسان العربي وجعلها أربعة وهي: اللغة والنحو، والبيان والأدب[١٢]، وقد رافق هذا التحديد شرط أساسي وهو ضرورة دلالات هذا التحديد– إذا أريد معرفة أغوار اللغة العربية [١٣]،

وما يربطه بمعرفة أسس النحو، فبدونه لا يمكن تبيان ومعرفة أصول المقاصد بالدلالة[١٤]، من هنا هل النحو أهم من اللغة ككائن مجرد أم أن اللغة أهم من النحو-.

هذا الطرح التضادي حسم فيه ابن خلدون، بتأكيده أن الجهل بالنحو يؤدي على انهيار البناء اللغوي جملة وتفصيلاً.[١٥]

إن الاتجاه الذي اعتمده ابن خلدون، والمتمثل في اعتبار النحو عنصراً أساسياً في البناء اللغوي يرتبط موضوعياً بوضعنا المعاصر أو الراهن من خلال ما يصطلح عليه "بالتحرير الإعلامي" الذي يحتاج إلى جودة التأليف وحسن النظم"[١٦].

المبحث الثاني: اللغة العربية وتقنيات الإعلام التلفزي:

حينما نتكلم عن إمكانية استعمال اللغة العربية، في المجال السمعي البصري، وبالأخص التلفاز، نطرح تساؤلاً منهجياً يتعلق بمدى إمكانية اللغة العربية على استيعاب التقنيات الحديثة للإعلام، وهل بإمكانها أن تستجيب لمتطلبات المستحدثات الاتصالية في مجال التلفاز؟ وهذا الأمر يرتبط موضوعياً بما اصطلح عليه "بالتحرير الإعلام" الذي يحتاج إلى صياغة تمتاز بالجودة في التأليف، وإلى قدرة كبيرة ودراية علمية في موضوع من الموضوعات، التي تتطلب البحث في التراكمات المعرفية على مستوى التراث العربي، الذي يزخر بأمثلة متعددة في هذا الصدد، من ذلك أن المبدعين القدامى كانوا يشترطون في الكتابة السليمة القابلة للنفاذ والاستيعاب، توافر ثلاثة عناصر متصلة ببعضها وهي:

- يتعلق الشرط الأول بدقة اختيار الألفاظ.
- ويهتم الشرط الثاني نظم الكلام.

– أما الثالث، فيخص مراعاة الغرض المطلوب من الكلام، وقد اشترط وجوباً الإشارة إليه، مما يتطابق ومضمون الكلام بمقتضى الحال[١٧].

وفي الفهم المعاصر فإن الشروط الأساسية "للتحرير الإعلامي" تختصر في أن الإعلامي عليه أن يختار الألفاظ المناسبة ويربط فيما بينها ليكون التأليف مناسباً، ومطابقاً، مع مقتضيات قواعد اللغة في صياغة تشكل كلاً متكاملاً منسق الأجزاء مترابط الوحدات الداخلية، خالياً من الشذوذ والنشاز، على أن هذه الصياغة – السليمة لغوياً– المراعية لقواعد اللغة العربية، لا يمكن أن تكون كذلك إلا بالتشبث بقواعد النحو، حافظة على ترتيب الكلمات. واعتماداً على ذلك، فإن السياق العام "للتحرير الإعلامي" لا بد أن يعنى بدراسة وتأليف الكلام، تأليفاً دقيقاً، مرن الصياغة، سهل الاستيعاب بخصوص الرسالة الإعلامية[١٨].

وبالتأكيد، فإن ما نقصده "بلغة الصحف"، هو الذي قصده غيرنا مشيرين إلى تأثير الدارج من لغة بعض الصحف، وسموه "بلغة الجرائد" حيث كان الغرض منه إدخال تصويبات لغوية تهم الدارج من كلمات تذاع عبر التلفاز[١٩].

غير أن الاستعمال والتداول اللغوي، في وسائل الإعلام السمعية البصرية، وبالأخص التلفاز، سجل خروجاً عن المألوف اللغوي، الذي تفرضه قواعد اللغة العربية تحديداً. وهو ما أدى إلى حالة من التساهل في استعمال اللغة العربية الفصحى، ما نتج عنه "اللغة الوسطى" أو اللغة الثالثة.

ونجد في الأدبيات الصادرة خلال العقد الأخير، نماذج متميزة، مما ساهمت به وسائل الإعلام، في تركيب وإعادة تركيب اللغة عن طريق نشر مصطلحات جديدة وتداولها، بعد إخضاعها إلى ما اعتبر عادياً ومألوفاً من قواعد اللغة العربية، وتتعدد الأمثلة على ذلك كاستعمال:

– اسمين للدلالة على الظرفية والمكانية.

– اسم يليه اسم تلحق به ياء النسب مثل نحو: افروا أسيوي.

– علم يليه علم بينهما شرطة فاصلة مثل قمة بوش–بلير.

– ظرف يدل على المكان والزمان، يليه اسم تلحق به ياء النسب مثل "الأشعة فوق البنفسجية"[٢٠].

ولقد آثار هذا المنحى اللغوي الجديد، والمرتبط بوسائل الإعلام، جدلاً واسعاً حول مدى قدرة هذا الاتجاه على صياغة اللغة العربية، صياغة جديدة وحول مدى قدرته على أن يؤثر في المتلقي، فهناك من اعتبر "اللغة الثالثة أو "الوسطى" أو التعبير الإعلامي: خروجاً على ما ألفه العرب من قواعد، وتراكيب مؤكدين أن وسائل الإعلام بهذا السلوك تقوم بهدم ما تقوم ببنائه المدرسة في محاولة حثيثة لتعليم اللغة العربية وتحبيبها للنشء.

المبحث الثالث: الخلفية التاريخية لاستعمال اللغة العربية في التلفاز:

علاقة الاتصال باللغة ليست جديدة، فمنذ ميلاد الإنسانية كانت العلاقة فيما بين البشر علاقة تواصيلة، وكلما تطورت أنماط العيش والحياة في المجتمعات، تتطور معها أساليب الاتصال وأشكاله، فإذا تمعنا في تاريخ الكلمة المطبوعة، وجدنا أن تطورها، لم يقتصر على الاستعمال التقني للحرف فقط بل تعدى ذلك إلى إقرار كامل للارتباط الوثيق بطباعة الورق، واختراع الحبر اللذين ساهما بدورهما في تحسين الطباعة، والزيادة في جودتها، وتبقى عوامل ساهمت كذلك في تطوير فن الإخراج الصحفي.

ولعل المسار الذي عرفه الإعلام السمعي البصري، بدأ بظهور واختراع الراديو، مروراً بما تركه التلفاز من انبهار لدى الجمهور، وانتهاء بما وصل إليه إبداع الإنسانية من اختراعات بالغة الدقة في هذا المجال.

والإعلام العربي الذي شق طريقه في فترة وجيزة بالنسبة لبلدان أخرى متقدمة، عرف بدورها تحولات رغم ما سادها من ركود نتيجة التدخل الاستعماري، في البلدان العربية، وما تلا ذلك من تبعات، تجلت في ترسانة من القوانين المقننة للممارسة الإعلامية، وفي تعليم متخلف، ووضع ثقافي ضعيف، وكانت اللغة دوماً الأداة الرئيسية التي تسهل عملية الاتصال عبر هذه القناة أو تلك. وكلما تطورت وسائل الإعلام شكلاً ومضموناً، كان على اللغة أن تستوعب هذا التطور

وتهضمه. لتكون قادرة على التعامل مع الوسيلة المتطورة، وتؤثر فيها، لكن الذي حدث هو أن اللغة العربية أصابها ضرر كبير من هذا التعامل ولم يكن السبب في ذلك الوسيلة الإعلامية "التلفاز" ولكن السبب كان في اللغة ذاتها التي لم يتمكن أصحابها من تطويرها في اتجاهين:

أولهما: يهم مستقبل الرسالة، الذي عليه أن يكون قادراً فكرياً وإدراكياً لاستيعاب اللغة المنقولة عبر التلفاز.

وثانيهما: يتجلى في الوسيلة ذاتها، وهي التلفاز– الذي من المفترض أن يتعامل مع المسألة اللغوية، لملاءمتها مع الواقع التعليمي للجمهور المستهدف. وأن عليها أن تكون قادرة على إخراج هذا الجمهور من أميته التي تحول دون فهم مدركات اللغة ومراميها، وبالأخص المبثوثة عبر التلفاز.

ومن المؤكد أن التخلف التعليمي، جعل اللغة العربية غريبة في محيطها، وغريبة لدى أبنائها، مما دفع المعنيين بأمر التلفاز في البحث عن صيغة لغوية، تنزل بالرسالة إلى مستوى أمية الجمهور دون أن تعمل على تطويره وترقيته إلى مصاف المتعلمين القادرين على فك رموز اللغة العربية، إن هذه الصيغة اعتبرت جزءاً من حل سهل يركز على التعامل مع العامية الدارجة، وفي هذا تكريس لواقع الأمية، وتهميش للغة العربية الفصحى[٢١].

وفي بعض الدول العربية كدول المغرب العربي، نجد أن استعمالات التلفاز للغة، تتجسد في ازدواجية لغوية تكرس الإشكال ولا تساهم في الحل. من خلال التعامل مع اللغة دون احترام قواعدها، وبالتالي يشكل هذا السلوك اعتداءً صريحاً على اللغة العربية، وضرباً لهيبتها، وتكريساً صارخاً للأمية في هذه البلدان التي ما زالت الأمية فيها تفوق في المتوسط 50% كما أن من نتائج هذا المسلك تعميم "الضبابية" بخصوص المسألة اللغوية وعلاقتها بالتلفاز".

فالضبابية لا تعنى اللغة واستعمالاتها فقط، بل تهم قدرات الممارس الإعلامي في التعبير بوضوح وبلغة سليمة، ويرى بعض الباحثين أن الوضوح "لا يعني

ابتذال الخطاب، أو تبني العامية الدارجة، بل يكمن في يسر الصياغة وسهولة الفهم".

ويمكن أن نعيد وجود هذه الضبابية لعاملين اثنين:

أولهما: عجز "الإعلامي" الذي يشتغل في التلفاز عن صياغة مادة خبرية أو تقريرية، تعتمد تقريب صورة ما يريد تقريبه بشكل دقيق ومتكامل، ولذلك يلجأ إلى واحدة من الصيغ الثلاث.

- أنه يدرج كلمات لا تقول ما تعنيه.
- أو يعتمد كلمات لا تقول شيئاً.
- أو يتبنى كلمات تقال للعرض فقط.

ثانيهما: أن هذا العجز يشكل سبباً رئيسياً في الضبابية التي أشرنا إليها، ويتجلى في التكوين اللغوي للصحفي إضافة إلى فراغ أو شبه فراغ في الكم المعرفي السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وثمة عديد من الاقتراحات للخروج من الضبابية المشار إليها من أبرزها إيجاد صيغة "معيار رياضي" قصد قياس ما يعرف بـ الانقرائية" أو المقروئية، ولقد خلصت عديد من الدراسات الاتصالية والإعلامية وهي تبحث في هذه الإشكالية، إلى أن المشاهد العربي للتلفاز لا يتجاوز لدى مشاهدته ثلاثة فقرات أهمها الفقرة "الإخبارية" وللمحافظة ولو على هذه النسبة الضئيلة أوصت هذه الدراسات بضرورة زرع رغبة المشاهدة لدى الجمهور، من خلال بذل مجهود متميز في صيغة البرامج كانت إخبارية أم ثقافية أم سينمائية[٢٢].

فالكتابة للتلفاز اعتماداً على الصورة كاختيار مهني يتم بنوع من اليسر والسهولة، يبدو أنه أصعب من تلك التي تجنح إلى التعقيد، وسنكون بعيدين عن الصواب إن نحن اعتقدنا أن الفئة المتعلمة من الجمهور، بإمكانها فهم الصيغ المعقدة.

ولا نعتقد أن ثمة عناصر محددة، في حالة توفرها، تسهل عملية الكتابة بالوضوح المطلوب، وهي تخص هذه اللغة دون غيرها. وفي البحوث المختصة، والتي تهتم بهذا المجال، نجد ما يدلنا على العناصر المطلوبة، التي في حالة توفرها يمكن الوصول إلى صيغة كتابة تلفزية، سهلة، قابلة لإثارة انتباه المشاهد إليها[٢٣].

المبحث الرابع: القواعد التقنية والقواعد اللغوية:

للغة العربية قواعد نحوية وأخرى صرفية، في حالة استيعابها واحترامها، يمتلك الشخص ناصية هذه اللغة، ويمكنه أن يعبر عن ما يشاء بلغة سليمة مؤثرة، وأيضاً للعمل التلفزي تقنياته، التي تفرضها الخاصية التقنية لهذه الوسيلة المؤثرة. ولقد سلك عدد من الباحثين منهجاً يتعلق بخلق توافق بين شروط العمل التلفزي، وبين قواعد اللغة، بالقدر الذي أعطى صياغة جديدة، لم تكن في غالب الأحيان، مقبولة لدى جميع الأطراف. إذ اعتبر بعض اللغويين، أن تكييف اللغة مع الشرط التقني ومتطلباته أدى إلى عدم احترام القواعد النحوية، التي تعتبر شرطاً أساسياً لبناء لغة سليمة، وبالتالي افرز لغة جديدة بعيدة عن أن تكون عربية بقواعدها وقوانينها. بمعنى أن العمل الإعلامي التلفزي استعار لغة أفرغت اللغة العربية من إطارها الجمالي السليم. في المقابل يعتقد التقنيون المختصون في مجال الإعلام التلفزي أن متطلبات التطور التكنولوجي التلفزي، أضحت تتطلب الخروج عن طابع اللغة العربية القرائية ليتم وضع أسس لغة تواكب التطور المجتمعي، والتقني التواصلي، ودعوا إلى ضرورة التخلي التدريجي عن اللغة الفصحى، نظراً لما تطرحه من تشدد في احترام قوانينها وقواعدها، وبناء لغة إعلامية بديلة، فاعلة، مؤثرة، تتسم "بالبساطة والحميمية"[٢٤].

من هنا نلاحظ أن المتطلبات التقنية للعمل الإعلامي التلفزي أثرت وبشكل مباشر على البناء اللغوي بنحوه، وصرفه. ويمكننا ملاحظة أن المشتغلين في إعداد برامج تلفزية، صاغوا لأنفسهم لغة خاصة بهم تقترب أو تبتعد عن فصحى اللغة العربية. وهو ما أدى إلى إقامة ما سماه البعض "لغة الإعلام" وهي لغة

تأخذ لبوساً حسب نوعية العمل الإعلامي إن كان صحافة مكتوبة أو صحافة تلفزية[٢٥].

وإذا كان تقنيوا التلفاز والمختصون قد اشترطوا، لإيجاد برامج تلفزية ناجحة، ضرورة الارتباط بالعامية أو الدارج في الفصحى فإن المدافعين عن حماية رصانة اللغة العربية، اعتبروا ذلك تساهلاً في استعمال الفصحى، وعنصر زعزعتها وطرحوا بديلاً عن ذلك تمثل في "العربية الوسطى" تجاوباً مع متطلبات الشروط التقنية للعمل التلفزي.

ولعل من بين معالم هذا التساهل اللغوي مخالفة الطابع الفصيح، الذي يوسم اللغة بالقدم، من ذلك تغليب الجملة الاسمية على الجملة الفعلية في الاستعمال الإعلامي التلفزي. بخلاف ما هو دارج في اللغتين الإنجليزية والفرنسية. المعروف عنهما اعتمادهما الجملة الاسمية. وتندرج الملاحظة الأخرى في التساهل اللغوي، مثل إضافة المضافين، ومعلوم أنه في القاعدة العربية لا يفصل بتاتاً بين المضاف والمضاف إليه[٢٦].

وفي هذا الاتجاه يرى بعض الباحثين اللغويين أن السلوك الإجرائي الذي يتم تحت طائلة المتطلبات التقنية للعمل الإعلامي التلفزي، لا مبرر له. باعتبار أن تقديم الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، يمكنه أن يشد انتباه المشاهد، ويعتبر أسلوباً قادراً على ترسيخ مضمون الخبر، وتمكينه من النفاذ بيسر وسرعة إلى الجمهور، وفي رأي هؤلاء، فإن هذا المنحى التفسيري الذي يطغى عليه المتطلب التقني، لا يستند إلى منطق لغوي مقبول.

وثالث هذه الملاحظات تعدية الأفعال، ومن الثابت المتداول أن من الأفعال ما يعدى، تعدية مباشرة إلى المفعول. رغم أنه يتعدى في استعمال اللغة الفصيح بحرف الجر.

وقد نتج عن المنحى التقني إزاء اللغة العربية الفصحى انتشار عدد من الحالات الشاذة في الاستعمال اللغوي، الذي أعاده مختصون إعلاميون ولغويون إلى ضعف تدريس اللغة على المستويين المادي والمنهجي، خلال جميع مراحل

التعليم، وهو ما جعل "لغة الإعلام" تطفو على سطح الممارسة الإعلامية، وبالأخص التلفزية منها. وجاءت هذه اللغة، نتيجة البحث عن ظروف مقبولة لاستعمال لغة عربية سليمة. ولكن الذين يمزجون بين اللغة الفصحى، واللغة الوسطى، أو اللغة الثالثة، يعتقدون أن ما تطرحه القاعدة النحوية والصرفية يشكل صعوبة في الاستيعاب وهو الذي أدى إلى اللجوء إلى لغة لا تخضع لقواعد وقوانين الكتابة والنطق. وهنا يمكن أن نطرح التساؤل التالي: هل اللغة العربية صعبة؟[٢٧] .

إن عدداً من النقاد يعتقدون أن ثمة فرقاً جوهرياً بين اللغة الصعبة التي قد لا تكون بالضرورة هي اللغة العربية، ومن سمات هذا الفرق، أن الصعوبة لا تكمن في لغة ذات قواعد مضبوطة، وقوانين معروفة وإنما توجد فيما يمكن أن نسميه باللغة التي لا قواعد لها كالعامية، ومن أوجه هذه الصعوبة التي تكرسها العامية، تسببها في انفصام لغوي فيما بين الرمز اللغوي وبالتحديد بين المرسل بواقعه، وأهدافه التي يريد تجسيدها والمتلقي وهو الأمر الذي يحدث تماماً في حالة تدخل دولة أجنبية[٢٨] .

وفي اعتقادنا فإن الصعوبة ليست في اللغة، من حيث بناؤها التراتيبي اللغوي، ولكنها تكمن في ارتباطها بحالة مجتمع متخلف وهو الذي يؤثر ويتأثر في اللغة المستعملة في الإعلام، باعتباره نسيج بنية فوقية، على علاقة بمكونات التخلف، مما يتراءى للذين يرتبطون باللغة أو ترتبط بهم عناصر صعوبتها لا عناصر سهولتها ويسرها[٢٩].

وقد لاحظنا كما لاحظ غيرنا من الباحثين والمهتمين الإعلاميين واللغويين أن عدداً من الكتابات المتمثلة في نصوص إعلامية على شاكلة برامج إخبارية أو ثقافية، لا تمت تماماً إلى التجميل والتصنيع بصلة، وإنما ترتبط بصيغ التحدق والتكلف[٣٠].

القسم الثاني: واقع استعمال اللغة العربية في التلفاز المغربي:

استعمال اللغة العربية في التلفاز والفضائيات المغربية قد لا يشكل وضعاً استثنائياً أو خاصاً بالنسبة لما هو موجود في البلاد العربية الأخرى، بالنظر لنفس المشكلات التي تعترض دعم اللغة العربية في باقي الأقطار العربية إننا حينما نقوم بحصر معالجتنا في اللغة العربية. فإننا منهجياً أعفينا أنفسنا من التطرق لإشكالية تعامل جهاز التلفاز مع اللهجات المعبرة عن الأقليات أو المعبرة عن العناصر المكونة لعينات المجتمع المغربي.

واللهجات اصطلاحاً ليست هي العامية مما يجعلنا نقرر أن التجربة المغربية تختلف عن غيرها في باقي البلاد العربية، من حيث أنها توظف اللغة العربية الفصحى في الإعلام التلفزي دون اعتبار العامية الدارجة عنصراً لغوياً ينبغي الالتفات إليه، لكن بالرغم من ذلك فإن هذه العامية تحتل مكان الصدارة بالنسبة للإنتاج الدرامي سينمائياً كان أم تلفزياً، وكذلك الشأن بالنسبة لنشاطات الإعلان أو ما يسمى في المغرب "الإشهار"[٣١].

إننا لسنا أمام انتشار اللغة العربية على حساب باقي الأشكال اللغوية الأخرى، ولكن تحتل العربية موقعاً إعلامياً يحتكم إلى المقاييس الحرفية في التعامل معها.

إن الحرفية التي ينبغي أن يتسلح بها الإعلامي في التلفاز لا بد أن تكون مرتبطة بالقوالب القاعدية والقانونية للغة العربية الفصحى. فنظرتنا النقدية إذن ستتجه إلى صيغ اللغة الفصحى في نشرات الأخبار، وفي البرامج الوثائقية، والبرامج السياسية، التحليلية منها والحوارية، ثم البرامج الثقافية[٣٢].

لكن هذا لا يعني عدم الالتفات إلى الصيغة الحرفية التي تعاملت مع العامية في الأفلام الدرامية والمسرحيات ليأتي عنصر أكثر أهمية، ويتمثل في الإشهار.

ويلعب الإعلان "الإشهار" أدواراً خطيرة وفاعلة في نقل مضمونه المراد منه الترويج التجاري وفي بعض الحالات الترويج السياسي. ذلك أنه ينقل عبر عامية لا تساعد على الارتقاء بالمدارك الخاصة والذوق العام، بل إنها تكرس صيغاً لغوية بعيدة كل البعد عن اللغة العربية. كما تشكل عنصر تشويش على البناء

التركيبي للغة العربية الفصحى، مما تحمله العامية من تعبيرات هابطة وتركيب لعدد من الكلمات جزء كبير منها ليس عربياً[٣٣] .

المبحث الأول: استعمال اللغة العربية في البرامج الإخبارية في التلفاز المغربي:

- مبدئياً تتحكم في عملية صياغة الأخبار من حيث نوعها وتدرج أهميتها مجموعة من الشروط أهمها:
- أن تصاغ بلغة سليمة.
- أن يتم تكييف اللغة مع تقنيات صياغة الخبر.
- استعمال الجمل القصيرة، بدلاً من الجمل الطويلة.
- استعمال الفقرات القصيرة بدلاً من الفقرات الطويلة.

تبعاً لهذا فإن تقنية صياغة الخبر المشار إليها، لا تعني الخروج عن ضوابط اللغة العربية، الأمر الذي يفرض إضافة عنصرين آخرين وهما:

- توظيف الألفاظ المعروفة لدى المشاهد، والابتعاد عن الألفاظ البعيدة عن الدونية.
- الاجتهاد في تبيان الألفاظ، والكلمات، والتراكيب المعروفة، لدى المشاهد.

هذه الشروط والعناصر بقدر ما تخضع لقواعد اللغة العربية بقدر ما يجب أن تستجيب للمتطلبات التقنية لصياغة الخبر، ومن أهم هذه المتطلبات، ضرورة الإجابة عن الأسئلة الستة[٣٤] .

أين، متى، كيف، ماذا، لماذا، من، ويتبع هذه الأسئلة اعتماد القاعدة التقليدية في صياغة الخبر والمتمثلة في "الهرم المقلوب".

فهل التلفاز المغربي أرضياً وفضائياً، في الجانب الإخباري اعتمد هذه الشروط، وبالأخص ما يهم المستوى اللغوي.

بداية لا بد من إشارة منهجية تتعلق بالإجابة عن من هو الشخص القادر على القيام بهذه المهمة أو المهام، هل أن أي فرد يجيد التعامل مع اللغة العربية، دون أن يكون متمكناً من تقنيات صياغة الخبر، بإمكانه القيام بها أم أنه يمسك بالقواعد التقنية ولكنه لا قدرة له على استيعاب اللغة صياغة وقواعد قادر على صياغة النص الخبري.

لقد أضحى من الثابت أن المشتغل بمجال الإعلام يشترط فيه أن يكون له تكوين علمي وميداني وأن هذا التكوين إما أنه تلقاه على أسس تعليمية أكاديمية جامعية، أو أنه تلقى تكويناً خاصاً في الإعلام بعد دراسته الجامعية[٣٥].

ولتقريب الصورة عن التلفاز المغربي بنوعيه الأرضي والفضائي، وعبر القناتين الرئيسية الأولى والثانية، فإن المشتغلين فيهما ممن يمارسون مهن الصحافة والإعلام يشكلون نسبة تفوق 70% تلقت تكويناً في المعهد العالي للإعلام والاتصال بالرباط وأن الذين تلقوا مثل هذا التكوين في مؤسسات للتكوين الإعلامي خارج المغرب لا يتعدى عددهم 5% وتستوعب القناة الأولى فقط نسبة 78% من الصحفيين تكوينهم الأساسي إعلام من خريجي المعهد المشار إليه وفي القناة الثانية فإن النسبة تفوق 80%[٣٦].

مع الإشارة أن مجال نشاط هؤلاء الصحفيين والصحفيات يقتصر أساساً على تقديم نشرات الأخبار الرئيسية، ومنهم من هو مختص في الأخبار والبرامج الرياضية، ليبقى إنتاج البرامج الترفيهية والمسلسلات الدرامية والبرامج الثقافية يتم في غالبيتها من خارج الأجهزة التلفزية وعبر شركات أجنبية مختصة بهذا النوع من البرامج.

وتستعمل في نشرات الأخبار والبرامج الثقافية والسياسية اللغة العربية، وبصفة جانبية اللغتين الفرنسية والإسبانية وتوجد القناة الثانية في وضعية خاصة من الناحية اللغوية حيث تعتمد ازدواجية اللغة. إذ أن عدد النشرات الخبرية التي تقدم باللغة العربية هو ذاته الذي يقدم باللغة الفرنسية. وهذا خلاف لما هو موجود في القناة التلفزية الأولى التي تعتمد اللغة العربية الفصحى في النشرات الإخبارية الرئيسية، وتأخذ باللغتين الفرنسية والأسبانية في نشرات الأخبار الثانوية، وتسري

هذه الوضعية على اللهجات إذ تقدم ثلاث ملخصات أخبارية بثلاث لهجات محلية تعبر عن ثلاث مناطق بربرية[٣٧].

واستعمال اللغة العربية من طرف الصحفيين تتحكم فيه الخلفية التعليمية للصحفي في أساسه التعليمي، ولما كان تلقين اللغة العربية في التعليم الثانوي يعرف بعض الهشاشة والضعف، فإن الصحفي رغم التكوين العالي الذي تلقاه في ما بعد البكالوريا يبقى تمكنه من اللغة العربية يتسم بالضعف، هذا مع الإشارة أن التكوين بالمعهد العالي للإعلام والاتصال يعتمد تدريس اللغة العربية خلال السنوات الأربع مدة الدراسة، كلغة رئيسية ومادة أساسية[٣٨].

ونتيجة لهذه الخلفية، ولانعدام تصور تكويني يرتكز على إعادة التكوين في اللغة العربية والتمكن من تقنيات استعمالاتها في الإعلام التلفزي، فإننا نجد الأداء اللغوي الإعلامي، أداء أن كلياً أو جزئياً يحترم قواعد اللغة العربية الصرفية والنحوية منها.

من هنا ومن خلال متابعة يومية حصرناها في أسبوع كامل لطريقة أداء نشرات الأخبار بالتلفزة المغربية اتضح لنا وفي خلاصة لنتائج المتابعة حقيقة ما سماه البعض شيوع "لغة الإعلام" التي تكرس وبشكل واضح عناصر لغوية "تخالف المنوال الفصيح" وإن استعمال هذه اللغة "يغلب عليه طابع التركيب الصياغي المستعجل الناتج عن الترجمة الحرفية.

ويتمثل هذا المنحى في النسخ والنقل الحرفي لقوالب وأساليب في التعبير غير عربية. ذات طابع أجنبي يرتكز في خلفيته على مصادر فرنسية وإنجليزية واعتمد هذا السلوك في التعامل مع الخبر على التركيب والترتيب الخارج على نظام اللغة العربية[٣٩].

ولقد سبق أن أشرنا في مبحث سابق أن من خاصية " لغة الإعلام" تغليب الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، وهو ما لمسناه بالنسبة لمكونات نشرات الأخبار في التلفاز المغربي، حيث يعتقد أن تغليب الجملة الاسمية أقدر لإثارة انتباه المشاهد واقدر على ترسيخ مضمون الخبر من الجملة الفعلية، وإذا كان هذا

المسلك مقبولاً تقنياً، فإنه من الناحية اللغوية غير مقبول، لكون الجملة الفعلية لها دورها الذي لا يمكن للجملة الاسمية أن تقوم به أو أن تقوم مقامها في السياق العام للأخبار. إن الخبر التالي يقول " الحرب بين أمريكا العراق قامت على أشدها: ليس فيه ما يبرر تفضيل الجملة الاسمية على الفعلية، لكون محتوى الخبر الذي يراد تعميمه هو قيام الحرب على أشدها [٤٠] وليس الحرب ذاتها، ولذلك كان يجب استعمال الجملة الفعلية بأن يقال "قامت لحرب على أشدها بين أمريكا والعراق".

وعلى مستوى أداء الصحفيين والصحفيات، فإننا سنحتكم للقاعدة التي تقول إن الأداء السليم يتمثل في استقامة العبارة تركيباً ونطقاً، فمن ناحية التركيب، ثمة أمثلة كثيرة تبين وقوع الصحفيين والصحفيات في التلفاز المغربي في أخطاء لغوية، تبعدهم عن النظام العربي لبناء الجملة من ذلك المثال الآتي:

يقول المذيع في التلفاز المغربي في إحدى نشرات الأخبار الخبر الآتي:" جوبهت القوات الصهيونية من قبل أطفال الحجارة" وهي عبارة غير مستقيمة، حيث بني فيها الفعل للمجهول وذكر الفاعل والقول كذلك، استقل فلان الطائرة والمراد أقلته الطائرة، إذ أن أقل يفيد معنى حمل[٤١].

إضافة لهذا، فإن ما يفسد التعبير، اللحن الذي يقع فيه بعض مذيعي التلفاز المغربي بقناتيه الأولى والثانية، علماً أنه ما وضع النحو إلا تجنباً وتوصيباً لملحون القول.

ومن الناحية الصوتية، لاحظنا أن كثيراً ما يقع بعض المذيعين والمذيعات في اللبس فيما بين الحروف الشمسية والحروف القمرية فقد تسمع المذيع يقول التلفزة المغربية مخفياً نطق اللام .

المبحث الثاني: اللغة العربية والبرامج الثقافية والسياسية والإنتاج الدرامي

تتكون شبكة البرامج في التلفاز المغربي من برامج ثقافية وأخرى سياسية إضافة للإنتاج الدرامي، وستعني ملاحظاتنا بالإنتاج الوطني لبعض من هذه البرامج.

بالنسبة للبرامج الثقافية والسياسية والترفيهية فإنها تستعمل في أغلبها اللغة العربية الفصحى، أو تستعمل عامية مهذبة قريبة من الفصحى في البرامج الترفيهية.

وكون البرامج الثقافية والسياسية موجهة أصلاً لفئة المتعلمين أو المثقفين، فإن استعمال غير العربية غير مسموح به.

لكن الإنتاج الدرامي، وإنتاج المسرحيات يعتمد أساساً وفي غالبيته العامية المغربية على اعتبار أن أحد أهداف هذا الإنتاج الترفيه عن الجمهور. وإذا كانت البرامج الثقافية والحوارية ذات الطابع السياسي عادة ما يتم إعدادها من طرف نخبة مثقفة لها اهتمام بالمجال الذي تنتج فيه، لذلك نلاحظ الحفاظ على سلامة اللغة العربية بعيداً عن ما تفرضه التقنية الحرفية للإعلام التلفزي، فإن الإنتاج الدرامي يستعمل عامية تحمل بين طياتها سلوكات وتقاليد وقيماً محلية قد يرتاح لها المشاهد العادي، لكنها بالتأكيد لا تخدم اللغة العربية في الانتشار. كما لا تساعد على ترقية ذوق المشاهد اللغوي وكذا الحضاري.

لكن الشبكة البرامجية التلفزية، على أية معايير يعتمد في تصنيفها، وما علاقتها باللغة، وكيف يتم التعامل مع اللغة العربية في هذه البرامج.

وفي نظر بعض المهتمين في هذا المجال فإن مهام هذه البرامج تنحصر في وظيفة البرامج، وفي اللغة التي تعتمدها، ثم في المصدر المعرفي للغة. وبالرغم من الإشارة السابقة في بداية هذا المبحث من أن البرامج الثقافية وكذا التربوية، تفرض فيها اللغة العربية، لتعريف مكونات وفقرات البرنامج لأن البرنامج متجه بصفة أساسية إلى شريحة، هي بحكم موقعها ومستواها الثقافي لا تستسيغ استعمال غير العربية في مثل هذه البرامج، ونجد نفس الشيء بالنسبة للبرامج الحوارية كانت ذات طابع سياسي أو ثقافي.

إن معيار استعمال اللغة العربية في هذه البرامج يرتبط بقدرات المشارك أو المشاركين فيها، الثقافية منها والمعرفية، وكذا السياسية، فقد أكدت بعض البحوث التي تطرقت إلى هذا الموضوع، على أن شخصية ووزن المشارك ونوعية

حضوره، تجعل من التعامل مع اللغة تعاملاً متميزاً، ولما كانت طبيعة البرنامج الثقافي، تجعل من المشاركة معادلة ثنائية بين معد البرنامج ومقدمه وبين الضيف، الذي قد يكون حضوره إيجابياً، لكن هذه الإيجابية مرهونة بطبيعة الأسئلة المطروحة التي لا تمكن في غالب الأحيان من أن يكون الحوار معمقاً وذا فائدة. إذا كان منشط البرنامج لا يمتلك مادة الموضوع، وليست له قدرة لغوية متميزة.

إن استعمال اللغة العربية في البرامج الثقافية، مطلب يفرضه واقع البرنامج كما يفرضه الفئة التي يتوجه إليها مما يجعلنا نتساءل عن أي حضور للفصحى في البرامج الثقافية والتربوية والسياسية التلفزيونية. هل حضورها يشكل تأثيراً متميزاً على الجمهور، ويعمل على ارتباطه بلغته الفصحى التي هي مكون أساسي من مكونات الهوية القومية العربية.

وتؤكد جواباً عن هذه التساؤلات، متابعتنا للشبكة البرامجية للتلفزة المغربية بقناتيها الأولى والثانية أن:

١ -في غالبية هذه البرامج يتم اعتماد اللغة العربية.

٢ -نسبة المتتبعين لهذه البرامج يمكن حصرها في الثلث من مجموع مشاهدي التلفاز المغربي.

٣ -بعض هذه البرامج توظف اللغة العربية وكذا العامية، وبالأخص البرامج الحوارية السياسية التي يعتقد المساهمون فيها، وخصوصاً إذا كانوا سياسيين يجيدون التحدث بالعامية، أنها في نظرهم الأقدر على نقل ما يقولون للمشاهدين.

٤ -تشكل البرامج التي تستعمل فيها العربية والعامية من ضمن باقي البرامج نسة 33.33%.

وبالرغم من تبني استعمال العربية في أهم البرامج الثقافية بغض النظر عن مستوى التمكن من ناصية اللغة واحترام قواعدها النحوية والصرفية، فإن الاتجاه السائد، والذي يبدو أنه ينمو ولو بشكل بطيء يروج في آن واحد لأهمية استعمال

اللغة الفصحى والعامية تيسيراً لعملية إيصال مضمون الرسالة –البرنامج عبر لغة اصطلح عليها بعامية المثقفين، لكن هذه الصيغة من الاستعمال اللغوي قد لا تحقق الغرض لتسهيل الاتصال بالجمهور المستهدف، إن جزئياً أو كلياً، ولكنها من الثابت لا تخدم اللغة العربية الفصحى كما لا تخدم اللهجات المحلية انطلاقاً من أن تكريس اللهجات المحلية كاختيار وطني، لا كاختيار جهوي يعتبر انتحاراً لغوياً ما دام أن أحد المكونات الأساسية للغة كمقوم من مقومات الهوية الثقافية هو اليوم موضع تساؤل بارتباطه بوسيلة أكثر التصاقاً بالجمهور –التلفاز، وللمكانة التي توجد عليها البرامج الثقافية والدراما والمسرحيات والبرامج الرياضية، من حيث شعبيتها وارتباطها بالجمهور.

وبالتالي فإن اللغة العربية حالياً ومستقبلاً وضمن الفضاءات الأكثر تأثيراً وهي –التلفاز– مطروح الآن مستقبلها، وقدرتها على الحفاظ على كيانها الرصين وعلى جماليتها المتميزة ومن هنا يصبح طرح التساؤلات التالية مسألة مشروعة، وهما: هل سيكون للتطور الملموس لتكنولوجيا الاتصال، وكذلك الاتصال المتعدد الوسائط، دور متميز في تخطي عائق اللهجات أو العاميات، والرهان على اللغة العربية الفصحى، أم أننا سنتجه لاختيار آخر يعتمد الازدواجية في شكليها: الأول العربية بجانب اللغات الأجنبية.

المبحث الثالث: اللغة العربية والبرامج الإعلانية في التلفاز المغربي

–الوصلات الإعلانية أو الإشهارية، كما هو رائج في المغرب يهمنا في دراستها الجانب اللغوي، أي ما هي اللغة المستعملة في صياغة خطابها، وهل للغة العربية مكانة فيها؟

قبل الإجابة عن هذه التساؤلات، لا بد من التأكيد على أهمية المنطلق المعرفي للإعلان، والإعلان ليس دائماً ذا بعد تجاري، ولكن في أحيان كثيرة يلبس الإعلان لبوساً سياسياً. إن المضمون هنا لا يهمنا، لكن الهام هو بأي لغة ينقل هذا المضمون.

ذلك أن لغة الخطاب الإعلاني تكتسي أهمية متميزة لدى مصيغ الإعلان، لأنها ستكون سبباً فاعلاً في إيصال مضمونه وفي التأثير على المستقبل للاقتناع به، ثم أن الطبيعة التقنية للإعلان، والتي ترتكز على مبدأ تكرار الوصلات الاشهارية وإلى إيجاز المكون اللغوي التعبيري، تجعل لغتها متحررة من القواعد البنائية للغة العربية، وهكذا وبالنسبة للتلفاز المغربي، نلاحظ أنه أقر لغة جديدة، لكن هذه اللغة لم تذهب إلى تعزيز مكانة اللغة العربية، لأن هذه اللغة الجديدة التي نتكلم عنها، وظفت البناء اللغوي العامي، في تمرير مضمون خطابه التجاري، وفي بعض الحالات المضمون السياسي للخطاب الإعلاني وهذا الأمر لم يكن في صالح دعم وتعزيز العربية، لما تحمله العامية المغربية من كلمات غير عربية، ولا تتصل أيضاً بالمنابع الأصلية للبربرية المغربية ولهجاتها المتعددة، فأصل عديد من كلمات العامية المغربية، أما فرنسي، أو برتغالي، أو أسباني، وهي الدول التي كان لها وضع احتلالي للأراضي المغربية.

لقد أدى استعمال العامية في النشاط الإشهاري التجاري إلى تأكيد جانب من مكونات لغات أجنبية دخيلة حتى إن كان التلفاز المغربي أرضياً أم فضائياً، يعتبر في وظائفه يؤدي خدمة عمومية هي في الصالح العام والثقافة والهوية الوطنيين.

وبالرغم من القيود القانونية، التي تفرض على المعلنين استعمال لغة عربية سليمة، بعيدة عن النابية أو الألفاظ الأجنبية إلا أن الواقع يؤكد شيئاً غير هذا تماماً. ذلك أن التلفاز المغربي بالإضافة لما سبق يسمح باستعمال اللغة الفرنسية. وتؤكد الدراسات الإحصائية أن استعمال اللغة العربية واستعمال العامية المغربية يتم بنسبة 43% من استعمال العربية الفصحى و 47% من استعمال العامية، وتؤكد هذه النسبة على أن اللغة العربية الفصحى قادرة من حيث المبدأ أن تكون لغة إعلان، من حيث إمكانية نفاذها للجمهور ومن حيث تناسبها مع البث الفضائي للإعلانات عبر التلفاز المغربي.

وبالرغم من الأهمية التي تكتسيها اللغة العربية في التلفاز المغربي، فإن العامية تعتبر لدى المعلن أهم وسيلة لإيصال الإعلان للجمهور المستهدف، لكن ثمة ملاحظة هامة وهي أن الاستعمال الحالي للإعلان في التلفاز المغربي لا

يتناسب مع البث الفضائي للوصلات الإعلانية، وذلك أن هذا المنحى اللغوي بقدر ما يخدم الجمهور المحلي فإنه لا يجد له مكاناً خارج المغرب.

ويقابل التواجد المتميز للعامية المغربية، وكذا اللغة العربية الفصحى، حضور للغة الفرنسية، إما بصفة كلية أو جزئية تهم أجزاء من الإعلان، وذلك ارتكازاً على العلاقات التاريخية والاقتصادية بين المغرب وفرنسا.

وبجانب الإعلان التجاري، يحضر في مناسبات معينة الإعلان السياسي، الذي يسوق لفكرة ما قد تتعلق بالانتخابات أو حث المواطنين للتسجيل في اللوائح الانتخابية، وليكون لهم هذا الحق لا بد من اكتساب البطاقة الوطنية، حيث يدعو الإعلان إلى تشجيع الشباب للحصول على "لاكارت" بدلاً من البطاقة، وهذا تكريس لكلمة، أو كلمات فرنسية.

ولعل خطورة هذا الفعل، تماثل حضور اللغات الأجنبية في الإعلانات، فبالرغم من محدوديته يعتبر أهم من الإعلانات التي توظف اللغة العربية الفصحى، أو العامية، أو اللهجات، لأنها تقنياً الأكثر تأثيراً ونفاذاً للجمهور.

خلاصة وتوصيات:

لقد أوضحنا فيما سبق الدور الذي تلعبه اللغة العربية الفصحى في نقل نماذج المعرفة والفكر، والخروج من دائرة الأمية، والدفع بالمواطنين للمساهمة الفعلية في عملية التنمية، من موقع العالم والعارف لا من موقع الجاهل، كما بينا العلاقة الوظيفية المفترضة أن تكون بين اللغة العربية وآليات الإعلام وبالأخص الإعلام التلفزي، وأنها بمكانتها الجمالية وقدرة قواعدها اللغوية قادرة إذا كان ناسها متيقنين من ذلك ومدركين من حقيقة المقدرة اللغوية أن تتم الاستجابة الكاملة لتقنيات الإعلام الناتجة عن التطور التكنولوجي التواصلي وهذه الاستجابة يمكن بناؤها على تراكمات العلاقة التي بلغت عبر التاريخ بالاتصال شكلاً ومضموناً وهذا التراكم التاريخي من شأنه أن يذيب الفوارق بين القواعد التقنية والقواعد اللغوية.

وبينا أن العربية الفصحى، التي يشترط فيها الوضوح، هي العربية السليمة التي بإمكانها أن تنقل المعرفة في نماذجها النظرية، وفي تداخلاتها مع الدور المرسوم للمدرسة في نقل تراث الحضارة العربية والثقافة القومية.

وعلى هذا فإن أمر بلورة لغة فاعلة، لا بد له من "سياسة لغوية" وطنياً، على خلفية مسؤولية بناء الدولة والإنسان، وهذا لن يتم ما لم نتجه إلى تطوير العامية المحلية، ونسج جسر التعامل مع اللهجات، قصد توظيفه في التعليم والإعلام.

ومن هنا تطرح بإلحاح مسألة وضع منظور معياري لما ينبغي أن تكون عليه لغة الإعلام أو تكون عليه اللغة العربية داخل الإعلام التلفزي.

لذلك لا بد من مراعاة التوصيات الآتية:

- إيجاد دليل إذاعي تلفزي متضمناً ضبطاً للكلمات الشائعة، إلى جانب المصطلحات الموسيقية وأسماء الأماكن الجغرافية، ومتضمناً أيضاً المعالم البارزة للأسلوب الإعلامي العربي الواضح والسليم، وكشف أبرز الأخطاء اللغوية التي يجب تجنبها، وتوضيح كل ما ينتهي إلى صياغة عبارة تخلو من اللحن والعجمة.
- التزام الجهات المسؤولة في التلفاز بتطبيق ما جاء به الدليل الإذاعي والتلفزي من تعليمات وتوجيه.
- التفكير في وضع تصور حضاري لما ينبغي أن تكون عليه لغة الإعلام في المغرب مع الانتباه إلى الخطوات المرجعية للتقليل من استعمال العامية في العمل الإعلامي التلفزي والرفع من استعمال المصطلح العربي المناسب.
- اعتماد تدريس اللغة العربية عبر مراحل التدريس في كليات ومعاهد وأقسام الإعلام المغربي.
- الأخذ بعين الاعتبار قدرات الطالب اللغوية، واعتبارها شرطاً ضرورياً للالتحاق بكليات ومعاهد الإعلام المغربية.

- الأخذ بعين الاعتبار القدرات اللغوية، شرطاً من الشروط المطلوبة لتدريس الإعلام في المعاهد والكليات المغربية.
- الحث على تنظيم دورات تكوينية لممارسات العمل الصحفي في مجالات التعريب.

الهوامش

١. عبدالقادر بن الشيخ: التلفزيون الهوية الثقافية. منشورات اتحاد الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات عدد 43-1999 ص28.

٢. سعيد لبيب: برامج التلفزيون والتكنولوجيا الحديثة للاتصال في الوطن العربي.- المجلة العربية للثقافة عدد 11 آذار 1991 ص10.

٣. المصدر نفسه: ص13.

٤. عبدالرحيم العماري: الدليل والتقنية. التواصل المعرفة والسلطة.

٥. المصدر نفسه: ص35.

٦. د. فريال مهنا: لغة الإعلام العربي بين الفصحى والعامية، مجلة اتحاد الإذاعات العربية عدد 2-2000 ص29.

٧. د. فريال مهنا المصدر نفسه ص 31.

٨. د. فريال مهنا المصدر نفسه ص33.

٩. شرف وخفاجي: النحو لرجال الإعلام. الطبعة الأولى، القاهرة 1982، ص30.

١٠. المصدر نفسه ص32.

١١. فريال مهنا: نحو بلاغة إعلامية معاصرة. منشورات جامعة دمشق، الجزء الأول 1993 ص 80-87.

١٢. فريال مهنا: ذات المصدر ص 81.

١٣. محمد طلال: الاتصال في الوطن العربي، الطبعة الأول 1986 ص50.

١٤. محمد طلال: المصدر نفسه ص51.

١٥. محمد طلال: المصدر نفسه ص52.

١٦. إبراهيم بن مراد: في مسألة الاستعمال اللغوي في البرامج الإذاعية والتلفزيون، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية. عدد 2-2000 ص42.
١٧. المصدر نفسه ص 43.
١٨. المصدر نفسه ص44.
١٩. د. محمد نجيب التلاوي. وسائل حضور الفصحى في وسائل الإعلام، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد 2-2000. ص49.
٢٠. المصدر نفسه ص 49-50.
٢١. الدكتور زكي الجابر: اللغة العربية والإعلام الجماهيري ، من كتاب عربية الصحافة، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب الرباط 1998 ص 34.
٢٢. زكي الجابر المصدر نفسه ص36.
٢٣. زكي الجابر المصدر نفسه ص 39.
٢٤. فاروق شوشة: لغتنا الجميلة ومشكلات المعاصرة، سلسلة كتابك 1979 ص22.
٢٥. فاروق شوشة: ص24.
٢٦. فاروق شوشة: ص26.
٢٧. طلحة جبريل: نحو كتابة سليمة للخبر والتقرير الإخباري، من كتاب عربية الصحافة، مرجع سابق ص87.
٢٨. طلحة جبريل: نحو كتابة سليمة للخبر والتقرير الإخباري من كتاب عربية الصحافة، مرجع سابق ص87.
٢٩. المصدر نفسه ص 88.
٣٠. المصدر نفسه ص89.
٣١. إبراهيم بن مراد: مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية عدد 2000 ص45.
32 . المصدر نفسه ص 47.
٣٣. المصدر نفسه ص 48-49.
٣٤. د. عبد العزيز شرف: وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، ص245.
٣٥. المصدر نفسه ص 249.
٣٦. المصدر نفسه ص250-249.
٣٧. المرجع نفسه ص33.
٣٨. طلحة جبريل، مصدر سابق ص88.

٣٩. طلحة جبريل، مصدر سابق ص89.
٤٠. سعد لبيب: مرجع سابق ص12.
٤١. سعد لبيب. مرجع سابق ص13.

المحاضرة الثانية

الرمز العربي العلمي- مبتكر
اللغة والمصطلح والرمز والتطوير والحاسوب

الدكتور علي المر
مدير/ مستشار الطاقة النووية في الأردن
دكتوراه فيزياء ووقاية إشعاعية
ماجستير هندسة نووية، دبلوم كيمياء إشعاعية
بكالوريس هندسة كهربائية

الثلاثاء 11 ربيع الأول 1424هـ- 13 أيار 2003م

المفاتح: اللغة، المصطلح، الرمز، التطوير، الحاسوب.

الخلاصة: تمتاز اللغات الحية بتفاعلها الدائم مع اللغات العالمية، تأخذ منها وتعطيها. غير أن ما تأخذه اللغة من أي لغة أخرى يجب أن يصاغ بشكل يتسق مع قواعد اللغة ونصوصها. في العصر الحديث تتطور العلوم والمعارف بشكل مطرد وسريع جداً. ولم تتمكن اللغة العربية رغم إمكاناتها الكبيرة من مواكبة التطور العلمي العالمي المتسارع. وتعد الرموز العلمية والمصطلحات العلمية أهم أدوات التطوير العلمي ومنتجاته في آن واحد وتكاد تكون المجال الوحيد الذي يجب أن تتركز فيه الجهود بهدف ابتكار (رسم) أنماط من الحرف العربي واشتقاق (نحت) مفردات تتسق مع اللغة العربية: أصولها وقواعدها المتينة، ولحنها الجميل وجرسها المعبر. في هذه الورقة عرض لثلاثة نماذج من الخط العربي تم ابتكارها لتقوم مقام الرموز الأجنبية التي يؤدي استخدامها إلى نشاز في النص العربي وإرهاق للحس وصعوبة في التعلم. ولقد وضعت قواعد وأسس لهذه الرموز المبتكرة لكي تكون: معبرة من الناحية العلمية، ومتسقة من الناحية اللغوية، ومرهفة حين تقع على الحواس، ومؤثرة عندما تلامس الشعور وتطرق الوجدان.

الغرض من هذه الرموز المبتكرة هو: استخدامها بدل الرموز الأجنبية في صياغة النصوص العلمية، للتأليف أو الترجمة، في الصيغ والعلاقات الرياضية في الرياضيات والفيزياء والهندسة وسائر العلوم الأخرى، ورموزاً للعناصر والمركبات الكيميائية، وفي إنشاء المعاني المختصرة أو " الاختصار " الذي أصبح سمة من سمات اللغات الحية. وعلى كل حال فهي ليست إلا الخطوة الأولى التي لا بد أن تتبعها خطوات. إنها بمثابة أصل البناء الذي يستلزم لمسات فنية من النحاتين والرسامين والدهانين. وإذا كان الأصل في إبداع الخط هو ريشة الخطاط فلقد وضعت قواعد وأسس هندسية لنماذج الرموز المبتكرة تساعد الخطاط على تحريك ريشته بالكيفية المناسبة وتساعد العامل بالحاسوب والبرامج على تشكيل هذه الرموز بجمال متناه وسهولة فائقة. إن إبداع رموز عربية علمية لا يفيد فقط مئات الملايين من الناطقين بهذه اللغة بل سيجد مكاناً رحباً في الدول التي تستخدم حروفاً مشابهة للخط العربي التي ستجد في ذلك حلاً لمشكلاتها المشابهة.

1. المقدمة

تتقدم العلوم بشكل مطرد. ويعمل الحاسوب على تسريع عجلة هذا التقدم. فالعمل الذي ينجز بضغطة زر واحدة ربما يحتاج إلى أيام وأسابيع أو حتى سنوات طويلة، إن لم يكن إنجازه بطريقة الحساب التقليدية ضرباً من المستحيل.

في أطروحة لنيل درجة الدكتوراه للباحث فاق عدد العمليات الحسابية العشرين مليون عملية. وتكرر الكثير من هذه العمليات مرات عديدة. ولو قدر لهذه الدراسة أن تنجز باستخدام الطرائق الحسابية الأولية، أو بوساطة أداة مساعدة كالمسطرة الرقمية، فإنها تتطلب ما يقرب من 120 سنة– عمل باعتبار أن كل عملية تستغرق دقيقة واحدة فقط. ورغم هذه السرعة الخيالية فكثيراً ما كنت أشعر بالضيق لأن " الكمبيوتر بطيء للغاية ! ". إنها حالة من الشعور العام تعتري كل من يعمل بهذا الجهاز الذي اختصر الزمن كثيراً فالإنسان عجول بطبعه. لهذا يعمل المختصون، كل في مجاله، على تطوير الحواسيب والبرامج الحاسوبية بخطى حثيثة. ومع كل إضافة جديدة يتضاعف حجم العمل المنجز في وحدة الزمن بما يشبه المتوالية الهندسية، لأن أثر هذه الإضافة ينعكس على الكثير من الوظائف المتشابكة التي يؤديها الحاسوب. ولا أحد منا يستطيع أن يتخيل ماذا سيكون عليه الحال في المستقبل، حتى القريب منه. وليس غريباً أن نحلم بحواسيب نخاطبها بأمهات أفكارنا فتعطينا نتائج ملايين العمليات الحسابية دون أن تكلفنا– نحن العاملين عليها– عناء البرمجة التي نعدها اليوم ضرورية !. وغني عن القول أن الرقم والخط والرمز هي اللبنات أو الأدوات الأولية التي ينجز بها العمل أو الوظيفة الحاسوبية. وأي تحسين أو تطوير فيها ينعكس إيجابياً على أداء الحاسوب.

لقد أبدع العرب باختراع اللفظ أو اللغة العربية، التي تعد أفضل اللغات التي عرفتها البشرية. وأبدعوا بابتكار الخط العربي، الذي هو طراز جميل من الكتابة يسهل صياغته وتشكيله والتعبير به. كما أبدعوا بابتكار الأرقام العربية والنظام الرقمي (الصفري) الذي بنيت عليه كل العلوم والمعارف، وانبثقت من أسسه الثورة المعاصرة في مجال الصناعة بمفهومها العام وصناعة الحاسوب ونظم

المعلومات على وجه التحديد. غير أن هذه الإبداعات لم تتواصل بالوتيرة. نفسها فيما طور الخط والرمز في اللغات الأخرى ليستوعبا التطورات العلمية والتقانية [1] الهائلة.هذه الورقة تتضمن نوعاً من الابتكار في مجال الخط والرمز الذي تبدو اللغة العربية في أمس الحاجة إليه في القرن الحادي والعشرين. ولكن قبل تناول التفصيلات لا بد من التأكيد على أهم الخصائص التي تمتاز بها اللغة العربية والتي تجعلها تحتل وضعاً متقدماً في مجال الكتابة العلمية ويجهلها عنها حتى أبناؤها.

2. مزايا اللغة العربية

تمتاز اللغة العربية بميزات عظيمة. فعلاوة على الناحية الجمالية (البلاغية)، التي تخدم النص أو التعبير الأدبي، هنالك الكثير من الخصائص التي تهم الكتابة العلمية والبحث العلمي، والتي تفيد في اختصار الوقت والجهد والكلفة . ومن هذه الميزات ما يلي:

أولاً: التضام البنائي أو الإنشائي؛ بمعنى أن عباراتها متضامة. فهي تمتلك قابلية الدمج للعديد من المفردات في كلمة واحدة، وبصيغة قوية ورزينة ومتفقة مع القواعد اللغوية الأصيلة، مما يوفر أيضاً الحيز اللازم لكتابة النصوص ؛ وبالتالي الوقت والجهد والمال. خذ مثالاً على ذلك هذه الكلمات من القرآن الكريم: " **أنلزمكموها**" فهي تضم ست كلمات في كلمة واحدة: أداة استفهام

---

1 . تعرب بعض الأوساط العربية لفظ " تكنولوجيا " الأجنبية بـ " تقانة" على وزن فعالة، مثل: صناعة وتجارة وزراعة وحجامة..إلخ. ويبدو أن أصل هذه الكلمة يعود إلى العربية من كلمة : إتقان، " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" . وإذا كان الأمر كذلك فهذا واحد من الأمثلة على تبادل المصطلحات بين اللغات. مثل كلمات: الغول والخوارزم وقبطان التي أخذت من العربية وأعيدت إليها بالترجمة مخففة: كحول، ولوغاريتم وكابتن.

وفعل متعد وفاعل ومفعولين. وكذلك كلمة " **فسيكفيكهم**" وكلمة " **فلنولينك**". وتأمل مساحة الحيز الذي تشغله الترجمة التي تفيد معاني هذه الكلمات، والتي تظهر بخط بارز في الجدول (1)، انظر كذلك الأمثلة في الفقرات ثانياً وثالثاً إلخ:

الجدول 1: ترجمة معاني بعض الآيات الكريمة ومقارنتها بالنص العربي القرآني.

الآية الكريمة	الترجمة[1]
أَنُلْزِمُكُمُوها وأنتم لها كارهون. (الآية 28 من سورة هود)	**Shall We compel you to accept it** when ye are averse to it.
فَسَيَكفيكَهُمُ الله وهو السميع العليم. (الآية 137 من سورة البقرة)	**But God will suffice thee as against them** as he is the All-Hearing the All-Knowing.
فَفَهَّمْناها سليمان وكلاً آتيناه حكماً وعلماً (الآية 79 من سورة الأنبياء)	To Solomon **We inspire the (right) understanding of the matter.** To each (of them) We gave judgement and knowledge.
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلة ترضاها. (الآية 144 من سورة البقرة)	**Now shall We turn thee to a** Qibla that shall please thee.

ولا تقتصر هذه الخاصية في اللغة العربية على القرآن الكريم، أو على مفردات بعينها وإنما هي خصيصة عامة وشاملة . **فمفردات مثل:**" **له**" و " **منه** " **و**" **به**" ؛ و " **ودعته**"، و " **رأيناهم**" و " **أسمعتموهن**" ... إلخ ، تتكرر في كل جملة وفي الجملة الواحدة، بل هي أصل البناء اللغوي في العربية. [2]

1. من كتاب القرآن: ترجمة وشرح عبدالله يوسف علي. إصدار جمعية الدعوة الإسلامية – ليبيا ؛ **1973** .
2. حاول ترجمة مثل هذه المفردات والتعرف على الحيز والجهد المطلوب.

ثانياً: الدقة التعبيرية؛ بمعنى أن مفرداتها أكثر دقة ووضوحاً في التعبير عن المعنى . فكلمة: " **جاءتا** " ، مثلاً، يعبر عنها باللغة الإنجليزية لتوضيح المعنى بدقة لا تقبل اللبس في الفهم كما يلي :" **The two women have come**"؛ و" **جاء** " تعني بتلك اللغة: " **The man has come**"، وكلتاهما يعبر عنهما باللغة الإنجليزية بكلمة: **come** .

ثالثاً: تركيز الحرف ؛ فحروفها ترسم بالحد الأدنى خطاً واحداً فقط. بينما تتضمن اللغة الإنجليزية مثلاً عدداً من الحروف المركبة مثل:**sh** و **th** و **ph** و **gh** و **ch** و**ck**.

رابعاً: انضغاط الجذر؛ حيث تمتاز قواعد التصريف في اللغة بقابلية الانضغاط. فمعظم الأفعال تعود إلى الجذر الثلاثي. وهنالك صيغ للفعل منضغطة جداً، في حرف واحد. مثل: الفعل " **قِ**" والفعل " رَ" في هاتين الجملتين: " **قه**" و " **ره**" بمعنى احفظه و انظره بالترتيب.

خامساً: السهولة أو البساطة في الكتابة؛ فحروفها ومفرداتها تكتب كما تقرأ. فلا تجد فيها مشكلات كتابية معقدة كما في اللغات الأخرى. فمثلاً: **know** و **no**، من المثال السابق، نتشابهان في اللفظ. وتأمل كيف يكتب لفظ **i** في هذه الكلمات : **by** و **buy** و **tie** و **high** و **eye** و **I** . و كلمات: **fat** و **buff** و**philosophy tough** تتضمن أربع صيغ للحرف **f** هي: **f** و **ff** و **gh** و **ph** ، مع فارق ما بينها في الشكل. وكذلك: **sio** و **su** و **ge** في **division** و **leisure** و **damage** كلها تلفظ مثل حرف **j** في كلمة **major**. وحرفا العلة **a** و**u** في كلمة **daughter** تلفظان مثل **oo** في **door** ومثل **o** في **shore** و **a** في **water** . وحرفا **ou** في **cloud** يلفظان مثل حرفي **ow** في **brown** . والحروف:**ck** و **ch** و **qu** و **q** في : **duck** و **technique** و **quick** تلفظ كلها مثل الحرف **k** في **take**.

سادساً: الترشيد في الحرف، أي الخلو إلى حد كبير من الحروف الزائدة؛

فمفردات اللغة العربية تخلو، مقارنة مع غيرها، من الحروف غير المقروءة، كما يتبين من الفقرات السابقة وغيرها الكثير. بينما تكثر هذه الحروف في اللغة الإنجليزية، وأن الحروف الزائدة كثيراً ما تتعدد في المفردة الواحدة. انظر

مثلاً: **k** و **w** في **know** و **u** و **e** في **unique** و : **k** و **w** في **know** و **ugh** في **although**.

سابعاً: الوضوح في اللفظ؛ أي أن حروفها واضحة اللفظ ولها مخارج محددة وأصواتها موحدة. على خلاف اللغة الإنجليزية، مثلاً، التي تختلط فيها المخارج وتختلف الأصوات، حيث ينطق بعض الحروف في كلمة بشكل مغاير تماماً لنطقها في كلمات أخرى، مثل: **a** في **water** و **danger** . ويلفظ الحرف **u** بأصوات مختلفة تماماً في الكثير من المواقع مثل: **full** و **unique** و **under** و **urgent**. وحتى في الكلمة الواحدة يختلف لفظ الحرف، مثل: حرف **c** في كلمتي **cycle** و **electricity**، و **i** في **initial** ، وغير ذلك.

ثامناً: اندماج النص؛ فمفرداتها ونصوصها مدمجة. ويعود ذلك إلى استخدام الحركات المقدرة (الفتحة والضم والكسرة والتنوين..) في اللغة العربية بدلاً من الحروف، التي تظهر في الكتابة [1] .

هذه المشكلات عامة وواسعة الانتشار في اللغة الإنجليزية، مثلاً. وتسبب صعوبات تعليمية وتقانية بالغة. وتجر كلفاً باهظة وهدراً في الجهد والوقت. ([2،3،4])

---

1. إن محاولة كتابة اللفظ العربي بالحرف اللاتيني تضفي بعداً من نوع آخر على مشكلة الحيز والجهد المطلوبين للتعبير عن النص العربي بالحروف غير العربية. خذ مثالاً كلمة مثل: " شرب" أو " غرب" أو "ضرب" . حيث تكتب : shariba و gharuba و dharaba حيث يلزم سبعة حروف لاتينية في كل مرة للتعبير عن ثلاثة حروف عربية.

2. في اللغة العربية حالات محدودة فقط تشبه ما ذكر من صعوبات اللغة الإنجليزية، مثل: الألف التي تلي واو الجماعة، ولام "أل" التعريف قبل الحروف الشمسية ، لا تلفظ؛ والحركات لا تكتب. غير أن هذه الحالات تتبع قواعد ثابتة فيسهل حفظها وتذكرها

3 . بسبب ما ورد من صعوبات تدرس اللغة الإنجليزية بطريقة حفظ صور المفردات. وقد اتبع الأسلوب نفسه لتعليم اللغة العربية، وهذا يعد تقليداً غير موفق (للباحث ورقة في هذا المجال).

4. بعد ما يزيد عن نصف قرن قضيناها في الدراسة باللغات الأجنبية نجد أنفسنا نعزف عن دراسة النص العربي ونستسهل النص الأجنبي. إننا بعد هذه المدة الطويلة لا نتذكر ما يواجهه المبتدئون من صعوبات، وأننا نصرف في تعلم اللغة أضعاف الوقت الذي أنفقناه في التحصيل العلمي.

خذ مثالاً، للمقارنة، ترجمة السطرين الأخيرين:

These problems are common and widely spread, for example, in English language. They cause sever educational and technical difficulties. And entail tremendous losses and waste in time and effort.

ومع أن هذه الجملة اختيرت عشوائياً، وتخلو تماماً من المفردات المدمجة والعبارات المتضامة، كالتي وردت في الفقرة أولاً، إلا أنها تبين أن 132 رمزاً باللغة العربية تؤدي المعنى نفسه الذي يؤديه 195 رمزاً باللغة الإنجليزية (انظر الجدول 2). أي أن هنالك وفراً في الحيز، حجم العمل الورقي، والجهد والوقت مقداره 50% على الأقل. فإذا قدرت قيمة الأعمال المكتوبة (التأليف والطباعة والتدقيق) بكل الوسائل والسبل، في العالم، بنحو مليار دينار في اليوم، فإن الوفر المتأتي من الجهد والوقت وحجم المنتج يبلغ حوالي 500 مليون دينار في اليوم أو 180 ملياراً في السنة. وتتضاعف هذه الأرقام مرات عديدة إذا ما اعتبرت المزايا الأخرى الخاصة باللغة العربية الواردة في الفقرات من أولاً إلى سابعاً.

أما الخسائر الناجمة عن صعوبة التعلم وعن الحد من سرعة إنجاز المنتج الفني والآثار المتشابكة لهذا الصعوبات فلا ريب كبيرة جداً.

مما سبق يتضح أن أهمية اللغة العربية ليست فقط في كونها لغة قومية لعدد كبير من الناس؛

الجدول 2: إحصائية حاسوبية للفقرتين العربية في الفقرة خامساً وترجمتها الإنجليزية.

الخاصية	الفقرة	الفقرة الإنجليزية
عدد الأسطر	2	3
عدد الكلمات	21	29
عدد الرموز دون الفراغات[1]	118	166
عدد الرموز مع الفراغات [2،1]	132	195

أو لأنها كانت بمثابة الجسر الذي انتقلت عنه حضارات الشرق إلى الغرب أو بسبب المساهمات الكبرى التي قدمتها للحضارة البشرية؛ ولكن كقيمة إنسانية تهم البشرية كلها. وهذا يستلزم الاهتمام بتطويرها لتستوعب مفردات العصر واحتياجاته، حتى يتسنى توفير الوقت والجهد واستخدام الموارد في مجالات أكثر إلحاحاً.

3. مجالات التطوير

كانت اللغة العربية، شأنها شأن غيرها من اللغات الحية، تتأثر وتؤثر في اللغات العالمية. أخذت قديماً الكثير من الألفاظ من الفارسية والتركية والأوردية والهندية وأعطتها الكثير. غير أن الأصل في الأخذ أن يتوافق اللفظ المقتبس مع اللغة التي دخل إليها. أي أن يكون هنالك تناغم وانسجام لدرجة لا يمكن، أو يصعب على الأقل، تمييزه عن ألفاظها، مثل كلمتي: سندس وإستبرق اللتين وردتا في القرآن الكريم واللتين ترجعان إلى الأصل الفارسي. أما أن يؤخذ اللفظ كما هو مثل: تلفزيون وتلفون وفاكس وإنترنت فذلك مع مرور الزمن وكثرة المصطلحات والعبارات المقتبسة سيؤدي: إلى نشاز في اللفظ العربي، الذي يتميز بالجمال

1. الرموز تعني الحروف والفواصل والنقط.

2 . تحسب الكلف والجهد على أساس حجم العمل الكتابي الذي يشمل الفراغات بين الكلمات.

والسلاسة والتناغم؛ وإلى خلل في تطبيق قواعد اللغة، التي تمتاز بالشمولية والدقة والوضوح. خذ مثالاً: هذه العبارة:

" **موتور ديلر**" التي شاهدتها مكتوبة على لافتة أحد المحلات في روالبندي في الباكستان. وعبارة وردت في إحدى الصحف المحلية تقول: " **انتشرت تكنولوجيا المعلومات كالكمبيوتر والانترنت والسيديهات. وحلت الإنترنت محل التلفون والفاكس والتلكس**".

والأمر أكثر تعقيداً عند الحديث عن الرمز العلمي. فلقد أدى غياب الرمز العربي وعدم إمكانية التعبير عنه كتابة إلى عدم إمكانية استخدام الحرف العربي في كتابة العلاقات الرياضية والكيميائية. واضطر العلماء العرب إلى كتابة هذه العلاقات بالألفاظ الأجنبية. واضطروا تمشياً مع طبيعة هذه الرموز إلى كتابة المعادلات والصيغ وحتى الأرقام والوحدات من اليسار إلى اليمين، كهذا المثال الذي يعبر عن العلاقة بين الجرعة الإشعاعية وعدد حالات السرطان المتأتية عنها:

$$I = (\alpha_1 D + \alpha_2 D^2) e^{-ß_1 D}$$

وإذا كانت

$$D = 4x10^{-3}\ Sv/year \quad و \quad 0.5 / (mSv)^2 = ß \quad و \quad 0 = ß_1 = \alpha_1$$

فإن احتمال الإصابة بالسرطان $I = 4x10^{-6}$ في السنة لكل فرد.

كما اضطر بعض المؤلفين إلى استخدام الحروف العربية مع الرموز الأجنبية، مثل:

$$ح = (\alpha_1 د + \alpha_2 د^2) e^{-ß_1 د}$$

ومع أن مثل هذه الطرائق المختلطة تفيد في توفير عناء ترجمة النصوص ، ليصرف الدارس وقته وجهده في التحصيل العلمي، إلا أنها غير مريحة لما تضفيه من نشاز وتعقيد على النص، سواء أثناء الكتابة أو القراءة، ولاسيما في النصوص والعلاقات الرياضية والعلمية المعقدة والطويلة. الأمر الذي يحد من الإقبال على المؤلفات العربية. فيكسد سوق هذه الكتب. ولو استخدمت رموز عربية مناسبة لراجت هذه السوق رواجاً هائلاً في ظل طفرة العلوم والتكنولوجيا والزيادة السريعة في عدد الجامعات والمعاهد العلمية في العالم العربي، وارتفاع عدد الدارسين في هذه الجامعات والمعاهد العربية على حساب عدد الدارسين في الخارج [1].كما أن تطوير الرمز العربي يخدم الكثير من اللغات الأخرى التي تستخدم الخط العربي كالفارسية وغيرها.

خلاصة القول: إن التطوير ليس غريباً على اللغة – أي لغة. بل هو من سمات اللغات الحية، وضرورة من ضرورات التقدم. ولكي يكون التطوير ذاته حياً ومقبولاً يجب أن يكون مريحاً وسهلاً وغير مخل بالأصل. وباعتبار أن " الرمز" هو مجال التطوير فإن الرمز المبتكر يجب أن يتسم بالجمال وتعدد الأسماء والأشكال أو الصوت والصورة. وأفضل صيغ التطوير في الرمز هي التي تعتمد على قواعد عامة في تصميمها صوتاً وصورة .

1 .عندما ذهبنا إلى الجامعة قبل نحو من 30 عاماً كنا نشعر أن علينا لزاماً أن نتعامل مع النص والرمز الأجنبي. أما اليوم فقد كثرت أعمال التأليف والترجمة. كما أن هنالك جهوداً حثيثة من قبل الشركات المعنية بالمعلومات والحاسوب لإنتاج برمجيات باللغة العربية. يحدوها في ذلك كثرة الطلب الناجم عن كثرة عدد الدارسين وزيادة متطلبات الحياة من الوسائل الحديثة والتعقيد المتزايد للغات العلمية الأجنبية في مجال المصطلح والرمز.

لقد عمل الباحث في مجالات واسعة ومتعددة من العلوم والتقانة منذ ما يزيد على 33 عاماً. وكان دائم الاهتمام بنواحي التطوير المطلوبة في اللغة العربية وبخاصة في مجالات: الرمز والمصطلح والمختصر [1]. ونتيجة للتجربة الطويلة ابتكر رسماً لثلاث نماذج للخط العربي، ليعوض اللغة العربية عن الإمكانات المتوفرة للحرف اللاتيني الذي يستقي رموزه من عدد من اللغات، ومن إمكانات فنية ذاتية كما يبين الجدول 3 ، وحتى هذا العدد من الإمكانات المبينة في الجدول ليس كافياً لتغطية كل احتياجات العلوم والمعارف فطورت أشكال إضافية كثيرة للرمز الواحد، A مثلاً، كما يلي: **À ، Á، Â، Ã، Ä، Å ، Æ** . و ę Ę Ē ē ė ě Ě Ė ě Ě للحرف **e** ، و **t Ţ ţ Ť t’ Ŧ** رموزاً للحرف **t**. وهكذا لسائر الحروف.

الجدول 3: بعض الإمكانات المتاحة للخط اللاتيني.

A	B	C	D	E	F	G
a	b	c	d	e	f	g
A	B	Θ	Δ	E	Ψ	Γ
α	β	θ	δ	ε	Φ	γ

4. سمات التطوير

تبين اللوحات (1) و (2) و (3) المرفقة النماذج المبتكرة للرمز العربي العلمي. وفيما يلي نبذة عن كل نموذج من النماذج الثلاثة:

أ. من حيث الرسم

مع أن الخط نوع من أنواع الفن الراقي يرسم رسماً بريشة فنان أو خطاط بارع فقد روعي أيضاً وضع قواعد هندسية في رسم الرموز المبتكرة بحيث تسهل كتابتها ويكون شكل الحرف متناسقاً مع نفسه ومتسقاً مع غيره. وعلى النحو التالي:

النموذج الأول: رسم على أساس أن الحرف مثلث كامل متساوي الأضلاع. طول ضلعه وحدة واحدة. وزواياه متساوية وكل واحدة تساوي 60^{o}. تطبق قواعد المثلث الثلاثيني– ستيني القائم الزاوية لرسم وحساب أطوال وزوايا الحروف والأجزاء غير المكتملة على هيئة مثلث كامل، انظر اللوحة (1).

1. خصصت هذه الورقة للمختصر والرمز الرياضي، وهنالك ورقة قيد الإعداد مخصصة للأسماء والمصطلحات والرموز الكيميائية.

النموذج الثاني: رسم على أساس أن الحرف مربع كامل طول ضلعه وحدة واحدة وزواياه قائمة. وزواياه متساوية وكل واحدة تساوي 90 ^{o}. تطبق قواعد المثلث الخمس أربعيني – خمس أربعيني القائم الزاوية لرسم وحساب أطوال وزوايا الحروف والأجزاء غير المكتملة على هيئة مربع كامل، أنظر اللوحة (2).

النموذج الثالث: رسم على أساس أن الحرف دائرة كاملة طول نصف قطرها وحدة واحدة. تطبق قواعد المربع والدائرة لرسم وحساب أطوال وزوايا الحروف والأجزاء غير المكتملة على هيئة دائرة كاملة، أنظر اللوحة (3).

ب. من حيث الاسم

وجود أسماء مناسبة ومتعددة للرمز ضروري للكتابة العلمية. خذ مثالاً لتوضيح هذه الضرورة الاقتران التالي باللغة الإنجليزية ، والذي يقرأ:

T capital equals integral from **t small** equals zero to **t small** equals **tow tdt**

$$T = \int_{t=0}^{t=\tau} t\,dt$$

هنا الضرورة هي التي اقتضت تنوع الرسم واللفظ أو الصورة والصوت لحرف t . فحرف t يرمز للدالة أو الكمية المتغيرة. ولها نهايتان: صغرى تساوي صفراً و كبرى تساوي رقماً معيناً يرمز له بالحرف τ ويقرأ **تو** بمد الواو وإمالتها.

والآن تصور لو كتبت هذه العلاقة باللغة العربية هكذا، مثلاً، واستخدمت أشكال مختلفة للحرف الواحد للتعبير عن تنوع المعاني أو تعدد الكميات:

ع = ء

$$\text{ع} = \begin{cases} \text{ع د ع} \\ \text{ع} = 0 \end{cases}$$

هنا يقرأ الاقتران: **عين** تساوي تكامل **عين** من **عين** تساوي صفراً إلى **عين** تساوي **(عين)** . وهذا مخل بالمعنى، ومربك للفهم، وصعب على الحفظ والتذكر. وقد نستخدم ألفاظاً مثل: عين مفردة أة منفصلة، وعين موصولة من الأمام أو مربوطة من الخلف. وهذا كذلك نشاز وهدر للوقت والجهد. وهذا ما يستلزم بإلحاح شديد وضع رموز متعددة الرسم واللفظ أو الصورة والصوت. وضمن القواعد والشروط المذكورة سابقاً.

لقد اتبعت أسس لغوية وعلمية وفنية وشعورية في رسم وتسمية الرموز المبتكرة في هذه الورقة. كما روعي أن تتناسب مع الوظائف المطلوبة. وفي ما يلي توضيحاً لهذه الأسس.

النموذج الأول: اشتقت أسماء الرموز من الأسماء الأصيلة للحرف العربي بتثبيت الحرف الأول من اسم الحرف الأصيل وإضافة حرفي الألف والياء إلى الحرف الأول ، مثل: آي وباي ... وياي أسماء للرموز التي تقابل الحروف: ألف وباء ... وياء بالترتيب. واشتق من هذا النموذج صور متعددة للرمز الواحد لتوسيع مجال الاستخدام. وأعطي للنماذج (الرموز) المشتقة أسماء تنسجم مع طبيعة ونوع الاستخدام المتوقع فالزوايا، مثلاً، يرمز لها في الكتابة العلمية، عادة، بأسماء المؤنث: بيتا وتيتيا ونيتا...إلخ. كما روعي أن يكون هنالك تشابه بين أسماء الرموز العربية واللاتينية للتسهيل على الدارسين.

النموذج الثاني: اشتقت أسماء الرموز من الأسماء الأصيلة للحرف العربي بتثبيت الحرف الأول من اسم الحرف الأصيل وإضافة حرفي الألف والباء إلى

آخر اسم الحرف الأصيل، مثل: أواب و بواب ... و يباب أسماء للرموز التي تقابل الحروف: ألف وباء ... وياء بالترتيب. وخص هذا النموذج بأسماء المذكر لتقابل النموذج الأول لتلبية احتياجات الكتابة العلمية.

النموذج الثالث: اشتقت أسماء الرموز من الأسماء الأصيلة للحرف العربي بتثبيت الحرف الأول من اسم الحرف الأصيل وإضافة حرفي الألف والنون إلى آخ ر اسم الحرف الأصيل، مثل: أسوان وبنان... و يمان أسماء للرموز التي تقابل الحروف: ألف وباء ... وياء بالترتيب. ولقد استثني بعض الرموز من هذه القاعدة العامة للأسباب الواردة في الفقرة السابقة. وخص هذا النموذج– كقاعدة عامة– بأسماء أماكن ومواقع عربية أو غير عربية لها شهرة ولها نفس اللحن في النطق.

ولقد استثنيت بعض الرموز من هذه القواعد العامة المذكورة سابقاً لأسباب جمالية أو لعدم وجود لفظ ذي معنى معبر أو مفيد.

5. تطبيقات على الرموز المبتكرة

إن استخدامات الرموز العلمية في الفيزياء والهندسة والكيمياء وسائر العلوم، وفي اختصار الكلمات والجمل ، لا تحصى ولا تعد.والجدول التالي يبين بعض الأمثلة البسيطة جداً للاستخدامات العلمية الكثيرة والمعقدة للرموز العلمية. كما يظهر في السطر الأول من الجدول عبارة " الرمز العلمي العربي" مكتوبة بالرموز منفصلة. وفي السطر الأخير مثال على فائدة هذا الرسم للخط العربي للاستخدام في مجال المختصرات اللفظية التي تحتاج إليها الكتابات المعاصرة.

الجدول 4 : أمثلة على استخدام النماذج المبتكرة للرمز العربي العلمي ومقارنة مع مثيلاتها باللغة الإنجليزية.

الرمز العلمي العربي	الرمز العلمي العربي

Z = Y (y)	ص = ص (ص)
K = sin T . tan N	ك = جتا . ظا ن
$\frac{\alpha}{\text{Sin A}} = \frac{\beta}{\text{sin B}} = \frac{\gamma}{\text{sin C}}$	$\frac{\text{جا أ}}{\text{أ}} = \frac{\text{جا ب}}{\text{ب}} = \frac{\text{جا}}{\text{جـ}}$
Arab Countries League: ACL	جامعة الدول العربية: جدع

6. النتيجة

يضيف هذا المقترح – المبتكر – مجالاً واسعاً من الإمكانات للخط العربي لكي يستخدم: في الرموز العلمية والمختصرات اللفظية والمعاملات الرياضية وكحروف كبيرة مثل تلك المستخدمة في اللغات اللاتينية. ويتضمن المقترح عدداً من الخيارات للرمز العربي المبتكر تمكن من استخدام اللغة العربية كلغة علمية، وتساهم في نشر الرمز والمصطلح العربيين العلميين وكذلك أعمال البرمجيات والتأليف والنشر في الدول العربية والدول التي تتشابه حروفها مع الخط العربي. ومع أن صور الرموز المبتكرة رسمت يدوياً وليس من قبل خطاط أو رسام إلا أن الناحية الجمالية فيها واضحة وكذلك إمكانية تشكيلها في رسوم أكثر جمالاً وأناقة واتساقاً. كما يوفر الحاسوب إمكانيات كبيرة في تشكيل هذه الرموز المبتكرة لكي تكون أكثر نعومة وجمالاً، ولقد وضعت لذلك أسس علمية وهندسية دقيقة. وأخيراً يجدر أن نشير إلى الملحوظات التالية:

- فمع أن هذا الخط وضع من أجل استخدامه رموزاً (منفصلة) في النص العربي العلمي، المؤلف أو المترجم، فإنه يمكن أن يستخدم في الكتابة حروفاً مقطعة كما في السطر الأول من الجدول، كما يمكن أن يطور ويستخدم مربوطاً[1].

- ومع أن النماذج الثلاثة تتبع قواعد هندسية محددة لكل نوع إلا أن الناحية الجمالية قد تقتضي أن ترسم الحروف بطرائق شتى، وأن تضاف إليها بعض الحركات والزخارف، وقد يتطلب ذلك مزج قواعد الرسم الهندسية المذكورة في رسم الرمز الواحد، ولكن دون أن يفقد كل نموذج ميزته الرئيسة.

- ليس بالضرورة – كما في الكتابة العلمية – أن يستخدم نموذج واحد فقط في النص الواحد. فطبيعة الكتابة العلمية تقتضي تنويع الرسوم والأسماء كما ورد في بداية هذه الورقة.

1. توجد محاولة لتطوير نموذج مربوط لتستخدم الرموز المبتكرة في كتابة النصوص بطريقة الربط.

شكر وعرفان

يود الباحث أن ينوه بالشكر والعرفان بمبادرة الأستاذ الدكتور إبراهيم بدران، أمين عام وزارة الطاقة والثروة الم‌عدنية الأسبق على اهتمامه ودعوته الباحث للمشاركة في ندوة نظمها مجمع اللغة العربية في الأردن في مطلع الثمانينات لهذه الغاية حيث عرضت فكرة أولية لهذا المبتكر. كما يتقدم بالشكر والتقدير لمعالي الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردن ي، على جهوده في تطوير اللغة العربية، وعلى الاهتمام والتشجيع.

آي (ألف لينة)
أسماء
أروى
باي
تاي
ثاي
برداء
تونة
تلّة
جاي
حاي
خاي
حرّاء
جلاء
خيمة
داي
ذاي
دنيا
دلّة
ذرّة
ذروة
راي
زاي
رامًا
زمرة
زلفة
زهرة
ساي
شاي
سرّتا
شماء
شهباء
شبوة
صاي
ضاي
صلة
ضرّة
طاي
ظاي
طيبة
ظبية
عاي
غاي
علياء
علاء
غيداء
غنّاء
فاي
قاي
فلاء
فيحاء
قباء
قمة
واي
ولاء
وهدة
كاي
كنداء
لاي
لينة
لماء
ماي
مها (منخفض)
منى (مرتفع)
ناي
نمى
هاي
هالة
يلي
يطا
لا
لارة
اللوحة ١

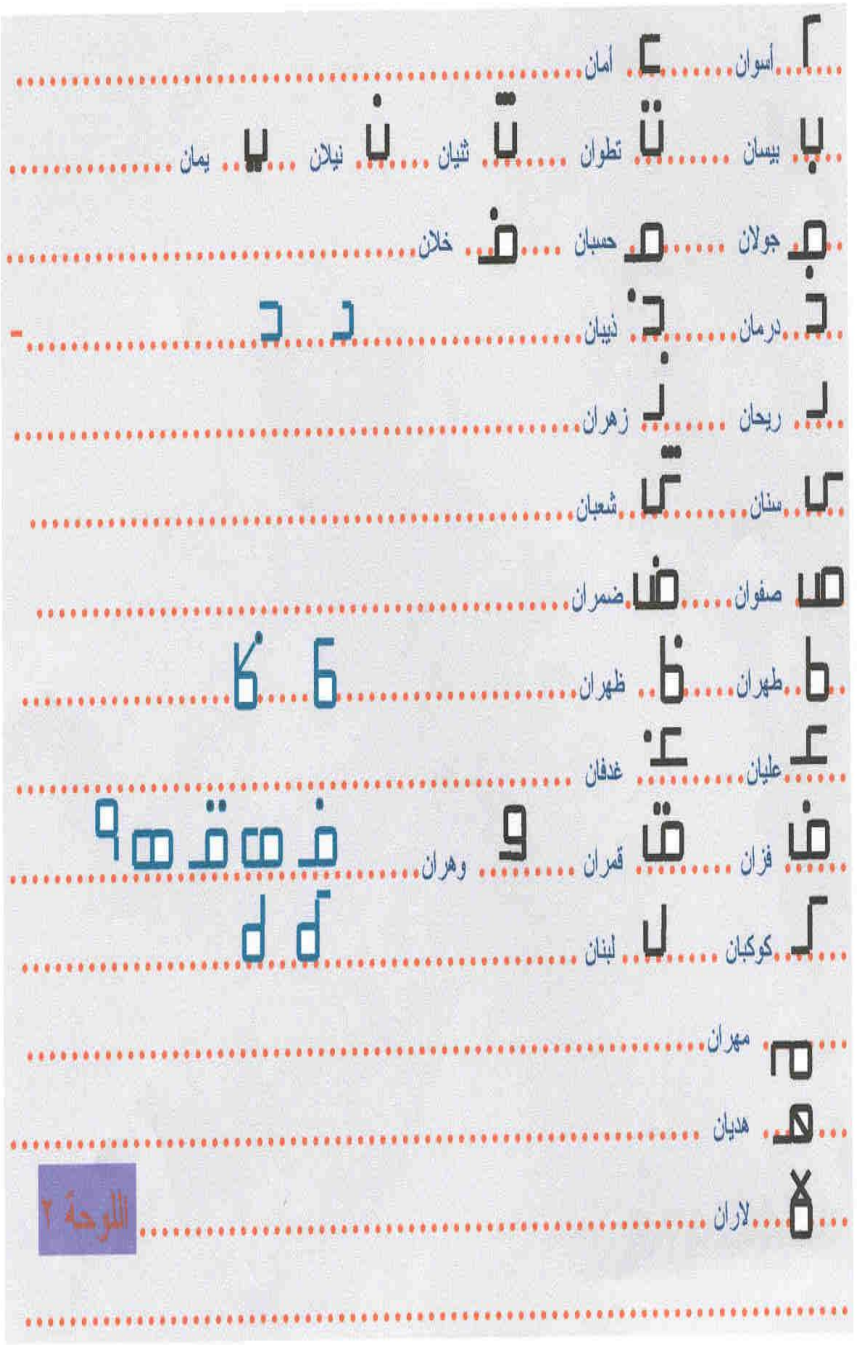
أسوان
أمان
بيسان
تطوان
ثيان
نيلان
يمان
جولان
حسبان
خلان
درمان
ذيبان
ريحان
زهران
سنان
شعبان
صفوان
ضمران
طهران
ظهران
علبان
غدفان
فزان
قمران
وهران
كوكبان
لبنان
مهران
هديان
لاران
اللوحة ٢

اللوحة ٣

أواب

بواب — تواب — ثواب

نواب — يباب

جواب — حباب — خباب

دباب — ذواب

رباب — زراب

سراب — شواب

صواب — ضراب

طواب — ظلال

عراب — غلاب

فارابي — قباب — وهاب

لهاب

كساب

مؤاب

هياب

لا هياب

المحاضرة الثالثة

الأخطاء اللغوية في الإعلام العربي

الأستاذ الدكتور داود عبده
أستاذ علم اللغة في جامعة فيلادلفيا– الأردن

الثلاثاء 18 ربيع الأول 1424هـ-20 أيار 2003م

ليس موضوع الأخطاء اللغوية في وسائل الإعلام وغيرها جديداً، فقد تناوله الكثيرون، ولكنني اهتممت ببعض ما لم يهتمّ به الآخرون وتناولت بعض ما تناولوه بطريقة مختلفة. وسأكتفي بالإشارة إلى أربعة منهم وجدت اتفاقاً بيني وبينهم في كثير من النتائج التي توصلوا إليها، وهم كمال بشر ونهاد الموسى وأحمد مختار عمر وجعفر عبابنه. ففي عام 1979 عرض كمال بشر في جامعة الكويت بحثاً عنوانه "الأخطاء الشائعة في نظام الجملة بين طلاب الجامعات."[1] وفي عام 1984 صدر كتاب نهاد الموسى اللغة العربية وأبناؤها: أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية. [2] وفي عام 1991 صدر كتاب أحمد مختار عمر أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين .[3] وأخيرا في عام 2000 عرض نهاد الموسى وجعفر عبابنة **بحثين في ندوة** اللغة العربية ووسائل الإعلام في جامعة البترا، الأول عنوانه "ظاهرة الخطأ في لغة الإعلام" [4] والثاني عنوانه "الأخطاء النحوية والتركيبية في وسائل الإعلام". [5].

وقد بدأ اهتمامي بهذا الموضوع قبل خمس سنوات بمحض الصدفة، فقد أبدى صديق إعجابه بمذيعي إذاعة لندن العربية، فأخذت – بدافع الفضول – أسجل ما أسمع من أخطائهم منذ ذلك الحين كلما أتيح لي أن أفعل ذلك. وكنت أسجّل التاريخ والأسماء ما استطعت. ثم أخذت أضيف ما كنت أسمع من أخطاء من بعض الفضائيات، وبخاصة الجزيرة وأبو ظبي والأردنية والمنار. والنتيجة التي توصلت إليها هي أنّ ما ذكره المعجَب بالإذاعيين في إذاعة لندن ربما كان صحيحاً في العصور الغابرة، ولكنه بالتأكيد ليس صحيحاً اليوم، فاليوم كلنا في الهم شرق!

غير أنني قبل أن أتحدث عن الظواهر والأخطاء اللغوية التي وجدتها شائعة فيما سمعته أود أن أشير إلى جانب إيجابي في الإعلام المسموع، فمن السارّ أن نجد أن الحديث بالفصحى يحتلّ مكانة بارزة في كلام المشتركين في الحوارات والمناقشات وبعض المسلسلات. وقد شاهدت معظم حلقات أحد هذه المسلسلات، وهو مسلسل أبي الطيب المتنبي الذي عرضته فضائية أبو ظبي وسجّلت بعض الأخطاء اللغوية التي وردت في الحلقات التي شاهدتها. وسأشير

إلى هذه الأخطاء في ثنايا حديثي عن الأخطاء الأخرى التي سجّلتها. وكنت أتمنى – وما نيل المطالب بالتمني – أن تخلو الفصحى التي نسمعها من الأخطاء اللغوية، ولكنّ الحديث بالفصحى، رغم الأخطاء، أفضل من الحديث باللهجات العامية.

وقبل أن أتحدّث عن الأخطاء اللغوية الشائعة وبعض أسبابها سأتناول بعض الظواهر السائدة في وسائل الإعلام التي أشرت إليها:

الظاهرة الأولى هي ظاهرة الأصوات العامية:

وأعني بها ظاهرة التمسك بالسمات اللهجية في اللفظ، فكثيرون لا يزالون يلفظون الثاء سينا والذال زايا والظاء زايا مفخمة. ومن أمثلة ما سجّلته من ألفاظ، وهي كثيرة جداً: يسعون حسيساً، وبلغ أرزل العمر، والعُسور على جُسّة، وزَهيرة الأ

الاسنين. وأصحاب هذا اللفظ لا يميزون بين كثير وكسير، وثناء وسناء، وذلّ وزلّ، وذكيّ وزكيّ.

هذه فئة. وفئة ثانية تلفظ القاف غينا، فتخلط بين الاستقلال والاستغلال، والقريب والغريب.

وفئة ثالثة تلفظ الجيم شينا مجهورة (جيماً مستمرة). ومن أمثلة ما ورد في مسلسل أبي الطيب: فما نجوت إن نجا، وجئتك لاجئة، وحُجّاج (بلفظ الجيم شينا مجهورة، كالجيم في الفرنسية، وقد سماها بعض اللغويين "الجيم السورية"). وهذه الظاهرة شائعة في بعض المدن دون الريف والبادية.

غير أن ظاهرة لفظ الضاد ظاء تبدو شائعة أكثر من غيرها. وإذا كانت لغة الضاد لا تميّز بين ضلّ وظلّ، وحضر وحظر، وضنّ وظنّ، وحضٌّ وحظٌّ، فهذا محزن حقاً. وقد بلغ من شيوع هذه الظاهرة أن انتقلت إلى الكتابة، فقد قرأت في صحيفة أردنية قبل أيام دعوة إلى "تظافر الجهود". ومثل هذا الخطأ في الكتابة شائع جداً فيما يكتبه بعض الطلاب، فكلمة "ضرب"، مثلا، تُكتب "ظرب"، و"نظام" تُكتب "نضام"!

ومن اللفظ العاميّ جعل الفتحة السابقة للتاء المربوطة كسرة مائلة، كما في: القمة العربية الحالية، وكتلة هوائية باردة (بلفظ الفتحة السابقة للتاء المربوطة كسرة مائلة).

ومنها تحويل لام التعريف جيماً قبل الجيم، فنحن نسمع عبارات مثل: مكافحةُ جَّريمة، والإقامةُ جَّبريّة، وبينَ جّانبين، (وشكرا لاتصالكم بجّامعة الأردنية!)، جاعلين الجيم صوتا شمسياً في حين أنها في الفصحى من الأصوات "القمرية".

ومن الظواهر اللافتة اختلاف موقع النبر. فمن المتحدثين من يضع النبر في كلمات مثل "أعلن" و"غادر" و"مشكلة" على المقطع الأول، ومنهم من يضعه على المقطع الثاني. ولكن بما أنّ اختلاف موقع النبر لا يؤثّر على المعنى إلا في حالات قليلة، فقد لا يكون لاختلاف موقعه أهمية كبيرة. [6]

ورغم كل مظاهر اللفظ العاميّ التي ذكرتها فهناك ما يدعو إلى التفاؤل، فقد لاحظتُ أنّ كثيراً من المتحدثين يحاولون التخلي عن السمات اللفظية للهجاتهم، فكثير من إخوتنا المصريين، على سبيل المثال، ينطقون الجيم جيماً (مع أنّ /g/ هي أصل الجيم وليس العكس كما يظن الكثيرون [7]). وكثير من أبناء اللهجات التي تخلو من الثاء والذال والظاء أخذوا ينطقون الثاء ثاء، والذال ذالا، والظاء ظاء. بل إنّ منهم من بالغ في التصحيح فوقع في الخطأ، كقول أحدهم: "رائحته ذكيّة"، وقول آخر: "الغثّ والثمين"، وقول ثالث: "هذا وضع مُخْذٍ". وكان أحد المذيعين ينجح في معظم الأحيان في لفظ الثاء وأختيها، فإذا واجهته كلمة فيها ثاءان، كثلاثة وثالث، وجد صعوبة في نطق الثاء الثانية، فقال: ثلاسة وثالس !

وعندما أطالب بالتخلّي عن بعض سمات اللهجات العامية، فإنني أفعل ذلك حرصاً على وحدة اللغة التي هي أهم أركان وحدة الأمة، وليس لأنني أتفق مع آراء من يتّهم اللهجات العامية ظلماً بأنها لا ضابط لها ولا قواعد. ويبدو أن مفهوم القواعد عند من يقولون إن اللهجات العامية لا قواعد لها مفهوم ضيق يقتصر على حركات الإعراب، فللهجات العامية – ككلّ اللغات واللهجات في

العالم – قواعد صوتية وقواعد لتركيب الكلمة وقواعد لتركيب الجملة. والجدير بالذكر أن كثيراً من هذه القواعد على المستويات الثلاثة لا يختلف عن قواعد الفصحى[8] . وقبل قليل دعوت إلى التخلي عن قاعدة من قواعد العامية الصوتية حين طالبت بالتمسّك باللام القمرية مع الجيم، رغم أن القاعدة العامة في لفظ لام التعريف هي ما نسمعه في اللهجات العامية، فالجيم – كالشين – صوت أدنى حنكي (غاريّ)، أي من الأصوات "الشمسية" [9].

الظاهرة الثانية هي ظاهرة التسكين:

وهي ظاهرة مألوفة منذ زمن طويل. فاللغة العربية تجيز الوقف. وقد حُذفت حركة الإعراب في بعض الكلمات في القراءات القرآنية. وورد في الشعر كثير من التسكين. ولكن التسكين في وسائل الإعلام بلغ حداً غير مقبول، فهو يقع في مواقع لا يحسن الوقوف فيها، كتسكين كلمة في وسط مكوّن جمليّ، كالمضاف والمضاف إليه، والموصوف وصفته، والاسم والضمير المتصل به، كما تشير الأمثلة التالية: رئيسْ ألوفدْ، وغيرْ صحيحْ، واللقاءْ ألقصيرْ.

وأخذنا نسمع السكون في آخر كلمات تعوّدنا سماع حركاتها الأخيرة، مثل: ليسْ وسوفْ وحيثْ ونحنْ ومعْ والذينْ ومن ثمّْ ْ . وأخذنا نسمع جملاً تُقرأ كلّ كلماتها أو معظمها ساكنة الآخر، وهذا يستدعي قراءتها مقطعة الأوصال وتحويل همزات الوصل فيها إلى همزات قطع.

وظنّ الذين يسكّنون أنهم يطبقون المقولة المشهورة "سكّنْ تسلمْ ". ولكنّ للتسكين آثاراً جانبية أبعد ما تكون عن السلامة. من هذه الآثار:

1– الفعل المضارع المرفوع والفعل المضارع المنصوب يصبحان مجزومين. الرئيسُ يسافرْ غداً ولن يحضرْ... وعندما قال المتنبي (الممثل) في مسلسل أبي الطيب: لماذا لا تقرأِ القرآنَ جيداً؟ بتسكين "تقرأ" فإنه اضطرّ إلى إضافة كسرة منعاً لالتقاء الساكنين، فبدا الفعل مجزوماً.

2– الاسم المرفوع والاسم المنصوب يصبحان مجرورين إذا أُضيفت كسرة منعا لالتقاء الساكنين : قال رئيسِ الوفد إنّه يحثّ جميعِ الأطراف، وهذا شائع جداً.

وعلى نطاق أضيق تلجأ بعض اللهجات إلى الفتحة للتخلص من التقاء الساكنين(بدل الكسرة)، فيصبح الاسم المرفوع والاسم المجرور منصوبين.

3- حذف التنوين الدالّ على النصب والألف التي تحلّ محلّه عند الوقف: ليس صحيحْ، كان هذا واضحْ، ستعطيه اهتمامْ كبيرْ.

4- سقوط التاء المربوطة، كما في "قضيتُ الليلَ الماضيَ " (والمقصود: قضيتُ الليلة الماضية). وجدير بالذكر أنّ لفظ التاء المربوطة واجب (في الفصحى والعامية على السواء) إذا كانت الكلمة التي تنتهي بها مضافاً، مثل: مدينة القاهرة، ومشكلة اللاجئين. [10]

5- انتهاء الكلمة الساكنة بفتحة توهم بأنّ ذلك خطأ في حركة الإعراب، وهي في الواقع ليست سوى فتحة أداة التعريف في الكلمة التالية: قال رئيسَ الوفد (رئيسْ اَلوفد). وقد تكون هذه الفتحة مضافة منعاً لالتقاء الساكنين عند أصحاب اللهجات التي تلجأ إلى الفتحة في تطبيق هذه القاعدة الصوتية، كما ذكرت قبل قليل.

6- مخالفة القاعدة الصوتية التي لا تجيز توالي ثلاثة أصوات صحيحة (التقاء ساكنين): وحْدْكم، وضرْبْهم، وتحتْها .

ومن نتائج التسكين أمثلة وقعت أكثر ما وقعت في حديث الناطقين باللهجة القاهرية، منها:

- تحويل تاء المتكلم وتاء المخاطب المذكر إلى تاء المخاطبة نتيجة إضافة كسرة منعا لالتقاء الساكنين: أنا اتصلتِ به، وأنتَ قلتِ في حديثك، وكما أشرتِ حضرتك.

- تقصير الحركة الطويلة لوقوعها قبل صحيحين متواليين (قبل ساكن) في وسط الكلمة نتيجة لتسكين الصحيح الأول منهما، مثل: إغلاقُ أبوَبْها ومصادرةُ أموَلْها، وشراءُ الأسلحةِ وتكدِسْها. [11]

- حذف التنوين في مثل: توفيرْ دعمِ ماليّ، وعنفْ وعنفِ مضادّ. ومن المعروف أنّ التسكين هو حذف الحركة الأخيرة في الكلمة وحذف التنوين (إن كان

ثمة تنوين) نتيجة لذلك. وما حدث هنا هو ظهور حركة (مضافة للتخلّص من التقاء الساكنين) دون ظهور تنوين بعدها، وهي ظاهرة غريبة عن سمات العربية الفصحى.

وعلى عكس المسكّنين نجد أحياناً من يطيب له أن يحرّك الساكن (بسبب الجهل بقواعد اللغة)، كما في: ولم يسبقَ لأحدٍ، ولا تشغلَ بالك، وتؤدّي ما تؤديَهُ، ووحدة أراضيَها. ولكنّ أطرف مثال على تحريك الساكن إصرار أحد المذيعين على إضافة ضمة إلى كلمة "فقط"، فهو يلفظها "فَقَطُ". وقد وردت في النشرات التي أذاعها عشرات المرات. ولا أدري من أين أتى بهذه الضمة، فكلمة "فقطْ" تتألّف من فاء و"قَطْ"، بسكون الطاء، وهي تعني "فحسْب" أو "يكفي". [12]

الظاهرة الثالثة هي ظاهرة زوال همزة الوصل:

لاحظنا في بعض الأمثلة السابقة كثرة تحويل همزة الوصل إلى همزة قطع. وقد بدأنا نسمع همزة القطع في مواقع لم نكن نحلم في أسوأ كوابيسنا أن نسمعها فيها. وإليكم أمثلة لا أشكّ في أنكم بُليتم بسماع مثلها: شكراً لِأزّميل، وَألسياسةُ أَلخارجيةْ لِألحكومةِ ألجديدة، ونقدّمُ إستعراضنا لِألصحفِ أَلعربية.

ويكثر تحويل همزة الوصل إلى همزة قطع بعد أداة التعريف، مثل: الإقتصاد والإعتراف والإستمرار والإستقبال وكثير غيرها.

وتكثر كذلك في لفظ بعض الكلمات كاسم وابن واثنين. وقد ورد على لسان المتنبي (الممثل) في مسلسل أبي الطيب: للإطمئنان على إبني، وتستحقّ الإحترام. وقال ابن خالويه (الممثل): الإثنان، وللعسل ثمانون إسماً. والطريف أن زوجة القيصر في المسلسل كانت أفصح من المتنبي (الممثل) وابن خالويه (الممثل) حين قالت: كيف أقسّم جسدي بين اثنين؟ (ولم تقل: بين إثنين). وهكذا يمكن القول إنّ همزة الوصل في طريقها إلى الزوال في وسائل الإعلام العربي وفي العربية المعاصرة بعامة.

الظاهرة الرابعة هي ظاهرة "أو":

وقد بدأت محدودة وأصبحت الآن على معظم الألسنة. في الماضي كان المذيع يعتذر إذا أخطأ، وإذا لم يعتذر، فإنه على الأقلّ يصحح الخطأ بطريقة تدلّ على الاعتراف به، مستعملاً كلمة "بل" أو ما شابهها. أما جيل الإذاعيين الصاعد فإنه حين يدرك أنه أخطأ يلجأ إلى "أو" متبوعة بالكلمة المصحّحة، كأن لا فرق بين الخطأ والصواب. وكثير من الأمثلة التي سجلتها من ظاهرة "أو" تدلّ على أن أصحابها لا يستطيعون قراءة ما ليس مشكولاً، بل لا يستطيعون التعرّف على بعض الكلمات إلا بعد إعادة النظر فيها، فيقرأون "المطار" "إطارا" و"الأسئلة" أسلحة، ولا يميزون بين "يحثّ" و"يبحث". وكان من الممكن عدم وقوعهم في الخطأ لو أنهم أعدّوا أنفسهم لقراءة النص قبل مواجهة المستمعين. وفيما يلي قليل من الكثير الذي سجّلته:

يَعقد أو يُعقد، تَذْكر أو تُذَكّر، تنسحب أو تسحب، يبحث أو يحثّ، إطار أو مطار، الاجتماع أو الإجماع، يحتاج أو يحتجّ، الإجابة عن كل الأسلحة أو الأسئلة، ينتحرون على أساورها أو أسوارها. وهذا غيض من فيض.

الظاهرة الخامسة هي ظاهرة "يعني":

وإذا كانت ظاهرة "أو" قد شملت معظم الألسنة، فإنّ ظاهرة "يعني" قد أصبحت على كل لسان. فهي ظاهرة عجيبة أقرب إلى الوباء. ولا أعرف أحداً تحدّث دون إعداد سلم منها. حتى الأجانب ممن يتكلمون اللغة العربية أصابتهم العدوى. ولعلكم سمعتم الناطق باسم الحكومة البريطانية جرالد رسل وجمله التي تكثر فيها "يعني". وقد لاحظت أنّ من المتحدّثين من يفتتح كل جملة يقولها بـ"يعني". ولعل أطرف ما سمعته من "اليعنيات" قول أحد المذيعين: "نرحب يعني بضيفنا"! وقوله في مناسبة أخرى "إذن يعني شكرا لكِ". وقد سمعت بعض العرب يتحدثون باللغة الإنجليزية، فلا يبخلون على سامعيهم من الأجانب بسيل من "يعني" التي لا تعني لهم شيئا.

الأخطاء اللغوية وأسبابها:

أنتقل الآن إلى الأخطاء اللغوية في وسائل الإعلام. ولعلّ هذا هو الوقت المناسب لإتحافكم بنماذج من أخطاء فئة من الإذاعيين لم يستطيعوا التعرف على الكلمة من السياق لأنها كانت غير مشكولة. ولم يصحّحوا أخطاءهم لأنهم لم يفهموا ماقرأوه. وفيما يلي بعض الأمثلة:

يؤَثّر الموتُ على تسليم نفسه (بدل "يُؤْثِر الموتَ"). هذا يؤَذّن بنتيجة خطيرة (بدل "يُؤْذِن"). يدور فيها قتال ضارٌّ (بدل "ضارٍ"). هذا خبر عارٌ من الصحة (بدل "عارٍ"). السلطات الأمنية تعِدّ بالقبض عليهم (بدل "تَعِد"). يشْكون في صحة التقرير (بدل "يَشُكّون"). أحد الجريحِينَ كان طفلا (بدل "جريحَيْنِ"). كانت محصّنة بفضل مراقبةِ مَحْكمة (بدل "بفضل مراقبةٍ مُحْكَمة").. تخترق المرُكّبات المدرّعة (بدل "المَرْكبات"). الأخطار التي تُحدّق بالتلاميذ (بدل "تُحْدِق"). كادت تؤدّي بحياته (بدل "تُودي"). نجله متْهم بالإتْجار بالمخدّرات (بدل "متَّهم بالاتّجار"). أقسم بنْ لادن بأغلظ الإيمان (بدل "الأَيْمان"). تطالب تركيا بمنْح قيمتِها عشرةِ مليارات دولار (بدل "مِنَح قيمتُها عشَرةُ مليارات"). أنَحتّ باللائمة عليهم (بدل "أنْحَتْ"). أما أنا فلا أدري على من "أُنِحّ" باللائمة في تعيين هؤلاء المذيعين.

وواضح من الأمثلة السابقة أن مُعِدّ النصوص التي وردت فيها تلك الأمثلة غير قارئها، وأنّها لم تكن مشكولة لأنّ معدّها كان يَفترض أن القارئ يتقن اللغة العربية. ولو كانت مشكولة لنجونا من سماع بعضها. (أقول "بعضها" لأنّ أصحاب مثل هذه الأخطاء قد يجدون أيضاً صعوبة في قراءة الكلمات المشكولة!)

ورغم أنّ الأخطاء اللغوية التي وردت في مسلسل أبي الطيب لا تنتمي إلى الفئة السابقة، فإنني سأذكر لكم طرفاً منها لتروا أن الأخطاء اللغوية ظاهرة واسعة الانتشار، لم يستطع الحيلولة دونها في هذا المسلسل إشراف ثلاثة مصححين لغويين. وسأكتفي بأمثلة من الأخطاء التي وردت على لسان المتنبي (الممثل)، لا لأنها كانت أكثر من أخطاء غيره، بل لما للمتنبي (الشاعر) من مكانة رفيعة في اللغة العربية. من هذه الأخطاء:

لا تتحدث كالسَّوَقة (يقصد السُّوقَة)، وانا مبتلٍ به (يقصد مبتلىً)، وهل تسمحي لي؟، وقد تستطيعَ، وسيأتيني شعراءٌ، وأصبحت عيناه مثلُ عينيّ. والعجيب

أنّ الممثّل الذي مثّل دور الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس أخطأ (في الحلقات التي شاهدتها.) في قراءة سبعة أبيات من شعره منها:

- نَعُدّ المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتالِ

(الشاعر يُعِدّ المشرفية والعوالي والممثل يَعُدّها)

- إني نزلت بكذابين ضيفَهمُ عن القرى وعن الترحال محدود

(يقصد:ضيفُهمُ)

- أبنتَ الدهر عندي كلّ بنتٍ فكيف وصلت أنت من الزُّحام؟

(يقصد:الزِّحام)

- قابضا كفّه اليمينَ على الدنـــيا ولو شاء حازها بالشَّمال (يقصد: الشِّمال)

(والخلط بين الشَّمال والشِّمال، والجنوب والجُنوب شائع جداً.)

أما في الأبيات الثلاثة الأخرى فقد أدخل الممثل تغييرات على بعض ما قاله الشاعر، فنتج من ذلك خلل في العروض. [13]

والسؤال الذي سأحاول الإجابة عنه الآن هو:

هل من تفسير للأخطاء الشائعة في وسائل الإعلام؟

أرى أنّ من الممكن أن نردّ كثيراً من الأخطاء إلى الأسباب التي أدّت إلى الوقوع فيها. وكنت قد ذكرت منها ضعف بعض الإذاعيين في اللغة العربية بصورة عامة، وعدم قدرتهم على قراءة النصوص غير المشكولة، وعدم حرصهم على إعداد ما يقرأونه وضبطه بالشكل. وفيما يلي بعض الأسباب الأخرى ونماذج من الأخطاء التي أدّت إليها:

أولا: ضعف الإذاعيين في النحو والصرف:

فهناك أخطاء تدلّ على أن أصحابها يجهلون قواعد النحو جهلاً تامّاً، فليس لديّ تفسير غير هذا للأخطاء التي يكون الفاعل فيها منصوباً، والمفعول به مجروراً، والمجرور بحرف الجر منصوباً، كما في الأمثلة التالية: يتزعمه السياسيَّ، نواصل جولتُنا، ينوي بلورتِها، حلقة من برنامجنا، لا تَشْغلَ نفسك. فأصحاب مثل هذه الأخطاء ينثرون الحركات نثر عشواء تصيب قليلاً وتخطئ كثيراً.

غير أنّ معظم الإذاعيين يعرفون شيئا من النحو، ولكنهم لا يتقنونه، وسأضرب أمثلة من أخطاء هؤلاء في ثنايا الحديث عن الأسباب الأخرى للوقوع في الأخطاء اللغوية.

أما الجهل بقواعد الصرف فيظهر في عدم التمييز بين الصيغ المختلفة:

1- الخلط بين مضارع الفعل الثلاثي (حيث يجب فتح حرف المضارعة) ومضارع الفعل الرباعي (حيث يجب ضمّ حرف المضارعة). ومن أمثلته الكثيرة:

يُزيد ويُلفت ويُعيب ويُثني ويُجزم.

والعكس: يَعطي ويَرسل ويَخفي ويَزيل ويَتيح ويَلغي.

2- الخلط بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول من الأفعال:

اكتُظّ المكان، واضطَرَرْت إلى، ويُقتَصَر على، ونظام يَحتضِر.

3- الخلط بين اسم الفاعل واسم المفعول:

مخدَّرات، وبموجَب، ومؤهَّلات، ومختلَف التخصصات، ومنتظَمة.

والعكس: المعطِيات، والمتوفِّين، وبشكل متعمِّد، ومصالح متبادِلة، ومحكِّم.

(وهذا الخطأ الأخير شائع في بعض الجامعات فهي ترسل المقالات للمحكِّمين!)

ومن الأخطاء الشائعة "مُسْودّة"، وهي اسم الفاعل من "اسودَّ" (كما في "وجوه مُسْودّة") بدل اسم المفعول من "سَوّدَ"، أي "مُسَوَّدة". ومن أمثلة هذا الخطأ: مُسْوَدّة القرار و مُسْوَدّة المشروع.

4- الخلط بين "إفعال" و"أفعال":

أعادة الأَعمار، ووزارة الأعلام، والأعداد للانتخابات، والأعلان عن وصولهم،

وأطلاق الأسرى، وأعفاءات الضريبة، وأحكام قبضتهم عليها.

5- الخلط بين الاسم والمصدر:

شُغْل منصب رفيع، ومقتل ثلاثة و**جُرْح** آخرين، وحُكم عليه بال**سِّجن**، وهو في ال**سَّجْن**.

6- الخلط بين اسم المكان واسم الآلة:

مِسرح الأحداث، وأربعون مِقعدا، وأغلقوا المِعبَر، وفي المِرْفأ، وله مَجَسّات.

7- الخطأ في حركة عين اسم المكان:

مصرَف، ومعرَض، ومركِب، ومركِز. (14)

السبب الثاني للوقوع في الخطأ هو تأثير العامية:

لم يقتصر تأثير اللهجات العامية على الأصوات التي أشرت إليها سابقاً، وإنما تجاوزها إلى جوانب أخرى تتصل ببعض التراكيب ولفظ بعض المفردات:

فمما ورد كثيراً فيما سجلته عبارات مثل: هكذا قرار، وهكذا إجراءات (بدل: قرار كهذا وإجراءات كهذه)، وهي "ترجمة" لكلمة "هيك". ومن الجمل التي ورد فيها هذا التركيب: "هكذا مؤتمر لا يُنتظَر منه أكثر من هكذا نتائج."

ومن تأثير اللهجات المحكية أيضاً:

- استعمال "بالمرّة" بدلاً من "نهائياً" أو "إطلاقاً"، كما في: "هذه التقارير غير مشجّعة بالمرّة".

- إضافة ياء بعد تاء المخاطبة في مثل: "هل أنجزتيها؟" و "هلا حدثتينا عن ذلك." و "ما الذي أتيتينا به؟"

- حذف نون الأفعال الخمسة في مثل: "هل تعتقدي ...؟" و"هل تظنّوا ...؟" و"هل تواجهوا...؟" و"هل تسمعيني؟".

- التمسك بالحركة المستعملة في اللهجة العامية كما في: يدرِس ويحضَر ويضرُب ويغفُر ويهرَب وبُناء على ومُفتاح وواحَد ووزير الخَزانة.

– معاملة جمع المؤنث وجمع غير العاقل معاملة جمع المذكر: النساء باتوا يفوقون الرجال، وبحاجة إلى سبعة أصوات آخرين، ووَصَف الدول الثلاث بأنهم محور الشرّ.

– تحويل الواو إلى ياء في بعض الأفعال: بعضهم يَشْكي، ومنهم من يَدْعي إلى ... فاللهجات العامية لا تميّز بين الأفعال المضارعة التي تنتهي بياء مثل "يرمي" والتي تنتهي بواو مثل "يشكو" و"يدعو"، فكلها – فيما أعلم – تحوّلت فيها الواو إلى ياء.

– عدم التمييز بين الحركة الأخيرة في الكلمات التي تنتهي بألف عند إضافة لاحقة (حيث يجب تحويل الألف إلى فتحة) والكلمات التي لا تنتهي بألف: يتقاضُون ويتلقُّون وتتمنِّين واستولُوا وأعطُوا وأبدُوا. وحدث العكس على نطاق أضيق: جاءَوْا، وطرحَوْا خلافاتهم جانباً، وفرَّوا من بيوتهم.

– حذف الحركة الأخيرة أو التنوين في الكلمات التي تنتهي بياء مسبوقة بكسرة (الاسم المنقوص والفعل المضارع الناقص الذي ينتهي بياء):لدواعي معيّنة، له معاني كثيرة، قبل أن يأتي، يجب أن نحمي مصالحنا، حتى نلتقي.

– الخلط بين الاسم المنقوص والاسم المنتهي بياء مشدّدة: احتياطيها من النفط، مبني على حقائق (دون تشديد الياء).

– إضافة لام قبل كلمة "وحْدَ": عاد لوحدِه، وستخوض الحرب لوحدِها. (بدل: وحْدَه ووحْدَها).

– استعمال "أبدا" بدل قطّ في مثل: لم يُعثر عليه أبدا، ولم تتوقف المحادثات أبدا. فاللهجات العامية تستعمل "أبدا" بصرف النظر عن زمن الفعل المنفي، في حين أنّ الفصحى تسعمل "قطّ" إذا كان النفي لفعل ماضٍ و"أبدا" فيما عدا ذلك: ما فعل/ لم يفعل كذا قطّ. ولا يفعل كذا أبدا. ولن يفعل كذا أبدا.

– استعمال "سويا" أو "سوية" (وهما "تفصيح" لكلمة "سَوا") بدل "معا"، ومن أمثلته: سوف نعمل سويّة. وسيفعلان هذا سويا. وجدير بالذكر أنّ كلمة "سَويّ" في

الفصحى تعني المستوي والمعتدل وغير الشاذّ، ولا علاقة لها بمعنى "سوا" في العامية.

– استعمال صيغة تفاعل بدلا من الفعل المبني للمجهول كقول كثيرين "تفاجأتُ" بدلا من "فوجئتُ".

– إضافة كسرة قبل الصحيح الأخير في كثير من الكلمات من صيغتي فَعْل و فِعْل منعا لالتقاء الساكنين مثل: قبِل وبعِد وصِفِر ونصِف وطفِل وقصِف وشخِص ومثِل إلخ.

– عدم التمييز بين المتكلم والمخاطب كما في: كلامُك الذي قلتُه، وفي ضوء ما سمعتُه ما رأيُك؟

– إضافة "بـ" قبل الفعل المضارع كما في: هذه العمليات بتِأتي (لم يقل بتجي)، وهذه الدول بِتُشارك وبِتعقد. وأكثر ما يقع هذا في كلام المتحدّثين باللهجة المصرية.

السبب الثالث للوقوع في الخطأ هو تعميم القاعدة:

والذين يقعون في هذا النوع من الأخطاء يعرفون شيئا من النحو والصرف، ولكنّ معلوماتهم ناقصة. وبهذا ينطبق عليهم قول الشاعر "عرفتَ شيئاً وغابت عنكَ أشياءُ"!

فقد عرف بعضهم أن الممنوع من الصرف يُجَرّ بالفتحة، فأخذ يجر بالفتحة كل صيغة من الصيغ التي ارتبطت في ذهنه بالممنوع من الصرف. ومن أمثلة ذلك: ننتقل إلى العناوينَ الداخلية، ومن أكثرَ القوانين، وفي مزارعَ شبعا. فهؤلاء يجهلون أن قاعدة المنع من الصرف لا تُطبّق إذا كانت الكلمة معرفة (مسبوقة بـ "ال" التعريف، أو مضافة).

وكذلك منهم من عرف أن الجمع المنتهي بألف وهمزة ممنوع من الصرف، فأخذ يمنع من الصرف كلّ كلمة تنتهي بألف وهمزة. ومن أمثلة ذلك: وردت أنباءُ، وارتكَبَتْ أخطاءَ جسيمة، وموقفُ أعضاءَ آخرين، وفي أرجاءَ المدينة. وهؤلاء يجهلون أنّ القاعدة تُطبّق فقط إذا توافرت ثلاثة شروط، الأول أن تكون

الكلمة جمعاً، والثاني أن تكون نكرة، والثالث أن تكون الهمزة زائدة، (والجهل في المثال الأخير مزدوج لأنّ "أرجاء" معرفة). [15]

وارتبطت التاء في ذهن بعضهم بالمؤنث، فأخذ يضيفها في المؤنث أينما واجهه. ومن أمثلة ذلك: في مباراتين أخرتين، ودولتان كبريتان، وهنّ تُردْن.

ومن أمثلة تعميم القاعدة عدم حذف الياء في مثل: أثنيتا وألغيتا وتلقّيتا، فالياء موجودة في المثنى المذكر (ألغيا وتلقّيا) فلماذا لا تبقى كذلك في المثنى المؤنث؟!

وارتبط في ذهن بعضهم أن الظرف منصوب، فنصبوه أينما وجدوه. ومن أمثلة ذلك: من وراءَ الستار، ومن خلالَها، ومنذ يومَ الجمعة.

ومعرفة بعضهم أنّ الفتحة علامة النصب قادته إلى أن ينصب بالفتحة كلّ ما وقع تحت بصره من المنصوبات. ومن أمثلة ذلك: أُعلن أن اثنينَ منهم فُقدا، ويَمنع المئاتَ من الخروج.

ومنهم من يعرف أنّ جمع فَعْلة مفتوح العين، ففتحوا عين جمع كل فَعْلة، فكما قالوا حمَلات وصفَحات، قالوا أيضا نوَباتٌ قلبية وجوَلاتُ الأخبار وويَلاتُ الحرب، دون نظر إلى أنّ الوجه تسكين العين فيما عينه واو أو ياء. بل إنهم ضموا إلى الأمثلة السابقة جمع فِعْلة، فقالوا رَحَلات وخَدَمات، وجمع فُعلة، فقالوا خَطوَات. وأما الذين لم يعرفوا أن عين فَعْلة تفتح في الجمع، فقد سكّنوا العين فيها جميعا، فقالوا – مصيبين – ثوْرات وهيْئات وجوْلات، ولكنهم ضمّوا إليها هجْمات وحفْلات وصفْقات وفتْرات وكثيرا غيرها.

ومن الأخطاء التي نشأت بسبب تعميم القاعدة، قبل أن تشيع لكثرة سماعها، نفي الفعل بعد "سوف" بإضافة "لا" أو "لن"، مثل: سوف لا تكون حرباً قصيرة. وسوف لن تغيّر شيئا. والصواب: لن تكون ولن تغيّر.

السبب الرابع للوقوع في الخطأ هو ما سمّيتُه "التفاصح":

فقد رأى بعض المتحدّثين كما يبدو أن كلّ ما يرد في اللهجات العامية ليس فصيحاً، فقرروا أن يفرضوا تصورهم لما هو فصيح. في اللهجات العامية يقال مِيزان فقالوا مَيْزان، وفيها يقال خُوذة فقالوا خَوْذة، وفيها يقال نِير فقالوا نَيْر الاستعمار. وكذلك قالوا بَيْئة بدلا من بِيئة، وينظر بعين الرَّيْبة بدلاً من الرّيبة. ويرون أنّ "الشعب كالحكومة" ليست فصيحة فقالوا "الشعب كما الحكومة". [16]

ويرون أنّ "لن يغادروا البلاد أبدا" ليست فصيحة، فقالوا "لن يغادروا البلاد قطّ". وقالوا: الخميس الماضيّ والليلة الماضيّة والتعليم العاليّ والمحاميّون معتبرين التشديد فيها هو الفصيح لأنه غير موجود في العامية. ويرون أن "هنالك" أفصح من "هناك"، و"كَلاّ" أفصح من "لا". ويرون أن ثُمّ ليست على درجة كافية من الفصاحة فقالوا: ومن ثُمَ!

السبب الخامس للوقوع في الخطأ هو ربط الحركة الإعرابية بالمعنى:

يعرف بعض المتحدثين أن المفعول به منصوب، ولهذا نصبوا نائب الفاعل، فهو مفعول به لم يُذكر فاعله، ومن أمثلة ذلك: نقل عنه قولَه، وأُصيب جنديين، واعتُقل العشراتَ (بالفتحة إمعانا في تأكيد النصب!). وكذلك نصبوا المضاف إليه بعد المصدر، فهو مفعول به من حيث المعنى. ومن أمثلته: تشكيل حكومةً، وإطلاق سراحَ المحتجَزين، وامتلاك أسلحةً، وتسديد قروضا، وتبنّي قانونا، وأمثلة كثيرة أخرى زاد عددها على خمسين.

السبب السادس للوقوع في الخطأ هو ربط الحركة الإعرابية بالموقع:

يعرف المتحدث أن الفعل المبنيّ للمجهول يأتي بعده نائب الفاعل، وهو مرفوع، فليرفع إذن الكلمة التي ترد بعد الفعل المبنيّ للمجهول، وليقل: أُعطيَت إنذارٌ ، ويُعتبر فارٌّ من وجه العدالة. [17]

ويعرف "الموقعيّ" أن إنّ وأخواتها يليها اسمها ثم خبرها: الموقع الأول لاسمها، وهو يتألّف – فيما يرى– من كلمة واحدة، وهو منصوب، والثاني لخبرها، وهو كذلك يتألف – فيما يرى– من كلمة واحدة، وهو مرفوع، فيقول: إنّ المسؤولين الأميركيون يهددون، وإنّ عراقيين مقيمون في لندن يقولون. [18]

ويكثر التمسك بالموقعية في الأمثلة التي يتأخر فيها اسم كان أو إنّ عن خبرها: ليس لدينا مالاً، وليت لدينا نصفُ هذا، وإنّ هناك احتمالٌ، ولا يزال هناك فرصةً، وكان في النشرة أخباراً أُخرى.

ويعرف المتحدث أنّ حرف الجر يليه مجرور، فيندفع – وفي ظنه أنّ الكسرة هي العلامة الوحيدة لما هو مجرور – واضعاً كسرة في نهاية كل كلمة تلي حرف جر، فيقول: من حيثِ، وفي السادسِ عشر، ومن العاملينِ فيها، ولأكثرِ من سنة.

السبب السابع : عدم وجود الحركات:

سجّلتُ مئات الأخطاء التي لا تفسير لها سوى أنها نتجت **في بادئ الأمر** بسبب خلوّ النصّ من الحركات، ثمّ أخذت تشيع لكثرة ما سُمعت. فالقارئ لا يرى حركة العين في "عَلاقة" فيقول "عِلاقة" أو"عُلاقة"، ولا يرى حركة عين الفعل الثلاثي، فيضع الحركة التي تعجبه. ولا يرى حركات حَزِيران (وهي كلمة معرّبة من الآرامية: حْزيرون) فيظنّ أنّه تصغير حَزْران. وهكذا بدأنا نسمع أمثلة مثل: حُزَيْران وتُبُتَ وحصُلَ وشعُرَ ويتُمّ ويغرِق ويعكُس ويدعُم ويحمُل وأكِفّاء (بدل أكْفاء) وعِبْرَ وذِهاب وخَيار وتجرُبة وضُرورة وخِصْم وعَداء(بدل عِداء: مصدر عادى) وعَبْوة (بدل عُبُوّة) والأربَعاء والأربُعاء وبسَهولة وجُنوب (بدل جَنوب) وشِمال (بدل شَمال) ومن ثَمَّ والقدس **قُبلة** المسلمين والإسلام لا يميّز بين **عَرَق** ولون، ومئات غيرها.

ومما له علاقة بنظام الكتابة لفظ كلمة "مِئة": ماءة ، فبعض المتحدثين يراها مكتوبة :"مائة" فيظنّ أن الألف تلفظ، وهذا يتطلّب فتح الميم.

وكان من الممكن تجنّب كثير من هذه الأخطاء في اللفظ لو كان الإذاعيون يعودون إلى المعاجم.

السبب الثامن: تشابه بعض الكلمات:

وقد أدّى التشابه اللفظيّ بين بعض الكلمات إلى أخطاء مثل: نصحه الأطبّاء بالخلود إلى الراحة (بدل الإخلاد)، وحذّر العراقَ من العقبات الوخيمة (بدل العواقب)، وسَيْفُهم مسلّط على رقاب الناس (بدل مُصْلَت، أي مجرّد من غمده)، وضرب بذلك عَرْض الحائط (بدل عُرْض، أي جانب)، ودواء ناجح (بدل ناجع، أي شافٍ)، وإطلاق العَنان له (بدل العِنان)، والإعراب عن مشاعر الغضاضة (بدل الغضب)، والزيارة التي كان من المُوَقّع أن تتمّ (بدل المُتوقّع).

ومن الأخطاء التي سمعتها كثيراً استعمال كلمة "إيجاد" بدل "العثور على"، فمستعملوها يظنون أنها مصدر "وجد" ولا يعرفون أنها مصدر "أوجد". ومن الأمثلة التي وردت فيها: تلاشت الآمال في إيجاد أحياء، ونحاول إيجاد الطفلة التي فقدت، وعجز الأميركيون حتى الآن عن إيجاد بن لادن.

السبب التاسع: عدم إتقان بعض قواعد تركيب الجملة:

ومن أمثلتها:

1- أخطاء في المطابقة وأكثر ما ورد منها استعمال "إحدى" بدل "أحد"، كما في الأمثلة التالية: إحدى الحواجز، وإحدى المستشفيات، وإحدى البرامج، وإحدى الأسباب (وقد نتج بعضها من الجهل بأن التذكير والتأنيث مرتبط بالمفرد).

ومن الأخطاء التي سجّلتها مطابقة ضمير الفصل للخبر بدلا من مطابقته للمبتدأ، ومن أمثلته: النقطة الأخرى هو التعامل مع الواقع، والوسيلة الوحيدة هو استعمال القوة، والطريقة الوحيدة هو دعم المفاوضات، والنقطة الغامضة هو مصير هذين الجنديين، وتغيير النظام هي الغاية.

2- الخلط بين حروف الجر، كما في الأمثلة التالية التي تبدو كأن قائليها من الأجانب الذين لم يتقنوا اللغة العربية: هم مسؤولون على ما حدث، ولم يسفر على شيء،،وترفّع على الردّ، وعاجز على تنفيذ ذلك، وامتناع على التصويت، ولا بدّ عليه أن يفعل هذا، ويجب أن تقنع إسرائيل على إنهاء عملياتها، وأحكمت قبضتها عن المدينة، والعثور عنه، ويركّز عن هذه النقطة، وعدم القدرة إلى فعل

شيء، وراتبه يفوق من المعدّل، وأجاب على السؤال (واستعمال "على" بدل "عن" بعد "أجاب" شائع جدا).

غير أن استعمال الباء بدلاً من "في" أصبح ظاهرة واسعة الانتشار في الحديث وفي الكتابة على السواء. ومن أمثلتها: يتمركزون بها، ويعيشون بالخارج، ويشارك بالمؤتمر، ووُلد بها ونشأ بها.

ورغم أنّ اللغة العربية تجيز استعمال "بِ" بمعنى "في" فإنني أفضّل استعمال "في"، فاستعمال الأصيل أولى من استعمال البديل. وخاصة، أنّ هناك فرقا بينهما في كثير من الحالات. فـ "مرّ بالقطار" يختلف معناها عن "مرّ في القطار" . وهناك فرق بين "يشارك ببحث في المؤتمر" و"يشارك في بحث في المؤتمر". وكذلك بين "عاد بسيارة" و"عاد في سيارة"، وبين "ذهب اللص بحذائك" و"ذهب اللص في حذائك"!

3- استعمال "لا زال" بدل "لا يزال" ومن أمثلته: لا زلنا معكم، ولا زالت تواجه الصعوبات، ولا زالت الطريق مغلقة، ولا زال لدينا بعض الوقت. ومن الواضح أنّ الذين يقعون في مثل هذه الأخطاء يحهلون أنّ "لا" قبل الفعل الماضي تفيد الدعاء، كما في "لا فُضّ فوك". وجدير بالذكر أنّ هذا التركيب الفصيح موجود في العامية، فنحن نسمع باستمرار "لا سمح الله" و"لا قدّر الله". وقد سمعت جملاً مثل "لا ردُّه ربّي".

4 - استعمال "عشرينات" (وأخواتها) بدل "عشرينيات" (وأخواتها)، فمن الخطأ الشائع جداً القول "في العشرينات أو الثلاثينات أو التسعينات من القرن الماضي" للتعبير عن "العشرينيات" وأخواتها، وهي تشير إلى العقود (20 – 29، 30 – 39 الخ.)، في حين أنّ الأولى تشير إلى المجموعات التي يتألّف كلّ منها من عشرين وحدة أو ثلاثين الخ.

5- أخطاء العدد والمعدود، وهي تشمل أخطاء من كلّ لون، من أطرفها "من بينهم اثنانٌ من الأقباط". وكان أشيع هذه الأخطاء في حركة شين "عشرة" وتسكينها، فالقاعدة فتح الشين إذا كان المعدود مذكّرا وتسكينها إذا كان مؤنثا: عشَرة طلاب وعشْر طالبات، وخمسةَ عشَر طالبا وخمسَ عشْرة طالبة. والغريب أنّني لم أسمع "عشَرة"، بفتح الشين، مع المعدود المذكر سوى بضع مرات،

مقابل مرات كثيرة بتسكين الشين: عشْرة أشخاص، وعشْرة أيام، وعشْرة آلاف، وعشْرة منازل، وعشْرة لاعبين وكثير غيرها.

ومن الأخطاء الشائعة عدم إضافة التاء من ثلاثة إلى عشرة عندما يكون المعدود مذكراً وإضافتها عندما يكون مؤنثاً: ثلاث أسابيع، وخمسة سنوات، والنساء الثلاثة، وخمس مخيمات. وبعض هذه الأخطاء ناتج من عدم معرفة المتحدث أنّ القاعدة مرتبطة بالمفرد، فـ "مخيمات"، مثلا، جمع مؤنث سالم، ولكن بما أنه جمع "مخيم" فهو في الواقع جمع مذكّر.

وليس هناك خطأ يمكن الوقوع فيه في العدد أو المعدود إلا وقع بعض الإذاعيين وغيرهم من المتحدثين فيه، باستثناء خطأ واحد يقع فيه الأجانب ممن درسوا اللغة العربية، ولكن العربيّ لا يقع فيه أبداً، وهو الخطأ في المعدود من حيث الإفراد والجمع. فليس هناك من يقول: "ثلاثة طالب" أو من يقول: "عشرون طلاب". والسبب في ذلك أن الطفل العربي يكتسب هذه القاعدة قبل دخوله المدرسة. وينطبق هذا على جميع قواعد تركيب الجملة وقواعد تركيب الكلمة (الصرف) التي اكتسبها الطفل قبل ذهابه إلى المدرسة. [19] أما القواعد الأخرى المتعلقة بالعدد والمعدود وغيرها من قواعد اللغة العربية التي تعلّمها في المدرسة والجامعة (مما لم يكتسبه قبل دخوله المدرسة)، فالأخطاء فيها مستعصية على الإصلاح.

6- عندها وأخواتها:

يكثر استعمال "عندها" و"بعدها" و"قبلها" و"يومها" و"حينها" و"وقتها" الخ. والوجه أن يُقال: عندئذ وبعدئذ الخ. (وجدير بالذكر أنني لم أسمع أحدا يقول "منذها"!)

7- تكرار "كلّما"، ومن أمثلته: كلما طال أمد الحرب كلما زادت المعاناة، وكلّما انخفضت أسعار البترول كلّما ازدادت القوّة الشرائية للمستهلكين.

8- تكرار "بين". ومن أمثلته: بين إيران وبين الولايات المتحدة، وليس هناك رابط بين هذا وبين ذاك. وربّما يقع بعض المتحدّثين في خطأ تكرار "بين" بسبب

تكرارها إذا اتصل بها ضمير، حيث تكرارها واجب، مثل: بيني وبين صديقي، وبين صديقي وبيني، وبيني وبينك.

9- ومن الأخطاء الشائعة استعمال الفعل المبني للمجهول مع ذكر الفاعل في الجملة، وذلك باستعمال "من قِبَل". ولعلها بدأت ترجمة للتركيب المسمى passive في اللغة الإنجليزية. ففي الإنجليزية يسبق المفعولُ به الفاعل إذا أريد توكيد المفعول به، كما في: The boy was killed by a sniper. وما يقابل هذا في العربية ليس: "قُتل الولدُ من قبل قنّاص" كما هو شائع، بل"قَتل الولدَ قنّاصٌ" بجعل المفعول به قبل الفاعل. ومن الأمثلة التي وردت: أُبلِغنا من قبل المسؤولين، ويُعَيَّن من قبل الرئيس ويصادَق عليه من قبل المجلس النيابيّ، وهناك مقاومة من قبل الشعب.

١٠ – إدخال "ال"التعريف على "غير" في مثل: الإجراء الغير شرعي، والتصريح الغير ودّي، والوفد الغير رسمي. ورغم أنني لا أتفق مع رأي النحويين الذي يعتبر "غير" مضاف والكلمة التي تليها مضاف إليه، إلا أنني لا أجيز إدخال "ال" التعريف على "غير" في العبارات السابقة ما لم تُجزه المجامع اللغوية. (20)

١١ – إضافة الواو في مواقع لا معنى لإضافتها فيها، مثل: قال إنه ومنذ الحادي عشر من شهر أيلول ...، صرّح فلان والذي حُكم عليه بالسّجن...، إنّ قانون العقوبات والذي سيُنفّذ قريبا، أثار...، انتهت الجولة والتي جاءتكم من ... وأكثر ما تضاف الواو قبل اسم الموصول كما يلاحظ من الأمثلة السابقة.

١٢ – إضافة اسم الموصول بعد النكرة : لديه سلطات التي يمارسها، ومشروع قانون الذي قُدّم، ويحتوي على ميثاق الذي يمنح المساواة. وقد عجبت لهذا النوع من الخطأ لأنّ اللهجات العامية تتفق مع الفصحى في قاعدة مطابقة الصفة لموصوفها في التعريف والتنكير سواء كانت الصفة

كلمة مفردة أو جملة موصولية: ميثاق جديد/ الميثاق الجديد، ميثاق يمنح المساواة/ الميثاق الذي يمنح المساواة. وأداة التعريف هي "الـ" للكلمة واسم الموصول للجملة. [21]

13–نفي المستقبل بإضافة "سوف" قبل "لا" أو "لن"، مثل: "سوف لا يسافر" أو "سوف لن يسافر" (بدل "لن يسافر"). وقد أشرت إلى هذا في حديثي عن تعميم القاعدة.

14– إضافة "ما" بعد الكاف (كما) قبل الأسماء، مثل: "الشعب كما الحكومة". وقد أشرت إلى هذا في حديثي عن "التفاصح" (وانظر أيضا الحاشية السادسة عشرة).

15–استعمال "بعضهم/ بعضكم/ بعضنا" في مثل: "لا يساعدون بعضهم" (بدل "لا يساعد بعضهم بعضا").

وسيلتمس بعضكم مخرجاً للذين يقعون في كل ما اعتبرتُه خطأ، ففي التراث أبيات من الشعر وشواهد نحوية وأمثلة من لهجات العرب تنقذ من يبحث عن الإنقاذ. واسألوا نهاد الموسى، فهو خبير ليس له نظير في ما يسمى "فيه قولان". [22] أما أنا فأفضّل استبعاد ما يُعتبر مقبولا إذا كان البديل من الأفصح متاحاً.

بقيت الإجابة عن السؤال المهم: ما الحلّ؟ وهل يصلح العطار ما أفسد الدهرُ؟

سأقرأ بعض التوصيات التي أعددتها، مع علمي أنّ إصلاح ما أفسد الدهر ليس سهلا:

١ - إخضاع المذيعين والمراسلين لامتحانات لغوية صارمة قبل تعيينهم، على أن تشمل هذه الامتحانات النحو والصرف وقراءة النصوص غير المشكولة وضبط نصوص بالشكل التامّ في وقت محدّد. ويجب أن تشمل كذلك المهارات الأربع المعروفة: فهم المقروء وفهم المسموع والتحدّث (دون إعداد) بطلاقة خالية من الأخطاء وكتابة موضوع غير معدّ مضبوط بالشكل التامّ. وجدير بالذكر أنّ بعض المذيعين الناجحين

في قراءة نشرة مُعَدّة كانوا يفشلون فشلاً ذريعاً عندما يحاورون ضيفاً دون إعداد. كانوا يرتكبون في هذه الحالة من الأخطاء اللغوية ما لا يرتكبه طلاب المرحلة الإعدادية، أو يرتدّون إلى العامية، ناهيك عن التأتأة والتلعثم والتوقّف بعد كلّ كلمة، وغير ذلك من سمات عدم الطلاقة.

٢ - ضبط كلّ ما يُذاع بالشكل حتى لا يقع المذيع في الخطأ. ويجب أن لا يقتصر الشكل على حركات الإعراب، فقد أشرت إلى وقوع المتحدثين في أخطاء كثيرة في حركات بنية الكلمة لا تقلّ أهمية عن حركات الإعراب.

٣ - تعيين مشرف لغوي قدير يتابع كلّ ما يُذاع: يصحّح الأخطاء قبل وقوعها إن أمكن، ويلفت انتباه مرتكبيها إذا وقعت حتى لا يقعوا في مثلها مرة أخرى. وجدير بالذكر أنّ بعض المذيعين والمراسلين يكرّرون أخطاءهم مرة بعد مرة.

٤ - عقْد دورات تدريبية أو اجتماعات دورية لجميع المذيعين في الإذاعة أو الفضائية بإشراف المسؤول اللغوي، تتناول الأخطاء اللغوية وسبل تجنّبها والتدرّب على استعمال المعاجم.

٥ - إرسال تقارير المراسلين إلى المشرف اللغوي بالناسوخ (الفاكس) قبل إذاعتها لتصحيح ما فيها من أخطاء، وإذاعتها بالنيابة إذا كان المراسل ضعيفاً في اللغة أو سيّء الصوت أو ذا عاهة لفظية. وقد عجبت كثيراً لسماع مَن اجتمع فيه الضعف اللغوي والعيب اللفظيّ كلاهما، سنة بعد سنة دون أن يفكّر أحد في أن تُقرأ رسائل أمثال هؤلاء بالنيابة.

٦ - التشديد على تجنّب كلّ ما يزعج السامع من خصائص المحاور السيء، كاللفظ البطيء الممطوط المتقطع الذي تفصل بين كلّ كلمتين فيه وقفة (أو "آ..آ..")، والإطالة في السؤال، والسؤال عند بعض المحاوِرين أطول من الجواب، بل هو أحيانا أقرب إلى المحاضرة منه إلى

السؤال. وكاللجوء إلى كلمات الحشو مثل "بدايةً" و"يعني" (والجمع بينهما: يعني بداية) و"على حدّ قوله" و"طبعاً" و"إذا جاز التعبير" في سياقات لا تتطلّب إقحامها فيها. وكان أحد المراسلين يصرّ على إضافة "على حدّ قوله" (أو "تعبيره") رغم استعماله لكلمة "قال" أو "وصف ...بـ"، كأنه يخشى أن يُنسَب إليه ما نقله! [23] ومن عبارات الحشو (أو التفاصح) الطريفة قول بعضهم "وإنْ دلّ هذا على شيء فإنه يدلّ على ...". وهو بهذا يشكّك – دون أن يدري – فيما ظنّ أنه يؤكّده، فهو في الواقع يقول "وقد لا يدلّ هذا على شيء"!

٧ - تدريس مادة في الجامعة، إلزامية لطلبة قسمي اللغة العربية والإعلام واختيارية لغيرهم تتناول الأخطاء الشائعة نظرياً وتطبيقياً. فالأخطاء الشائعة تلخّص بدقّة ما فشلت المدرسة والجامعة في تدريسه. ولهذا فالتركيز عليها قد يُصلح بعض ما أفسده الدهر!

وإليكم أخيرا طرائف بعض الإذاعيين:

كان أحدهم يقول في بداية النشرة: "نبدأ كما عوّدناكم"، وفي وسطها: "نمضي قدماً في نشرتنا" وفي نهايتها: "وبهذا نكون قد فرغنا بحمد الله من جولتنا وأنهيناها بعد أن قدّمناها". وكان آخر يستأذن المستمعين في إنهاء النشرة: "نستأذنكم في أن نختتم جولتنا". وقال ثالث: "وأزيدكم من الشعر بيتاً"، وقال آخر: "لم تحِن ساعة الوداع بعد، فقد بقي لدينا ...". وكان أحد المذيعين يختتم نشرة الأخبار بقوله: "بلدة طيبة وربّ غفور". ودعا آخر للمستمعين بـ"أن يكون يومهم مملوءاً بالحركة والبركة".

وقال أحد المراسلين: لقد حصل الرئيس على 100% من الذين صوّتوا بـ"نعم" (وقد صدق، فمهما كان عدد هؤلاء فقد حصل الرئيس على 100% منهم).

ومن زلات اللسان قال أحد المتحدثين "إنني منهذل" (دون أن يصحّح نفسه). وقد سمعت قبل مدة طويلة من إذاعة لبنان "وزارة البرد والبريق" (والمقصود: وزارة البرق والبريد). وقال وزير في حوار مع أحد الإذاعيين: "عُرض

على الدكتورة حنان أن تكون حكومة في هذه الوزيرة ولكنها رفضت"! ومن إحدى الفضائيات قال أحدهم: "الرئيش بُسْ"!

وأختتم حديثي بشكر الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني لدعوتي للمشاركة في الموسم الثقافي. وهو يستحق الشكر منا جميعاً لما يبذله من جهود دائبة في خدمة لغتنا العربية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش

(١) **ندوة مشكلات اللغة العربية على مستوى الجامعة** ، جامعة الكويت، 1979. ص191 – 237

(٢) نهاد الموسى، **أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية**، دار العلوم، الرياض، 1984.

(٣) أحمد مختار عمر، **أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين** ، عالم الكتب، القاهرة، 1991.

(٤) انظر: نهاد الموسى، **الثنائيات في قضايا اللغة العربية** ، دار الشروق، عمان، 2003. ص110 – 121.

(٥) انظر: **المجلة الثقافية** ، الجامعة الأردنية، عمان، العدد 53، 2001. ص 43 – 47.

(٦) من الأمثلة التي يؤثّر فيها النبر على المعنى كلمات مثل: **وَصَفَتْ** ، حيث يقع النبر على المقطع الأول إذا كان المقصود (وصَفَ+تْ)، وعلى المقطع الثاني إذا كان المقصود (وَ+صَفَتْ)، و**أقْوالنا** ، حيث يقع النبر على المقطع الأول إذا كان المقصود (أقوى لنا)، وعلى المقطع الثاني إذا كان المقصود (أقْوالَنا).

(٧) مما يدل على ذلك أنّ ما يقابل الجيم في اللغات السامية الأخرى، كالعبرية، هو الجيم القاهرية. كما أن بقاء الجيم في الفصحى صوتاً "قمرياً" دليل آخر مهم. (انظر الحاشية التاسعة.)

(٨) من القواعد الصوتية إضافة حركة (كسرة في معظم اللهجات وفتحة في بعضها) منعا لالتقاء الساكنين. نقول: "الموظّفْ سافر" (بسكون الفاء)، ولكن "الموظّفِ استقال" (بكسر الفاء). ومنها قاعدة الأصوات "الشمسية" (انظر الحاشية التاسعة). ومن قواعد تركيب الكلمة قواعد التأنيث (سافر/ سافرت، طالب/ طالبة) والجمع (سافر/ سافروا، معلم/ معلمين، معلمة/ معلمات)، وصيغ الفعل المختلفة (ماض/ مضارع/ أمر) وحروف المضارعة في الفعل المضارع، واسم الفاعل واسم المفعول (سارق/ مسروق) الخ. ومن قواعد تركيب الجملة: وقوع الصفة بعد الموصوف ومطابقتها للموصوف في الإفراد والجمع وفي التذكير والتأنيث وفي التنكير والتعريف. ومنها قواعد تركيب الإضافة، وهي لا تكاد تختلف عن قواعد الإضافة في الفصحى الخ.

(٩) الأصوات "الشمسية" هي الأصوات الأسنانية (وتشمل الثاء والذال والظاء، وهي "بين–أسنانية") والأصوات الغارية palatal (باستثناء الياء، لأنها شبه علة)، وهي أربعة أصوات، الشين والجيم والشين

المجهورة (التي أشرت إليها) والجيم غير المجهورة (كالصوت الأول في كلمة chair)، والصوتان الأخيران موجودان في بعض اللهجات العامية. ومما يؤيد أن الجيم صوت "شمسيّ" أنها كذلك مع التاء الساكنة، كما هي مع لام التعريف. فالتاء الساكنة "شمسية" في أمثلة مثل: اثّاقلتم ومدّثّر ومزّمّل ويذّكّر ويسّمّع ويصّدّق ويضّرّع ويطّوّف الخ. والأمثلة السابقة هي تطبيق للقاعدة الصوتية التي نسمعها في اللهجات المحكية اليوم. وحين تُطبَّق هذه القاعدة على أفعال مثل "يتْجنّب" و"يتْجادل" و "يتْجمّع"، نجد أن الجيم من الأصوات "الشمسية": يجّنّب ويجّادل ويجّمّع، ولكنّ التاء الساكنة "قمرية" في مثل يتْعلّم ويتْحسّن ويتفرّج. وجدير بالذكر أن أربعة من الأصوات "الشمسية" مع لام التعريف "قمرية" مع التاء الساكنة، وهي الميم والنون واللام والراء. أما الياء فهي "قمرية" مع كليهما. أما سبب كون الجيم من الأصوات "القمرية" في الفصحى رغم أنها في صورتها اللفظية الحالية من الأصوات "الشمسية"، فهو أن أصل الجيم، كما أشرت سابقاً، جيم قاهرية، أي كاف مجهورة /g/، والكاف المجهورة، كالكاف غير المجهورة، من الأصوات "القمرية" لأنها صوت طبقي (أقصى حنكي) velar. وقد احتفظت الفصحى بالجيم صوتاً "قمرياً" رغم انتقال مخرجها من الطبق إلى الغار. وهي بهذا تشبه الإدغام بغنة مع الياء والواو في أحكام التجويد، كما في "منْ يعمل" و"مِنْ واقٍ"، فقد ظلّت الغنة موجودة رغم تحوّل النون الساكنة إلى ياء في المثال الأول وواو في المثال الثاني . (انظر: داود عبده، دراسة في بعض أحكام التجويد).

(10) الرأي الشائع الذي يقول إنّ التاء المربوطة تتحول إلى هاء عند الوقف ليس صحيحاً. فالتاء المربوطة تختفي من اللفظ اختفاء تاماً ولا تتحول إلى هاء. ولو كان الأمر كما يظنّ أصحاب هذا الرأي لظهرت الهاء عند اتصالها بكلمة تالية، أي لكانت العبارة السابقة "قضيتُ الليلهِ الماضية" (قارن: أين نبيهِ العالم؟، حيث تظهر الهاء).

(11) جدير بالذكر أن قاعدة التقصير هذه، وهي قاعدة صوتية من قواعد الفصحى (أجابْتُ، مثلاً، تصبح أجبْتُ، ويقولْنَ تصبح يقُلْنَ الخ.) لم تعد فاعلة في وسط الكلمة في معظم اللهجات العامية، ولكنها لا تزال موجودة في اللهجة المصرية. أما بين كلمتين، فهي موجودة – فيما أعلم – في جميع اللهجات. نقول "أبوه" دون تقصير، ولكن "أبُ لْعَلاء (أبُلْعلاء)، و"فيه"دون تقصير، ولكن "فِلْبَيْتِ".

(12) استعمل العرب: "قَطْني" و"قَطْكَ" بمعنى "حسْبي" و"حسْبكَ"، أي "كفاني" و "كفاكَ" (انظر: الوسيط والإنصاف: المسألة الخامسة عشرة). ومن الطريف أنّ بعض النحويين يقولون إنّ الفاء "لتزيين اللفظ"!! (انظر: إميل يعقوب، موسوعة الحروف في اللغة العربية: حرف الفاء).

(13) الأبيات الثلاثة هي:

يقولون لي ما أنت في كلّ بلدة وما تبتغي؟ ما ابتغي جلّ أن يُسَمّى

(صحّحها في حلقة تالية فقال:"يُسْمى")

- إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإذا أنت أكرمت اللئيم تمرّدا (وإنْ أنت)

-نامت نواطيرُ مصرَ عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيدُ

(وهذا تصحيح نحوي كأنّ المتنبي (الشاعر) لم يكن يعرف أن "مصر" ممنوعة من الصرف.)

(14) يبدو أن كثيرين لا يعرفون القاعدة، وهي أن اسم المكان من الفعل الثلاثي يُشتق من المضارع، فإذا كان المضارع مكسور العين، مثل يجلِس ويرجِع ويعرِض ويصرِف، فإنّ اسم المكان يكون مكسور العين: مجلِس ومرجِع ومعرِض ومصرِف الخ. وإذا لم يكن المضارع مكسور العين فإنّ اسم المكان يكون مفتوح العين (سواء أكان المضارع مفتوح العين أم مضمومها):ملعَب ومركَب ومدخَل ومقعَد الخ).

(15) المقصود بـ "الهمزة الزائدة" أنها واقعة بعد لام الكلمة، مثل وزراء وعلماء وأصدقاء، أي أنها ليست لام الكلمة، مثل نبأ وخطأ، أو منقلبة عن لام الكلمة، مثل عضو ورجاً (كلمة "رجا" تعني "ناحية" ومثناها "رجَوان"، لأنّ أصل "رجا": "رجو"). وبما أنّ الهمزة هي لام الكلمة في أنباء وأخطاء ومنقلبة عن واو في أعضاء وأرجاء، فإنّ هذه الكلمات الأربع ليست ممنوعة من الصرف.

(16) ومن الأمثلة التي سجّلتها: العلاقات بين الدول العربية كما العلاقات بين الدول الأخرى لا تخلو من التوتّر، وفوجئت بهذا كما العديد من الآخرين. والصواب عدم إضافة "ما" بعد الكاف إذا كان ما يليها اسما. نقول: الشعب كالحكومة. ولكن نضيف "ما" في مثل: ذهب كما ذهب غيره. وفي الدول العربية كما في الدول الأخرى.

(17) الصواب: إنذارا وفارا لأنّ كلا منهما مفعول به ثانٍ. (المفعول به الأول في الحالتين هو نائب الفاعل المستتر (المحذوف): "هي" في المثال الأول و"هو" في المثال الثاني).

(18) لعلّ هذا الخطأ ناتج (جزئياً على الأقلّ) من اعتبار الموقع الإعرابيّ كلمة مفردة في كتب النحو العربي بدلاً من اعتباره مكوّناً جملياً بصرف النظر عن عدد كلمات ذلك المكوّن الجمليّ. فالمبتدأ في مثل "الطالب المجتهد نجح" ليس "الطالب" بل "الطالب المجتهد". والمبتدأ في جملة "الطالب الذي غادر القاعة قبل قليل نجح" هو "الطالب الذي غادر قبل قليل". ومما يدلّ على ذلك أننا إذا حذفنا المبتدأ في الجملتين السابقتين فإنّ كلّ المكوّن الجمليّ يُحذف، ويحلّ الضمير "هو" محلّه، وليس محلّ "الطالب" وحده، وتصبح الجملتان السابقتان: هو نجح. وكذلك إذا حذفنا المفعول به في جملة "هل رأيت الطالب المجتهد؟" أو جملة "هل رأيت الطالب الذي كان هنا؟" ووضعنا محلّه ضميرا فإنّ الجملة تصبح "هل رأيته؟"، لا فرق بين "رأيت الطالب" و "رأيت الطالب المجتهد" و"رأيت الطالب الذي كان هنا". وهذا لا يتعارض مع تقسيم

المكوّن الجملي إلى الأجزاء التي يتألّف منها. فـ "الطالب المجتهد"، مثلا، يتألّف من موصوف وصفة، وكلاهما ينتهي بالحركة ذاتها تطبيقاً لقاعدة المطابقة بين الموصوف والصفة. انظر: داود عبده، "مكانة قواعد اللغة العربية في تدريس المهارات اللغوية" في: **تدريس مهارات اللغة العربية** ، إعداد وتحرير: غسان إسماعيل عبد الخالق، جامعة فيلادلفيا، 2002.

(19) انظر: الحاشية الثامنة وقارن تلك القواعد بالقواعد التي يتعلمها الطالب في المدرسة عشر سنوات أو أكثر دون أن يتقنها، مثل قواعد حركات الإعراب أو التمييز بين مواقع استعمال همزة الاستفهام و"هل" أو قواعد العدد الخ.

(20) لعلّ ما دفع النحويين إلى اعتبار "غير" النافية والصفة المنفية التي تليها مضافاً ومضافاً إليه أنّ تلك الصفة مجرورة، وهو سبب غير كافٍ. فـ"غير" أداة نفي وما بعدها منفيّ (مجرور)، فكما أنّ "لم" أداة نفي تجزم الفعل المضارع بعدها، و"لن" أداة نفي تنصب الفعل المضارع بعدها، و"ليس" أداة نفي ترفع المبتدأ بعدها وتنصب الخبر، فكذلك "غير" أداة نفي تجرّ الصفة المنفية بعدها.

(21) انظر الفصل السابع "اسم الموصول اسم هو أم أداة للتعريف؟" في: داود عبده، **أبحاث في اللغة العربية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1973.

(22) انظر: نهاد الموسى، **أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية**، ص26.

(23) من أمثلة ذلك: قال الرئيس الماليزي إنّ الدول الضعيفة تتعرّض لإرهاب الدول القوية على حدّ قوله. وقال أيضا: إنّ الفلسطينيين يتعرّضون للظلم والعدوان على حدّ قوله. ومن أمثلتها قول أحد المذيعين: ... سمّاها نوايا شريرة على حدّ تعبيره. وقول آخر:

...وصَف إسرائيل بأنها دولة خارجة على القانون على حدّ قوله.
وكان أحدهم يقرأ أقوال الصحف، وعندما قرأ قول صحيفة معيّنة "السياسة الحمقاء" (وصفاً لسياسة إحدى الدول) أضاف: "على حدّ تعبير الصحيفة"! فأمثال هؤلاء المذيعين والمراسلين لا يعتبرون "قال فلان" و"سمّى" و"وصف" كافية لتبرئة ذمتهم! .

المحاضرة الرابعة

التحديات الداخلية التي تواجه اللغة العربية في العصر الحاضر
من حيث نحوها وصرفها وإملاؤها

الدكتور جعفر عبابنة
أستاذ علم اللغة– الجامعة الأردنية

الثلاثاء 25 ربيع الأول 1424 هـ- 27 أيار 2003م.

يعاني العالم العربي اليوم من مشكلة لغوية تمتد آثارها إلى مناحي حياتنا الثقافية عامة. فعلى الرغم من جهود مؤسساتنا التعليمية في مرحلة ما قبل الجامعة والمرحلة الجامعية نفْسها ما زالت الحصيلة اللغوية لدى أبناء العربية قليلة لا تكسبهم المهارة اللازمة للتعبير السليم والكتابة الصحيحة. وأسباب هذه المشكلة كثيرة متعددة، ولكنَّ جانباً منها يعود إلى طبيعة الدرس النحوي وطبيعة الدرس الصرفي ومسائل الرسم الإملائي.

أما الدرس النحوي التقليدي فقد اتسم عبر القرونِ الماضية وحتى اليوم بأمور ضَخَّمَتْ كتبه وجعلت الانتفاع بها ضئيلاً. فقد أقيم البناء النحوي التقليدي على أساس من نظرية العوامل والمعمولات التي تنطوي على كثير من التفصيلات كتقسيم العوامل إلى لفظية ومعنوية وأصلية وفرعية، والحديث عن إعمالها وإلغائها وتعليقها واختصاصها وقوتها وضعفها وتقدمها وتأخرها وحذفها وذكرها، وتقسيم المعمولات إلى عمدة وفضلات، والحديث عن الفعل المفسِّر، وصوغ بعض الأحكام المتعلقة بها، كالعمل من جهة واحدة ومن غير جهة، وتسلّط العامل، وما يؤثر فيما بعده ولا يتأثر بما قبله، وما يجوز أن يعمل فيما قبله وما لا يجوز، والتعليق بالمشتقات، وعدم توالي عاملين على معمول واحد، وعدمِ جواز العطف على معمولي عاملين مختلفين، والعاملِ بنفسه أو بالواسطة أو بتقوية عنصر نحوي آخر، والحديثِ عن أُمِّ الباب وهي الأداة التي يتمثّل فيها عملُ الباب خير تَمثُّل كأَنْ في نواصب المضارع وإنْ في أدوات الشرط، والحديث عن العوامل المشتقة والعوامل الجامدة المضمَّنَة معنى المشتقة، وغير ذلك من الأمورِ التي أثقلت الدرسَ النحوي.

وقريب من هذا إقامةُ البناء النحوي على أساس الإسناد ورُكْنَيْه وهما المسنُد والمسنُد إليه. وهذا أساسٌ سليم لأن توافر ركني الإسناد يعني تمام الكلام وفائدته وهو ما نبتغيه من كل تركيب نحوي، ولكنهم بالغوا في التّحرّي عن ركني الإسناد في كل تركيب من تراكيب العربية حتى التراكيب الانفعالية مثل التعجب والندبة والتراكيب الإنشائية الأخرى كالنداء وما إلى ذلك فاستحالت من تعابيرَ انفعاليةٍ شعورية، إلى تعابير إخبارية تحتمل الصدقَ والكذب، مع ما كان يسببه ذلك من الخلط بين تقدير الإعراب وتقدير المعنى.

ومن ذلك الإكثارُ من العلل البعيدة التي لا تستند إلى حقائقِ اللغة نفسِها. فما يُسَمَّى بالعلل الثواني والثوالث هو في كثيرٍ من الأحوال ضربٌ من الخيال وإغراقٌ فيه، وليس له قوةٌ تفسيرية كبيرة تساعد على التعلم والتعليم.

ويتصل بذلك التقسيماتُ العقليةُ المنطقيةُ التي جعلت القدماءَ يفترضون أشياءَ لا وجودَ لها أصلاً، ويقدِّرون ما ليس مستعملاً فعلاً، ويتحدثون عما حَقُّه أن يوجدَ ولكنه ليس موجوداً. بل لقد أدى وَلَعُهم بالتقسيمات العقلية إلى صنعِ جملٍ لاستيعاب تلك التقسيمات، وافتراض وجوهٍ من التعبير غير موروثة عن العرب ولم يجر بها استعمال. وقد كان من ثمرة التقسيمات العقلية، مع الإغراق في تطبيق نظرية العوامل، ما نراه من صورِ التعبير الفاسدة التي تُنْكِرُها الأساليبُ العربيةُ الفصيحةُ في أبواب الاشتغال والتنازع والاستثناء، وحتى في بابي المبتدأ والخبر ونائبِ الفاعل وغيرها من الأبواب.

ومن ذلك إيرادُ أبوابٍ لا يقصد بها سوى الرياضة العقلية البحت كباب الإخبار بالذي وفروعه وبالألف واللام، وإيرادُ خلافات طويلةٍ حول مسائل جزئيةٍ غير ذاتِ بال ولا صلة لها بتنمية القدرة التحصيلية لدى الطالب. وغالباً ما تتضمن تلك الخلافات ألواناً متنوعة من الحجاج المنطقي والفقهي، فتتركُ الطالبَ حائراً بين الآراء المتضاربة والمذاهب المتناحرة.

ولا يقل خطراً عن ذلك العنايةُ بالشاذ من الشعر والقراءات واللغات القليلة بتأويلاته الكثيرة حتى أوشك الشذوذُ أن يكون محور مناقشات القدماء واهتماماتِهم. ولم يأت إيرادُهم للشاذ ضمن نظريةٍ عامة تتعلق بفهم الخطأ والصواب، ولم يكن صورة من صور الوصفية بقصد التوسعة على المتكلمين، بل جاء في معظم الأحيان طامساً القواعد المقررة ومسبباً من الاضطرابِ وتشتتِ الفكرة الشيءَ الكثير.

وثمة أمرٌ آخرُ متفرعٌ عن نظرية العوامل والمعمولات وهو العنايةُ الزائدة بالإعرابين المحلي والتقديري وتعيينُ ما لَهُ مَحَلٌّ من الإعراب وما ليس له مَحَلٌّ من الإعراب.

ولقد أدى هذا كلُّه إلى ازديادِ الشكوى من صعوبة النحو، وظهور اتجاهات جديدة في معالجة المشكلة ولكنَّ بعضَها نشأ تأثّراً بما استجد لدى الغرب من دراسات لغوية. ويمكن أن نحصر كُلَّ الجهود التي قامت لتجديد النحو، أو تيسيره في ثلاثةِ اتجاهات: الاتجاهُ الأولُ متأثرٌ بالنظرية التوليدية التحويلية وتفريعاتها وهي رياضة عقلية بحتة ونظر عقلي صرف وفلسفة، ولذلك أخفق هذا الاتجاهُ في إصدار كتاب تعليمي واحد حتى الآن. وهذا دليلٌ على أن هذه النظرية لا تلائم جهودَ الإصلاح والتيسير في النحو.

والاتجاهُ الثاني أَدْخَلَ ألواناً من التيسير أبرزُها: دمجُ أبوابٍ في أبواب أخرى، وحذفُ الشاذِّ وبعضِ الأبواب كبابي التنازع والاشتغال والتمارين غير العملية، وعدمُ المبالغةِ في التعليل أو تَحَرِّي أثرِ العامل في الإعراب (أقصد الإعراب المحلي والإعراب التقديري)، وتقليلُ التفصيلات الإعرابية، وإيرادُ أمثلةٍ جديدةٍ حيّة مرتبطةٍ بالحياةِ العملية، والتقليلُ من التفريعات الجزئية التي لا ضرورةَ لها، والاقتصار على مصطلحاتٍ ثابتة للتخلص من مشكلةِ تعدّدِ المصطلحات، وإبرازُ الأنماطِ والأنساق التركيبية السائغة. وقد استندت معظم الأعمال في هذا الاتجاه إلى المنهج الوصفي وركنت في التحليل والنقاش النحويين إلى المدرسة البنيوية. وقد كان لهذا الاتجاه أثرُه المحمود، ولكنه انساق إلى التبسيط الشديد فأدى إلى خَلْقِ الاتجاهِ الثالث.

والاتجاه الثالث بالَغَ في التبسيط والتيسير في الإعراب وخاصةً في ممارساتِ الإعراب لدى المعلمين، كقولهم في إعراب جملةٍ مثل: ذهبَ الولدُ إلى المدرسة مسرعاً: إن ذهب فعل ماضٍ، والولد فاعل، وإلى حرف جر، والمدرسة اسم مجرور، ومسرعاً حال، ولا يذكرون هنا أن (الولد) فاعل للفعل (ذهب)، وأن شبه الجملة (إلى المدرسة) متعلق بـ(ذهب) وأنه من تمام معناه، ولا يقولون إن (مسرعاً) هي حال من (الولد) تبيِّنُ كيفيةَ ذهابهِ إلى المدرسة. وعلى هذا قِس.

وواضحٌ أن مثلَ هذا الإعراب هو مبالغةٌ غيرُ محمودةٍ في التبسيط، ويُمزِّق أوصالَ الجملةِ الواحدة، ولا يُبَيِّنُ العلاقاتِ التي تربط بعضَها ببعض. وخطورة ذلك في عدم الإمساك بالفكرة الأساسية للنحو العربي، وهي أن الجملة شبكةٌ من

العلاقات التي يجب إبرازُها وبيانها. إن أيةَ محاولةٍ للتيسير يجبُ ألاّ تُفَكِّكَ أوصالَ الكلام، وأن تدركَ العلاقة بين مُكَوِّنات الجملة، وأَنَّ الجملة هي عبارةٌ عن شبكة من العلاقات التي توصل المعنى تاماً واضحاً. وفي رأيي أَنَّ أيةَ محاولةٍ للتيسير يجب أن تقومَ في كل مستوياتها ومراحِلها على تصور واضح لبنية النحو العربي يُغْرَسُ في ذهن الطالبِ العربي منذُ الصغر، يراعى ضمناً في تأليف الكتب المدرسية وفي التدريس الفعلي.

وبسبب هذا كله سأورد هنا تصوراً كلياً لما ينبغي أن يكون عليه الدرس النحوي. وهو يمتاز بأنه لا يلتفت إلى القشور بل ينفذ إلى جوهر النحو وعلاقاته الأساسية التي كان عدم فهمها لدى الطلاب –ولا يزال– يَخْلُقُ مشكلاتٍ حقيقيةً هي من أبرز مشكلاتِ تعلّمِ العربية. وهو يلتقط جزئياته من صورةِ النحو القديمة بعد إعادةِ تشكيلِها وتنقيتِها من الشوائب، ومن علم المعاني، وخاصة مبحثَ التقييد والإطلاق، ويأخذُ ببعض النتائج اللغوية الحديثة من غير أن يثقل كاهلَ الطالب بأنواع من حجاجِ المدارس والمذاهبِ اللغوية المختلفة، ويُبَسِّطُ النحوَ بِرَدِّ أبوابِهِ إلى ظواهرَ محدَّدة، وهو يصلح أساساً لوضعِ مناهجَ للنحو العربي متدرجةٍ من حيث العمقُ والشمول.

وهو يفترض أن لبنةَ النحوِ الأولى وهي الجملة تتكون من نواة (أو مركز) ومحيط، وأن المحيط يتألف من عدة طبقات.

وأما النواة فهي علاقةُ إسنادٍ اسميةٌ أو فعلية. وتتكون علاقةُ الإسنادِ الاسميةُ من مبتدأ وخبر. ويملأ خانة المبتدأ الاسم الصريح أو المصدر المؤول. ويملأ خانة الخبر الاسم الصريح أو جملة فعلية أو جملة اسمية أو المصدر المؤول أو شبه جملة. وتتكون علاقةُ الإسناد الفعليةُ من فعل وفاعل (إذا كان الفعل مبنياً للمعلوم ولازماً)، ومن فعلٍ وفاعل ومفعولٍ به واحدٍ أو أكثر (إذا كان الفعل مبنياً للمعلوم ومتعدياً)، ومن فعلٍ مبنيٍّ للمجهول ونائبِ فاعل هو مفعولٌ به في الأصل.

وأما المحيط فيتكون كما قلنا من طبقات عدة: أولاً: العوامل والمكملات، وهي أفعالٌ وحروف وأدواتٌ وأسماء تدخل على علاقة الإسناد الاسميةِ أو الفعليةِ

أو كلتيهما فتضيفُ إليها معانيَ جديدة غير ما تدلُّ عليه علاقةُ الإسنادِ الأصلية، محدثةً في بعض الأحيان بعضَ الآثار والتغييرات اللفظية. وتكون تلك العوامل والمكمِّلات عن يمين الجملة وعن يسارها. فمن العناصر التي تكون عادة يمين الجملة ما يسمى بنواسخ المبتدأ والخبر على اختلاف أنواعها ومعانيها، وأدواتُ النفي والاستفهام والأمرِ والنهيِ والعرضِ والتحضيضِ والنداءِ والقسمِ والتعجبِ وما إلى ذلك. ومن العناصر التي تكون يسارَ الجملة المفعولُ لأجله والمفعولُ معه والمفعول المطلق والحال والتمييز والمستثنى. وقد تكون المكملات يسارَ الجملة كالحال مثلاً مفرداتٍ أو جملاً أو أشباه جمل. ومن الملاحظ أن العوامل التي تكون يمين الجملة تكيّف معنى الإسناد ككل، على حين أن المكملات في يسار الجملة قد تكيف ركناً من أركان الجملة لا كُلَّها؛ ففي قولك: هل الأرض كرويةٌ؟ تسأل عن كروية الأرض وهو المعنى المستفاد من الإسناد ككل. ولكن في قولك: لَبِسْتُ خاتماً ذهباً، يكيِّف التمييز (ذهباً) خاتماً، وليس لبست. وينظر إلى العوامل هنا على أنها عناصر تفيد تحويراً في المعنى العام الذي يفيده الإسناد، وقد تحدث أثراً لفظياً ما، وهذا يقلل من سلطانها لدى القدماء.

ثانياً: عناصر الموافقة، وهي عناصر في الجملة تطابق عناصرَ أخرى منها سبقتها، من حيث التذكيرُ والتأنيثُ والتعريفُ والتنكرُ والإفرادُ والتثنيةُ والجمعُ والحالةُ الإعرابيةُ من رفع ونصب وجرٍّ وجزم، ومن حيث الحكمُ المعنوي. وفائدتها إحكامُ الربطِ بين أجزاءِ الجملة وبيانُ العلاقات الحميمة أو الوثيقة التي تقوم بين عناصرها. وتبرز علاقات الموافقة هذه بوساطة النعت والتوكيد وعطف النسق والبدل وعطف البيان والضمير واسمي الإشارة والموصول.

ثالثاً: التعلق وهو من تمام المعنى ويتحقق بوساطة الظرف والجار والمجرور. ففي قولنا ذهبت إلى المكتبة، وأحضرت الطعام من البيت، وأراك غداً، يتمم الجار والمجرور والظرف معنى الفعل ويوضحانه.

رابعاً: الروابط وهي عناصر في الجملة تصل أجزاءَها بَعْضَها بِبَعْض. ومن هذه العناصر الموصولاتُ الحرفية (أَنْ وأَنَّ وكي وما ولو) وواوُ المصاحبة وواوُ المعية. ويعد كُلٌّ من علاقاتِ الموافقةِ والتعلق من روابطِ الجملة أيضاً. وحينما

تستدعي المواقفُ اللغوية أن نُعَبِّرَ عن المعاني المختلفة بجمل تتركب هي نفسُها من جملٍ فرعية، نحتاج كذلك إلى روابطَ تربط كلَّ ما يقعُ في نطاق الجملة المركبة الواحدة من جمل فرعية بعضها ببعض. ومن هذه الروابطِ الضميرُ والفاءُ واللامُ الواقعتان في جواب الشرط، وحروفُ العطف، وإذا الفجائيةُ، وفاءُ السببية، وواوُ الحال، وإذن الناصبةُ وغيرُ الناصبةِ، والفاء الواقعةُ بعد نفي أو طلب محضين، ولامُ جوابِ القسم، ولامُ التعليل، ولامُ العاقبة (لامُ الصيرورة). وتتطلب الوحدات الكلاميةُ الكبرى هي الأخرى روابطَ فيما بينها، وذلك من مثل أدواتِ الربط الأسلوبية التي تربط جملةً مركبة بأختها، أو فِقرةً بنظيرتها.

وهكذا نرى أن الجملة العربية تمتد ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال وتتشابك أبنيتها وقد تتركَّبُ وتتعقد، ولكنَّ المحورَ فيها يبقى علاقةَ الإسنادِ الأساسيةَ اسميةً كانت أم فعلية. وما النسيجُ المتعاظم حولها إلا تقييدٌ للمعنى الذي يفيده الإسناد أساساً، بوجه مخصوص.

والجديرُ بالذكر أن الجملةَ العربية صالحة لإبراز المعاني الحقيقية والمعاني المجازية، بالوسائلِ والقوالب والتراكيبِ نفسها، إذا لا تغيير في هيئة الجملة للدلالة على أن المعنى حقيقي أو مجازي.

غير أنه ينبغي التفريق بين مستويين من النحو: مستوى التبليغ ومستوى البلاغة. ففي مستوى التبليغ يكون الهدف منصباً على إيصال المعنى إلى المخاطب من أوضح طريق على ما تتطلبه طرائق النحو الأصلية، وهي التي يراعى فيها الترتيب والذكر (إلا إذا اقتضت هي نفسها خلاف ذلك)، ويكون المعنى في ذلك المستوى قريباً من المعنى الحقيقي كما تدل عليه استعمالات الألفاظ في المعجم.

وفي مستوى البلاغة يكون الهدف منصباً على التبليغ والتأثير معاً، أي إبراز المعنى في صورة مؤثرة في النفس، وهنا تستعمل كل الاحتمالات النحوية الممكنة من التقديم والتأخير، والذكر والحذف، وأساليب القصر والإيجاز والإطناب والمساواة، والاتساع في الظرف والجارّ والمجرور، وإبراز المعنى في صور شتى

متفاوتة من حيث الوضوح. وهذا المستوى يظهر مدى مهارة الكاتب أو القائل في استغلال جماليات المعجم باختيار الكلمات الموحية ذات الظلال الغنية والمناسبة للمقام تماماً. فالكاتب البليغ هو ذلك الذي يستغل أقصى طاقات النحو وأقصى طاقات المعجم. لكنه في جميع الأحوال لا يصنع نحواً جديداً بل يتحرك في إطار المسموح به.

ولاكتمال هذا التصور الكلي للنحو العربي نقول: إن الأصلَ في الجملة العربية الترتيب، وهو أن يكون للكلمات فيها مواقعُ محددة لا يُعْدَلُ عنها إلا لأسباب تقتضيها متطلباتُ النحوِ نفسِه، ككون الخبر اسمَ استفهام له الصدارة مثلاً، أو لأغراض التنويع الأسلوبي والتلوين المعنوي.

والأصل في الجملة العربية كذلك ذكرُ جميعِ أركانِها فلا يُحْذَفُ ركنٌ من أركانها أو جزءٌ من أجزائها إلا حَسْبَ طرائقِ العربِ في القول ومذاهبِهم واختياراتهم، أو لغرض معنوي أسلوبي، مع وجود قرينة تدل على المحذوف وتُعَيِّنهُ، وهي دليلٌ حالِيّ أو مقاليّ.

وثمة مباحث نحوية صرفية مشتركة يجب أن تُجْعَلَ في تصنيف واحد وأن تُجْعَلَ مقدماتٍ لهذا التصوّر الكلي.

وهي مباحثُ أقسامِ الكلمة، والتذكيرِ والتأنيث، والتعريف والتنكير، والإفرادِ والتثنية والجمع، والإعراب والبناء، والإضافة وعدمِها، وزمنِ الفعل؛ فأقسامُ الكلمة تحدد ما يصلح منها لأن يكون مبتدأ وما يصلح لأن يكون خبراً، ومن أقسام الكلام ما هو صالح للربط بين أركان الجملة الواحدة ومنها ما هو غير صالح، وللتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع أهمية قصوى في مسألة المطابقة وعلاقاتِ الموافقة التي تربط بين أجزاءِ الجملة الواحدة. زد على ذلك أن للتعريف والتنكير أهمية في تحديد شروط المبتدأ وتعيين الخبر وصوغ بعض الأحكام التي تتعلق بتقديمه أو تأخيره. والإعراب والبناء يُبَيِّنان كيف تتحقق الحالاتُ الإعرابية حسياً. والإضافة تفيد الاسم النكرة تخصيصاً فيصلحُ وهو مضافٌ لوظائفَ في الجملةِ لا يصلح لها وهو غيرُ مضاف، وزمنُ الفعل أمرٌ

أساسي جداً في الجملة الفعلية، وعليه تعتمد كثير من الأحكام النحوية المتعلقة بإعمال اسمي الفاعل والمفعول عمل فِعْلَيْهِما. وهذه المقدماتُ تدخل في تحديد شروط أبواب النحو كُلِّها تقريباً وفي صياغة أحكامها، كالقول إن الحالَ والتمييز يجب أن يكونا نكرتين... وما إلى ذلك.

وربما كان مستحسناً من الناحيتين العملية والتنظيمية أن نفصل بعضَ التراكيب مثلُ النداء والندبة والاستغاثةِ والتعجبِ والقسمِ والمدحِ والذم وأسماءِ الأفعال والأصوات والمصادرِ المثناة أو المفردةِ المضافة مثلُ سعديك ولبيك وحنانيك ومعاذَ الله وسبحان الله، وأن ندرسها في بابٍ واحدٍ مستقل، ذلك لأنها كُلَّها أساليبُ انفعاليةٌ شعورية، ولأنها تستعصي في بعض الأحيان على التحليلِ اللغوي، ويكثر الخلافُ حول عناصِرِها وحَوْل سماعيةِ بَعْضِها وقياسِيَّتِه.

وربما كان مستحسناً أيضاً إلحاقُ المنصوبات في أبواب الاختصاص والإغراء والتحذير بالمفعول به لأنها كُلَّها مفاعيلُ لأفعالٍ محذوفة، وقد اكتسبت تلك الأبوابُ أسماءَها من معاني تلك الأفعال المحذوفة.

وأما الدرس الصرفي فقد حصر الصرفيون مباحثه في الفعل المتصرف والاسم المعرب، فلم يشملوا سائر الأفعال والأسماء ولا الحروف. وكان الأحرى بهم أن يشملوا في دراستهم كل أقسام الكلام ويصنِّفوها في فصائل نحوية صرفية تخدم العلاقة بين النحو والصرف، وألاّ يقصروا كلامهم على موضوع التغيّر الذي يصيب بنية الكلمة.

وتحدثوا عن الاشتقاق الكبير والأكبر وقد كانا تاريخياً منتجين وأصبحا الآن غير ذلك فمن الفضول الحديثُ عنهما. وحصروا الاشتقاقَ فيما يُسَمَّى بالاشتقاق الصغير الذي لم يتوسعوا في مفهومه حتى يشمل أنواعاً أخرى غير المذكورة عندهم، وذكروا الخلافات في أصل هذا النوع من الاشتقاق أهو الفعل أم المصدر وهي خلافات لا طائل تحتها. بل لم يتوسعوا في مفهوم الاشتقاق عموماً، ولم يدركوا أنه عملية توليد، وأنها يمكن أن تشمل ثلاثة أقسام: توليدُ صيغٍ أو أوزانٍ من

جذور معجمية، وتوليدُ صيغٍ من صيغٍ أخرى وهو ما يعرف بالنقلات الصرفية، وتوليدُ ألفاظ بإضافة اللاحقة فقط.

ويقوم النوع الأول من الاشتقاق على صَبِّ حروف الجذر في قوالبَ أي أوزانٍ مختلفة لمعانٍ مختلفة. والمقصود بالجذر هنا هيكل صامتي يحمل مَعْنىً معجمياً عاماً. والمقصود بالوزن امتداد من خانات محددة لحروف الجذر بترتيب مُعَيَّن، وللحركات أو الصوائت، ولحروف الزيادة إن وجدت. والأوزان المحصلة بهذه الطريقة يفيد كلّ منها معنى معجمياً خاصاً مستفاداً من المعنى المعجمي العام الذي يفيده الجذر، ويدل على قسم رئيس أو فرعي من أقسام الكلام، كما يدل على معنى خاص يستشف من بنيته كالمبالغة والفاعلية والمفعولية وما إلى ذلك. والزوائد الموجودة في هذه الأوزان المولدة بهذه الطريقة مندغمة في بنية الكلمة، وجزء لا يتجزأ منها، وإذا حُذِفَت اضْمَحَلَّتِ الكلمةُ وانطمست معالمُها.

ونحصل بهذه الطريقة من الاشتقاق –أي صَبِّ مادة الجذر في قوالِب الأوزان– على صيغِ الفعل مجردةً ومزيدة واسمِ الفاعل واسمِ المفعول وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسمِ التفضيل والمصدرِ الميمي واسمي الزمان والمكان واسمِ الآلة واسمي المرةِ والهيئة والمصادر.

ويشبه هذا النوعُ من الاشتقاق الاشتقاقَ الصغير عند الصرفيين العرب، ولكنه يختلف عنه في أنه لا يهتم بأصل الاشتقاق بل بآليته، ويجعل الفعلَ والمصدرَ معاً مشتقين كسائر المشتقات. ويمكن بوساطته أن نؤسس لعائلة اشتقاقية لكل من الكلمات العربية الجامدة وللكلمات الأجنبية كذلك.

والنوع الثاني من الاشتقاق هو نَقَلاتٌ صرفية وفيها تنتقل الكلمةُ من وزنٍ هو أصل إلى وزنٍ هو فرع في إطارِ تقابلاتٍ في فصائلَ نحويةٍ محددة، وإن كان ثمة تطابقٌ تام بين حروف الجذر في الأصل والفرع. ولكنَّ هذا النوع من الاشتقاق يختلف عن النوع الأول في أن الانتقالَ فيه لا يتم من الجذر إلى الوزن، بل يكونُ الانتقال فيه من وزنٍ إلى آخر. ومن أمثلته في العربية تَحَوُّلُ المفرد إلى جمع تكسير، وغير المصغَّرِ إلى مُصَغَّر، والماضي إلى مضارعٍ وأمر، والمبنيِّ للمجهول إلى مبنيٍّ للمعلوم، والمذكَّرِ على وزن فَعْلان إلى مؤنثه فَعْلى، وعلى وزن

أَفْعَل إلى فَعْلاء، واسمِ التفضيل المذكر أَفْعَل إلى مؤنثه فُعْلى. ولا يمكن الحديث هنا عن قوانينَ صوتيةٍ محدَّدة تحول المفرد مثلاً إلى جمع تكسير، والمذكَّرَ إلى مؤنَّث، وغيْرَ المصغَّرِ إلى مُصَغَّر والمبنيَّ للمعلوم إلى مبنيٍّ للمجهول، والماضي إلى مضارعٍ وأمر بل يمكن الحديثُ عن ارتباطات معيّنة بين أوزان معيّنة تجعل العلاقةَ بينها علاقةَ مفرد بجمعه ومذكر بمؤنثهِ...إلخ. إن التغيراتِ اللفظية الملحوظة هنا ليست نتيجة قوانينَ صوتيةٍ كالتي تحول البنية العميقةَ في الاشتقاق الأول إلى البنية الظاهرة المستعملة (مثل تحويل قَوَل إلى قال وبَيَع إلى باع...) بل إنها نتيجةُ ارتباطاتٍ معينة تربط ما بين صيغةٍ وأخرى ربطاً بين متقابلين في فصيلة نحوية واحدة، كالعدد والجنس والزمن أو الجهة مثلاً. فتحويل (قَوَل) إلى (قال) مثلاً، لا يخرجها عن أصل نوعها وهو الماضي، لكنَّ تحويلَ (قال) إلى (يقول) و(قل) هنا يخرجها من المضيِّ إلى صورتين أخريين تحملان بذور زمني ن مختلفين. غير أن الصرفييّن العرب قد خلطوا ما بين هذين النوعين من التغيرات.

والنوع الثالث من الاشتقاق يتم بإضافة اللواحق، وهي زوائد طرفية لا تؤثر غالباً في بنية ما ألحقت به. وتسمى لهذا زوائدَ إعرابية لأن سقوطَها لا يضيع هويةَ الكلمة. وينتج بهذه الطريقةِ التأنيثُ بإضافة التاء، والتثنيةُ، وجمعُ المذكر السالم، وجمعُ المؤنث السالم، والنسبةُ، والمصدرُ الصناعيّ، واسم الجنس الإفرادي (نمل– نملة)، واسمُ المرة من مَصْدَرِ غير الثلاثي (انطلاق– انطلاقة)، وبعضُ أنواعِ الجموع القديمة (صنْو– صِنْوان، قِنْو– قنوان، سابل– سابلة، سيّار– سيّارة، راجل– راجلة)، والمبالغة (نابغ– نابغة)، وزيادةُ المبالغة (علاّم– علاّمة). وفي كل ما سبق يُعَدُّ ذو اللاحقة فرعاً على الأصل وهو الاسم قبل اللاحقة.

ولم يدرك الصرفيون العرب حقيقة المدّ وأن حروف المدّ هي حركاتٌ أو صوائتُ طويلة، بل تصوروها ساكنة ومسبوقة بحركات من جنسها، وقد تصوروا نتيجة لذلك حالات وهميةً لالتقاء الساكنين، لأنه مبني ولم يكن تفسيرهم لبعض السلوكات الصرفية والتغيرات الصوتية صحيحاً لأنه مبني على هذين الوهمين. وممّا زاد الطين بِلَّةً أنهم لم يدركوا أهمية المقطع في تحديد البيئات الصوتية المناسبة لعمل بعض القواعد الصوتية. لا بل إنهم أتوا بفكرة الحاجز غير الحصين فأوقعتهم في كثير من الخطأ في تفسير التغيرات الصوتية.

ولم يُعَنِّ الصرفيون أنفسَهم برسم خطٍّ فاصِل بين الوزنِ الإيقاعي الذي استخدموه في التصغير وجمع التكسير (في صيغة منتهى الجموع) والوزن الصرفي الذي استخدموه في مواضِع أخرى.

ولم يُوَثِّق الصرفيون صلة الصرف بالنحو، وهي صلة وثيقة تبرز في غير موضع، ربما لأنهم أرادوا الحفاظ على استقلال العلوم بعضها عن بعض. من ذلك أن التأنيث والتثنية والجمع أمورٌ مهمة في علاقات الموافقةِ النحوية، وأن تعديةَ اللازم والبناءَ للمجهول مهمان في تركيب الجملة العربية، وأن المشتقات نوعان: وصف يصلح أن ينعت به، وموصوف يصلح لأن يُنْعَت، وأن بعضَ المشتقات كاسم الفاعل والمفعول وصيغِ المبالغة والصفة المشبهة واسم التفضيل والمصدر تعمل عمل الفعل بشروط، وأن النسبة تجعل المنسوب كالصفة المشبهة فيأخذُ فاعلاً، وأن النكرة المصغرة كالموصوفة تصلح لأن يبتدأ بها، وأن المصدرَ يأتي مفعولاً مطلقاً ومفعولاً لأجله وتمييزاً، وأن الحال يشترط فيها أن تكون مشتقة، وأن التمييز وعطف البيان يشترط أن يكونا جامدين، وأن النعت يشترط فيه أن يكون مشتقاً، وأن اسمي الزمان والمكان يستخدمان ظرفين، وأن إسنادَ الأفعال إلى الضمائر منطقة يلتقي فيها النحوُ والصرف، وأن مبحثَ أقسام الكلمة مشترك بين النحو والصرف، وأن علامات التثنية وجمع المذكر السالم هي علاماتٌ إعرابية كذلك، وأن توكيدَ الفعل المسند إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة أو ألف الاثنين بالنون إنما هو مبحث صرفي نحوي، وأن (فَعِل) و(فَعيل) إذا أخذا مفعولاً به فهما صيغتا مبالغة وألاّ فهما صفتان مشبهتان، وأن التعلّق في النحو لا يكون إلا بمشتق، وأننا نحتاج إلى إدخال حركات البناء والإعراب في أواخر الأفعال والأسماء المعتلة حتى تستقيمَ قوانينُنا الصوتية وتكونَ مُوَحَّدَةً شاملة لأكبرِ عددٍ من حالات الأسماء والأفعال، وأن اللازم لا يحول إلى مبني للمجهول ولا يصاغ له اسم مفعول إلا مع مصدر متصرف مختص أو ظرف متصرف مختص أو جارّ ومجرور.

وقد لا تُتَبَيَّنُ العلاقة بين الصرف والنحو إلا بالتأمل الشديد. فمن أقوال الصرفيين أَنَّ لك أن تحول أي فعل من أي باب كان إلى صيغة فَعُل للدلالة على

أن الحدث صار كالغريزة في صاحبة وللدلالة على المدح والتعجب، وهذا يفسر لنا لِمَ يعربون (زيد) في قولهم: أَحْسِن بزيد، فاعلاً لا مفعولاً، لأنهم يقدرون الأصل: حَسُنَ زيدٌ، فتكون زيد بهذا التقدير فاعلاً. وعند بعض المحدثين أن الصرف ما هو إلا قائمة ألفاظ يحتل كل منها موقعاً نحوياً مناسباً على امتداد الجملة.

ولم يخل الصرف العربي من مصطلحات غير دقيقة. من ذلك مصطلح المثال وهو يعني الفعل الذي أوله حرف علة، وقد سمي كذلك لأنه يُماثِلُ (أي يشابه) الصحيح في عدم إعلال ماضيه. ومن ذلك مصطلح المضارع، فهو لا يعني الزمن الحاضر من حيث تقسيمات الزمن بل يعني أنه يضارع أي يشابه اسم الفاعل منه في مطلق الحركات والسكنات وتوزيع الحروف. ومن ذلك الصفة المشبهة فقد سمّيت كذلك لأنها مشبهة باسم الفاعل المتعدي إلى مفعول به واحد.

وهذه المشابهات شكلية خالصة لا تعبر عن تصنيف حقيقيّ أو واقع موضوعيّ.

وقد أتى الصرفيون بفكرة الإلحاق التي تقول بزيادة حرف أو أكثر في كلمة ما حتى تصير على مثال وزن من الأوزان فتتصرف تصرفه وتأخذ حكمه من دون أن يرافق تلك الزيادة في اللفظ زيادة في المعنى. وأنا أرى أن هذه الفكرة لا تقوم على أساس سليم، لأن بعض ما يفترض كونه زائداً من حروف الكلمات الملحقة قد يكون أصلياً، وهذا يُعْرَفُ بالتحقيقات التاريخية المقارنة وبالمقابلات الداخلية التي قد تظهر أن كثيراً من الأفعال الملحقة اشتقت من أسماء الأَعيان مباشرة (مثل قلنس وجورب وشريف وبيطر ونرجس). زد على ذلك أن زيادة الإلحاق ربما جاءت لإفادة معنى ولكنها زيادة غير مطردة في موضعها، كما في قولنا: رَهْوَكَ في مشيته، أي استرخت مفاصله في المشي، ومعناها غير معنى رهك من غير إلحاق. فزيادة الواو هي التي أفادت هذا المعنى ولكنها زيادة غير مطردة في موضعها كتاء الافتعال مثلاً.

أما الرسم الكتابي العربي فقد رافقته منذ نشأته مشكلات لا يستهان بها، منها أن الحركات غير مندغمةٍ في الصورة الظاهرة للكلمات العربية، وأن كتابة الهمزةِ

والألف لم تكن مستقرّة. ولم تكن ثمة وسائل للتفريق بين واو المدّ ويائه والواو والياء اللينتين. وقد اتخذ الرسم القرآني شكلاً خاصاً انفرد به حتى اليوم.

ولمّا انتشرت الكتابة العربية اتخذت رموزاً للحركات القصيرة تكتنف الحروف، وللشدّة وللمدّة وهمزتي القطع والوصل والسكون. ولكن ظلت المشكلات السابقة قائمة.

ومن المشكلات التي ما زلنا نواجهها حتى اليوم التفريق بين التاء المربوطة والتاء المبسوطة، والتفريق بين التاء المربوطة وهاء الضمير. وثمة كلماتٌ تُنْطَق فيها أصوات لا تكتب، كما في هذا وهذه وهذين وهؤلاء وأولئك ولكنَّ ولكنْ ولفظ الجلالة والرحمن وإسحق ويسن، وكلمات تكتب فيها حروف لا تُنْطَق، مثل: أولو وأولات وأولي، وكلمات تلتبس فيها اللامات بين التشديد وتكرار الرسم كما في الذي والتي واللذان واللتان واللذين واللتين والذين واللائي واللواتي. وقد كان متقدمو الصرفيين يتصورون أن حرف المدّ مسبوق بحركة من جنسه وتسرب هذا الخطأ في الإملاء العربي، ولذلك نجدهم يثبتون كسرة قبل ياء المد وضمّة قبل واو المدّ وفتحة قبل الألف.

ومن المشكلات الإملائية المستعصية التفريقُ بين همزتي الوصل والقطع وأماكن إثباتهما، ورسم همزة القطع في أول الكلمة ووسطها وأخرها، والتفريق بين نون التنوين والنون العادية، والألف الفارقة التي تأتي للتفريق بين واو الجماعة في الأفعال والواو التي هي لامُ الكلمة.

وبرزت في العقود الأخيرة مشكلة تاء المخاطبة، فقد التبست بياء المخاطبة، فصار بعض الناس يكتبون مثل دَرَسْتِ وأَكَلْتِ بالياء. كما برزت مشكلة التفريق بين الضاد والظاء. وبرزت كذلك الحاجة لاستخدام حروف مُيَسَّرَة في مجال محو الأمية وتعليم الكبار. وهذه كلها مشكلات تعليمية يُمْكنُ التغلّبُ عليها بالتعليم الجيد، واتخاذِها هدفاً مباشراً لنشاط المؤسسات التعليمية في مجال الرسم الإملائي. ويمكن أيضاً أن تُحْصَرَ في قائمة واحدة يُزَوَّدُ بها الطلبة ويرجعون إليها كلما

احتاجوا إلى ذلك. ويمكن كذلك أن تُزَوَّدَ بها ذاكرةُ الحاسوب، وأن تُجْعَلَ ملحقاً في المعجمات اللغوية.

وقد واجه الرسم الإملائي العربي اختبارات حقيقية في القرون والعقود الأخيرة ففي عصر الطباعة جرت محاولات كثيرة لتيسير نُظُم الكتابة والوصولِ إلى نظامٍ ملائمٍ لآلات الطباعة. وتواجهنا اليوم مشكلةٌ مماثِلةٌ، إذ تجري محاولات لإيجاد النظام الملائم لأجهزة الحاسوب.

وقد أحست بعض الشعوب الإسلامية التي تَبَنَّت الحرف العربي بالحاجة إلى تعديل الخط العربي، وإضافة رموز تفي بالتعبير عن الوحدات الصوتية في لغات تلك الشعوب. وهذه كلها إما مسائل فنية، أو قضايا في التخطيط اللغوي في البلدان الإسلامية لا أحيط بها، وأترك الخوض فيها للمختصين. وأكتفي هنا بالقول: إن أي اقتراح جديد يجب ألاّ يبعد العربية عن طابعها الأصيل، وإنّ أي تغيير أو تعديل يجب أن يحصل في الآلة لا في اللغة نفسها، أعني أن يكون إبداعاتٍ في استخدام الآلة من دون المساس بالطابع الأصيل للعربية.

وأضيف أخيراً إلى كل ما سبق أنّ أيّ إصلاح مقترح في النحو والصرف والإملاء يجب أن يكون قابلاً للتطبيق الحاسوبيّ، فلعل الحاسوب يكون نمطَ حياة في المستقبل لا مجردَ وسيلةٍ مساعِدةٍ حَسْب.

المحاضرة الخامسة

اللغة العربية
في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في جمهورية مصر العربية
دراسة تحليلية ونقد

الأستاذ فاروق شوشة

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الثلاثاء 2 ربيع الآخر 1424 هـ- 3 حزيران 2003م

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني
الأساتذة الأعضاء والعلماء الأجلاء

أيها الحفل الكريم:

ائذنوا لي أن أبدأ بالشكر العميق على الدعوة الكريمة التي أتاحت لي فرصة اللقاء بكم والمشاركة في النشاط الثقافي لمجمعكم الموقر. وعلى اختيار موضوع "اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في جمهورية مصر العربية: دراسة تحليلية ونقد" ليكون عنواناً لهذا للقاء، بعد أن أصبح الاهتمام بوسائل الإعلام، ودورها المؤثر في حياة المجتمعات والشعوب، بما يتضمنه من بُعْد لُغوي، سمةً لعصرنا وزماننا، ونحن نتابع معارك الإعلام ووقائعه بأكثر مما نُقبل على متابعة ما يدور على الأرض من معارك حربية، وتتعلق أنفاسنا بما تبثه هذه الأجهزة الإعلامية – ليل نهار – في صورة سيل هادر من الأخبار والمعلومات والكلمات والمواقف والصور والرسوم.

وأستأذن – أولاً – في أن يكون عنوان الحديث على هذه الصورة: "اللغة العربية في الإذاعتين المسموعة والمرئية والفضائيات"، وأرى أنه من الأفضل أن نقول تلفزيون بدلاً من تلفاز التي وإن جاءت على صيغة اسم الآلة إلا أنها أقل تأثيراً من التسمية التي عُربت وشاعت: تلفزيون.

أيضاً، فإن مثل هذا العنوان يتطلب موقفاً. إما أن تكون مع هذه اللغة أو ضدها. السلبيات كثيرة، أو متواصلة نحس بها جميعاً ونشكو من تعاظم أخطارها وتأثيرها خاصة على النشء الجديد. لكنَّ ثمة إيجابيات كثيرة لهذه اللغة، لا بد من الالتفات إليها وإبرازها، نحن عادة لا نلتفت إلى هذه الإيجابيات، ونؤثر التعامل مع نصف الكوب الفارغ، مع أن الأمر يتطلب تركيزاً مماثلاً على نصف الكوب الملآن.

لابد من مصارحتكم، في الوقت نفسه، بأن ما سأُسمعه لحضراتكم أقربُ إلى أن يكون شهادة تقوم على متابعة ميدانية قُمت وأقوم بها مستمعاً وشاهداً، وخبرة عملية من خلال المشاركة في العمل الإذاعي والتلفزيوني على مدار أكثر من أربعين عاماً متصلة.

وقد استعنت في توثيق هذه الدراسة ، وإكسابها طابعها العلمي بدراسات رائدة – في هذا الميدان – للعالم اللغوي الدكتور السعيد بدوي عن مستويات العربية المعاصرة في مصر، والعالم اللغوي الراحل الدكتور أحمد مختار عمر عن الآثار الإيجابية للغة الإعلام، مركزاً على استجابتها لاحتياجات اللغة وسد فجواتها المعجمية، والعالم اللغوي الدكتور محمد حسن عبد العزي ز عن الفصحى المعاصرة ودورها في أجهزة الأعلام، والعالم اللغوي الدكتور محمود فهمي حجازي عن اللغة العربية في العصر الحديث، وغير هؤلاء من المهتمين. لذا فإن حديثي سيمتلئ بالإشارة إلى النماذج والشواهد أكثر من اتساعه للتنظير إلا عندما يتعلق الأمر باستخلاص رأي أو حكم أو استعراض وضع أو حال، إيثاراً لتقديم البعد الواقعي الوثائقي لهذه اللغة في مجال حركتها اليومية الفاعلة.

يبقى أن أشير إلى أن مجمع اللغة العربية في مصر قد اختار موضوع اللغة في وسائل الأعلام محوراً تدور حوله الأبحاث في مؤتمره السنوي الأخير لهذا العام، كما اختاره قسم علم اللغة في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة لمؤتمره العلمي الأول في شهر ديسمبر من العام الماضي. وهو ما يؤكد الاهتمام لدينا ولديكم بقضية اللغة في وسائل الأعلام.

الأمر المتفق عليه أن اللغة في وسائل الأعلام تكتسب أهميتها من أهمية هذه الوسائل الإعلامية التي تكشف عن تنامي الثورة الإتصالية وتعاظم آلتها الجبارة نفوذاً وسطوة وتأثيراً وسعة انتشار، الأمر الذي يجعل هذه اللغة – من خلال الإذاعة المسموعة والمرئيات والفضائيات يتزايد تأثيراً ويتصاعد ويتسع مداه، مع النجاح الهائل لهذه الوسائل في اجتذاب ملايين المستمعين والمشاهدين من كل الأعمار والمستويات.

المتأمل في واقع هذه اللغة، يميز على الفور بين عدة مستويات من الأداء، المسألة إذن ليست كما يُبّسطها بعضنا من ثنائية تقليدية هي فصحى وعامية أو عربية صحيحة ولهجة محلية. الأمر – في حقيقته – أكثر تعقيداً وتشابكاً. فالفصحى التي تبث بها هذه الوسائل في نشراتها الإخبارية وبرامجها السياسية والثقافية والعلمية والأدبية وأحاديثها وبرامجها الدينية وموادها المنوعة والرياضية، هذه الفصحى ليست

فصحى واحدة ، وإنما هي فصحيان أو مستويان من الفصحى . فصحى تراثية ، هي الفصحى المثال والنموذج والقدوة، المحتفظة بكل صفات الفصحى القديمة في معجماتها من المفردات، وطريقة نطقها، وصوتياتها، ونظام جملها، وهندسة تراكيبها. وهي متحققة في البرامج والأحاديث الدينية والتمثيليات والمسلسلات الدينية والتاريخية التراثية، التي يلجأ كُتابها ومؤلفوها إلى تمثيل عربية القرون الغابرة، لمحاكاتها، وإضفاء الصدق على أعمالهم الفنية. هذه الفصحى التراثية مثلها الأعلى هو القرآن الكريم والحديث الشريف وآثار الخلفاء والبلغاء والشعر العربي في عصر العربية الأولى.

المستوى الثاني من الفصحى هو الفصحى المعاصرة، التي يشيع استخدامها في الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات وهي فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على وجه الخصوص، بل هي مستودع المعارف والعلوم والفنون والآداب في زماننا، تأخذ من الفصحى التراثية نظامها اللغوي نحواً وصرفاً وإعراباً، لكنها تتجاوزها وتزيد عليها في معجمها اللغوي وفي نظامها الصوتي وفي بنيتها التركيبية وحقولها الدلالية. وهي المستوى المستخدم في نشرات الأخبار والبرامج السياسية والتعليقات والنصوص الثقافية والعلمية والأدبية والفنية المكتوبة.

فإذا تأملنا بقية مستويات التعبير اللغوي، وجدنا أن ما يقابل هاتين الفصحيين من عاميات أو لهجات، ليس عامية واحدة أو لهجة واحدة، بل هي عدة عاميات، أولاها: عامية المثقفين، وهي عامية متأثرة بالفصحى وبالحضارة المعاصرة معاً تحررت من الإعراب، وبعض مظاهر النطق الصحيح للأصوات. وهي شائعة من البرامج الحوارية الجادة، التي تستضيف من هم على قدرٍ من الثقافة والمعرفة والتخصص، مثل برامج العلم والسياسة والفن والموضوعات الاجتماعية وبرامج الرأي والمناقشات والحوار. ثانيتها عامية المتنورين التي تهبط في المستوى لتصبح لغة الحوارات الخفيفة، التي تلمس موضوعات اجتماعية وفنية ورياضية، والتي تشيع فيما يسمى الآن بالبث المباشر . فهي لغة عامة المواطنين، يستخدمونها في أمور الحياة اليومية من بيع وشراء ورواية أخبار. ثالثتها: عامية الأميين وهي عامية قاع المجتمع، استخدامها مقصور غالباً على الأعمال الدرامية حين تنطق بها شخصيات حرفية، أو

شخصيات تريد أن تسخر من الأداء الصحيح واللغة الصحيحة، فتبالغ في تجسيم الأخطاء وتشويه صور النطق السليم. وقد تصل في سوقيتها وابتذالها إلى الاستخدام في السينما والمسرح والموجة الغنائية الشائعة – على الأقل في مصر – هذه الأيام. هي باختصار لغة أولاد البلد، التي يتواضع عليها أبناء مهنة من المهن وربما اللصوص، يتكلمون بها فلا يفهمها غيرهم.

في ضوء هذا التقسيم الذي يحاول تحديد مستويات التعبير اللغوي، والذي اعتمده الدكتور السعيد بدوي في كتابه "مستويات العربية المعاصرة في مصر"، نجد أن ثمة موقفين شديدي التباين والتباعد، في الحكم على مدى توفيق الإذاعتين المسموعة والمرئية والفضائيات في استخدام هذه المستويات.

الموقف الأول: يرى أصحابه فيما تقوم به هذه الوسائل الاتصالية جناية كبرى على اللغة العربية، وتشويهاً لصورتها الصحيحة وإشاعة للأخطاء التي تمّس قواعد النحو والصرف والإعراب وهندسة التركيب، وقواعد النطق والأداء الصوتي. بل يرون أن هناك ما يشبه المؤامرة على لغتنا القومية، لغة القران الكريم والشعر العربي، ومن ثم فهي مؤامرة على حاضر الأمة ومستقبلها.

فما أكثر الأخطاء التي تجري على ألسنة المذيعين والمذيعات ومقدمي ومقدمات البرامج وكثير من ضيوف الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات من دون، أن يواجهها تصحيح أو تصويب.

أخشى ألا يتسع المجال لنماذج وعينات من هذه الأخطاء. في مقدمتها الخلط بين المفرد وجمع المؤنث السلم في انتهائه بألف وتاء في مثل كلمة "رفات" التي هي مفردة وليست جمعاً مؤنثاً سالماً، ومثيلتها فتات وسُبات وسُكات وفُرات.

والكلمات المفردة المنتهية بألف وتاء مربوطة حين تضاف إلى الضمير مثل: "مداواة ومساواة ومناجاة، فهي تلتبس لدى هؤلاء بجمع المؤنث سالم مثل: مداواته، محاذاته، مساواته، معاداته، مجاراته، مناجاته، مناداته، مُجازاته، مُضافاته، مُجافاته، مُعافاته، مُحاكاته مُغالاته، مُعاناته، مُباهاته، مُضاهاته. وغيرها.

كذلك يقع الالتباس المؤدي إلى وقوع أخطاء عدة في جموع التكسير التي تنتهي بألف وتاء مربوطة حين تضاف إلى الضمير، فتلتبس بجمع المؤنث السالم مثل: قضاتنا، هداتنا، نحاتنا، طغاتنا، ذهاتنا، رواتنا، غصاتنا، رُعاتنا، حواتنا، حُفاتنا، كذلك المفردات التي تنتهي بتاء حين تجمع، مثل: وقت وأوقات، وبيت وأبيات، وثبت وإثبات وصوت وأصوات، وقوت وأقوات.

ومن هذه الأخطاء التي تمتلىء بها لغة الأعلام من الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات على ألسنة المذيعين والمذيعات ومقدمي البرامج وكثيرٍ من الضيوف: منع بعض المفردات من الصرف لانتهائها بألف وهمزة. ولا ينتبه المتكلم إلى أن الهمزة قد تكون أصلية أو منقلبة عن أصل وقد تكون زائدة. ومنع الصرف قد يكون بسبب وجود ألف التأنيث الممدودة وهي زائدة دائماً. فهم يمنعون من الصرف كلمات على وزن أفْعال والهمزة ليست زائدة مثل آباء، آراء، آلاء، أبناء، أبهاء، أثناء، أجزاء، أجواء، أحشاء، أصداء، أضواء، أعباء، أعداء، أعضاء، أكفاء، أنباء.
وبالمقابل فإنهم يصرفون كلمات تستحق منع الصرف، مثل ألفاظ الجموع المنتهية بألف وهمزة مثل: أطباء، علماء، أبرياء، أثرياء، أذكياء، أسوياء، أشقياء، أنبياء، أجلاّء، أحباء، أخلاء، أذلاء، أرقاء، أشحاء، أشداء، أشقاء، أعزاء، أعفّاء، ألباء.

ومثل: بُخلاء، بسطاء، حكماء، حلفاء، حنفاء، خبراء، دخلاء، رُحماء، زعماء، زملاء، سعداء، سفراء، شركاء، شعراء، شهداء، صرحاء، طلقاء، عرفاء، غرماء، عزباء، فقراء، قرناء، ندباء، نزلاء، فصحاء، نقباء، إلى آخره.

ومن الكلمات التي تصرف وهي ممنوعة من الصرف: حواس، حواف، خواصّ، رمالّ، شوابّ، شواذّ، صوافّ، صوادّ، عوامّ، موادّ، هوامّ.

من هذه الأخطاء الشائعة أيضاً، الخلط بين صيغتي اسم الفاعل والمفعول مثل: أَعدمَ، بمعنى افتقر– يقال: فلان مُعدِم وليس مُعْدَم كما ينطقونها. الحق الانتخابي مُقتَصِر وليس مُقتَصَراً، فلان مُبَرِّز في مجال كذا وليس مُبرَّزاً.

ويخلطون بين وزن فَعْلَه الذي يُجمع جمعاً مؤنثاً سالماً على فَعَلات مثل سجدة، سجدات، وحلقة حلقات، ووزن فِعْلة – فيقولون: رِحلة، رَحَلات وخِدْمة

خَدَمات وهو خطأ صوابه خِدمَات، وفِلذة فَلَذات وصوابه فِلذات وفقِرة فَقَرات وصوابه فِقْرات.

ومن أخطائهم قولهم، أمرٌ مُلفِت مع أن الفعل لَفَت لا ألفت فيكون الصواب أمر لافت، ويقولون: ضوء مُبهر مع أن الفعل بهر لا أبهر فيكون الصواب: ضوء باهر.

وعلى غرارها يقولون دراسة مُسبقة وحادثة مفجعة (والصواب فاجعة).

ويقولون لن أفعل هذا طالما أنا حيّ. والصواب أن يقال: لن أفعل هذا ما دمت حياً. أما طالما فمعناها كثر ما. وهي مكونة من الفعل طال + ما الزائدة.

كذلك تكرار "بين" أو "كلما" في مثل قولهم: قام الصراع بين العرب وبين إسرائيل. ومثل: كلما لان العرب كلما زادت صلافة العدو. والأصح أن يقال بين العرب وإسرائيل، وكلما لان العرب زادت الصلافة. ولا تُكرر "بين" إلا مع الضمير مثل: بينهم وبين جيرانهم.

كما يُخطئون في تثنيته دعوة ودعوى، فالأولى: تثنيتها: دعوتان، والثانية: دعويان كذلك تنوين العَلَم الموصوف بابن مثل قال: محمدٌ بن علي والصواب بدون تنوين محمدُ بنُ عليّ.

كذلك دخول الباء مع الفعل استبدل على المتروك أو المحذوف، يقولون: استبدل سيارتي القديمة بسيارة جديدة وهو خطأ، فقد عكست هذه الصيغة المعنى، وفي القرآن الكريم، أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ويخطئون في نطق تجربة حين يقولون تجرُبة ونطق تجارب حين يقولون تجارُب وفي قولهم: أجهزة التصنّت بمعنى الاستماع والتسمع على الآخرين. وليس في اللغة تصنت لأن مادة صَنت غير موجودة. لكن الموجود : نَصَتَ وأنصت وانتصت، إذن هي أجهزة تنصت.

كما يخطئون في التفرقة الدقيقة بين قط وأبداً:

وخُلد وخَلد

وعِلاقة	وعَلاقة
وخَصْلة	وخُصْلة
وخَلَة	وخُلَة
وحَمْل	وحِمْل
وسَجْن	وسِجن
وأذان	وآذان
غَداء	وغِذاء
وعَشاء	وعِشاء
وحُزم	وزُم
وشيّق	وشَائق
ووفيّات	وَوَفيات

من الضروري في هذا المجال أن نشير إلى انفجار شبيه بالانفجار السكاني أو الانفجارات الكونية كالبراكين والزلازل، حدث في إذاعتنا المسموعة والمرئية وفضائياتنا العربية جميعها، وهو ما يسمى بالبث المباشر الذي يستغرق ساعات عدة من حجم الإرسال، ويهبط فيه مستوى الأداء اللغوي إلى أدنى درجة له من حيث الصحةُ والصواب، ليصبح أكثر اقتراباً من السوقية والابتذال. فيما تدور حوارات طويلة مملة بين المستمعين والمشاهدين من ناحية، ومقدمي البرامج من ناحية أخرى، لا مضمون لأغلبها ولا قيمة لها في مُجملها، فضلاً عن امتلائها بكل ما يؤذي السمع من أخطاء في التعبير والنطق، واستخدام الكلمة المناسبة والأداء السليم.

إن هذا الانفجار كما أسميه أدى إلى أن تصبح اللغة المستخدمة في هذه الأجهزة الإعلامية صورة من لغة الشارع والسوق والبيت من حيث الامتلاءُ بالعامية واللهجة المحلية والبعد عن الصواب والصحة والسلامة.

وأن نشير أيضاً إلى أن ما نسمعه ونشاهده من أفواه كثير من العاملين في هذه الوسائل الإعلامية، هو خلاصة ما أمكن الوصول إليه بعد اكتمال تدريبهم في معاهد التدريب الإذاعية والتلفزيونية من خلال دورات عامة ونوعية وذات مستوى رفيع، لكنها لا تستطيع أن تصلح ما أفسده الدهر، من نظام تعليمي وأساليب

تعليمية لم تعد ناجحة في إقامة اللسان، وإحكام العلاقة بين المتعلم ولغته –في تراثها وثقافتها وإبداعها – برباط من المحبة والاحترام والرغبة في المتابعة والاهتمام، وبيتٍ لم يعد يُعنى – بل لعله لم يعد قادراً أمام زحام أمور الحياة وضغوطها – على متابعة مستوى تعليم الأبناء والإشراف على ما يُحققونه من تقدم أو تفوق. وكُتب مدرسية تضمُ مناهج في تعليم العربية تنجح في التنفير والكراهية بدلاً من التحبيب والترغيب، ومجتمعٍ أصبح يسخر ممن يستخدمون العربية الصحيحة ويتعاملون بها. وتنعكس سخريته هذه فيما ينتجه من أعمال فنية سينمائية ومسرحية. ونحن نذكر جميعاً الفيلم المشهور غزل البنات الذي كان فيه الممثل العبقري نجيب الريحاني صورة لمعلم اللغة العربية الذي هو موضوع سخرية تلميذاته وتندرهن به وبما يُعلمّه لهن وهن يرددن: أبجد هَوز حطي كلمن، شكل الأستاذ بقى منسجمن. وعندما تسخر أمة من معلم لغتها القومية ودينها الحنيف، غَيْر عابئة أو واعية بما يحدثه هذا من تدمير للوجدان وخلخلة في منظومة القيم وزلزلةٍ لثوابتها المؤكدة لهويتها وانتمائها وشخصيتها، وتتمادى في ممارسة هذا العبث عبر كثير من التمثيليات والمسلسلات في الإذاعة المسموعة والمرئية، عندما يحدث هذا، فإن هذه الأمة تسير معصوبة العينين إلى مصير فاجع في خاتمة المطاف.

الذين يركزون بالطبع على سلبيات الأداء اللغوي في هذه الأجهزة الإعلامية الواسعة الانتشار والنفوذ والتأثير مُحقّون، من حيث أن لغة الإعلام هي التي ترقى بلغة الناس أو تنحدر بها، والمفروض أن تكون هذه اللغة – على ألسنة العاملين في هذه الأجهزة – معياراً للصواب اللغوي والصحة اللغوية. ونموذجاً يقتدي به المواطنون ويعملون على تقليده ومحاكاته خاصةً إذا كان هؤلاء العاملون من قراء النشرات ومذيعي الربط ومقدمي البرامج.

من المؤكد أن كثرة الشبكات الإذاعية والقنوات التلفزيونية الأرضية والفضائية في مصر، جعل المتابعة لما يحدث فيها من أخطاء أمراً شديد الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً. فما ينهمر على الناس من ساعات الإرسال في اليوم الواحد، لا يمكن ملاحقته أو مراجعة ما يزدحم به من أخطاء، فضلاً عن اتساع المادة

المذاعة – عير برامج الفنون بخاصة الغناء – والدراما الإذاعية والتلفزيونية لألوان شتى من الإسفاف في الكلمة واللحن والأداء، وأية مقاربة بين ما تقدمه هذه المادة المذاعة إلى الناس باعتباره الآن موجة شبابية وتجديداً عصرياً في الغناء من ناحية وما كان يقدم عبر عقود طويلة من الزمان من ناحية أخرى تكشف عن مدى الانحدار في مستوى كتابة الأغنية والتسابق في الترويج لها بالرغم من أنها بضاعة فاسدة، جنايتها على لغة المستمعين والمشاهدين هائلة، ولا بد أنكم سمعتم بأسماء كثيرة – مصرية وعربية – تحرص على أن تستخدم في الأغنية كل ما يناسب حركة الجسد، فلم يعد الغناء في مفهومهم وسيلة للتعبير والتطريب أو الرقي بالذوق والروح، وإنما هو إيقاعات جسدية لا أكثر ولا أقل – تصرف الأذن عن التلقي، وتصرفها عن التوقف عند فساد الأحداث وهزالها، في خصم الضجيج الذي يروجون له باستمرار.

بالإضافة إلى هذا كله، فإن تعاظم ما يمتلئ به العالم من حولنا من أحداث وكوارث ونكبات، أدى إلى وفرة هائلة فيمن يُسمَّون بالمندوبين والمراسلين والمعلقين المنتشرين في شتى عواصم العالم ولدينا أيضاً. هؤلاء لم تتح لهم الخبرة اللغوية الكافية التي تتاح عادة لمن يعمل مذيعاً أو قارئاً للنشرة أو مقدماً للبرامج، لأنهم مصنفون أساساً باعتبارهم مندوبين ومراسلين ومعلقين، فتكون النتيجةُ ازدحام البث الإذاعي والتلفزيوني بسيل من الأخطاء الفادحة وركاكات التعبير وسطحية الأداء اللغوي، فضلاً عن الأصوات غير الملائمة، يصبح هذا كله محسوباً على الدور السلبي لهذه الأجهزة الإعلامية فيما يتصل بخطابها اللغوي، وهو الوضع الذي حدا بكثير من علمائنا اللغويين وخُبرائنا الإعلاميين ونقادنا وكتابنا إلى المطالبة في دراساتهم ومحاضراتهم وأبحاثهم وتدريباتهم – بالعمل على رفع مستوى قراء النشرات والتعليقات ومقدمي البرامج والمراسلين والمندوبين والمعلقين ثقافياً ولغوياً، والتنبيه إلى الأخطار والسلبيات، يكتب الأديب الكبير نجيب محفوظ عن لغتنا في الإذاعة المسموعة والمرئية فيقول: من حين لآخر تثار مشكلة اللغة العربية في الإذاعة والتلفزيون، وكيف تلقى على الناس متعثرةً بأخطاء النحو والنطق، وكيف تعمل على نشر الخطأ على أوسع نطاق، بقوة التلفزيون وهيمنته على الحواس والأذان.

ويكتب الكاتب الكبير الراحل أحمد بهاء الدين فيقول: بعض المسؤولين في التلفزيون يعتبرون مأساة اللغة العربية في التلفزيون غير هامة . كلا يا سادة. مفهومٌ أن يخطئ وزير أو موظف كبير مثلاً. ولكن الذين وظيفتهم الكلام باللغة العربية عليهم أن يتلقوا الدروس وأن تُكتب لهم المادة التي يقدمونها مع الضبط الصحيح والتشكيل الدقيق.

ويطالب العالم اللغوي الراحل الدكتور أحمد مختار عمر بضرورة التدريب اللغوي على أسسس جديدة لا تركّز فقط على قواعد النحو. ففي رأيه أن أخطاء الضبط النحوي هي أقل ما يقع من كلام المذيعين أما أكثره فيعود إلى أخطاء الاشتقاق الصرفي، وأخطاء الضبط لبنية الكلمة، كما يطالب بإلزام المتحدثين الضيوف المشاركين في حوار معين أو برنامج خاص أو الذين يجيبون عن أسئلة المستمعين والمشاهدين باستخدام العربية الصحيحة في أحاديثهم وإجاباتهم. فمن العار – كما يقول – أن يتكلم كثير من أصحاب الأسماء الكبيرة المعروفة في السياسة أو الاقتصاد أو الأدب، بالعامية المصرية أو بلغة عربية مُشوهة.

يتصل بهذا كله افتقار كثير من الإذاعيين – من الإذاعة المسموعة والمرئية– والمتحدثين أيضاً، إلى الثقافة الصوتية وإلى التدريب الكافي على استخدام الإمكانيات الصوتية المتنوعة التي تندرج تحت ما يُسمى بالوسائل الصوتية غير اللفظية أو الملامح النطقية المصاحبة للعملية الكلامية ، والمشاركة لها من أداء الرسالة اللغوية، والمستخدمة لتنويع نماذج الأصوات مثل النبر والتنغيم ودرجة الصوت ومعدل سرعته أو استمراريته ونوعيته ومدى ارتفاعه وطول الوقف أو السكوت. مما يضيف إلى سلبيات الأداء من كثرة السّكتَات والوقفات الخاطئة، والخطأ في تنغيم الجملة في أثناء قراءتها، ونطق الأصوات نطقاً مُعيناً من مثل التقابلات الصوتية، الدال والتاء والذال والثاء والزاء والسين والعين والحاء والغين والخاء، والخلط بين أل الشمسية وأل القمرية، وبين همزتي الوصل والقطع.

أستأذنكم من أن ننتقل الآن إلى نصف الكوب الملآن، إلى الوجه الآخر من الصورة المتضمنة للعديد من الآثار الإيجابية للغة المستخدمة في وسائل الإعلام، اللغة التي تحرص على أن يفهمها أكبر عدد من أفراد المجتمع على

اختلاف مستوياتهم وأفهامهم وأذواقهم، لذا فهي تتميز بالبساطة والوضوح وتنأى عن التعالي والإغراب، وعن الحوشى والمهجور والممات من اللغة، وتميل إلى الإيجاز والتشويق، فضلاً عن محاولاتها الدائبة لاستعادة الشكل المنطوق والمسموع للعربية عبر قنوات الاتصال الإعلامية على ألسنة العاملين فيها، وبالتالي على ألسنة المواطنين. هي إذن –المجال اللغوي الوحيد من مصر – الذي يُقدم الفصحى في صورتها الحية المنطوقة، من خلال منظومة صوتية وصرفية ونحوية. وهو مجال لا ينافسها فيه أحد لا في المدرسة ولا في الجامعة ولا في أي مكان آخر.

إنها –من تعريف بعض علمائنا اللغويين – المُستجيب الأول لاحتياجات الجماهير التعبيرية، والمُبتدِع الأساس لمعظم المادة اللغوية المستحدثة، والمضخة التي تقذف في شرايين اللغة العربية– من حين إلى حين – بآلاف الكلمات والتعبيرات الضرورية التي قد تعجز المجامع عن ملاحقتها ومتابعتها. وحين تتنبه المجامع لهذا الجديد المستحدث، يكون قد فرض نفسه على أبناء اللغة فكأن أجهزة الإعلام الآن تقود حركة المجامع وتتقدم مسيرتها .

أستأذن في تقديم بعض الأمثلة، لما يشيع الآن على الألسنة والأقلام بفعل هذه الفصحى المعاصرة في أجهزة الإعلام: برنامج النفط مقابل الغذاء، رسم خريطة جديدة للمنطقة، الخَصْخصة، الاستنساخ، العقوبات الذكية، القنابل الصديقة، القتل الرحيم، اللجوء السياسي، الإقامة الجبرية، التطهير العرقي، غسل الأموال، المدخلات والمخرجات، إعادة الهيكلة، الإزدواج الضريبي ،الشراكة الأُوروبية، الناتج المحلي والقومي، التضخم، اليورانيوم المستنفد والمُنضب والمنزوف والناضب، العولمة الكونية، عقدة الخواجة، دول الطوق، تجميد الأموال، الحرب الباردة، جماعات الضغط، اقتصاد السوق، خفض معدل التضخم، الممارسات القمعية، هندسة وراثية، تلاعب بالجينات، تصحُّر، مصادر الطاقة البديلة، التقنية الحديثة، الإغراق الاقتصادي، هشاشة العظام، النشطاء (جمع ناشط)، الجمرة الخبيثة.

تأتل هذه الفصحى المعاصرة في وسائل الإعلام، وتحليلُها يكشف عن توسعها في القياس فكأنها سارعت إلى فتح باب الاجتهاد في اللغة على مصراعيه في مثل الإكثار من توليد أفعال على وزن فَعّل وفَوْعل وفَعْلَن. على وزن فَعْل من مثل: قنابل مسيلة للدموع – صوّب المسألة – تعذيب مياه البحار – تحضير القرى – تقنين التبرع بأعضاء الجسم – تدويل القضية، تأميم البنوك، تجذير الأفكار – تفويج الحجاج (أي تقسيمهم أفواجاً) – تثمين الموقف – تفعيل العمل العربي – تسريع النمو – تعظيم الأداء – تديين السياسة – تكديس السلع – تحديث الصناعة – تسييل الغاز – تحجيم العجز – ترسيم الحدود – تكريس المفاهيم إلخ... وعلى وزن فوْعل: العوْربة في مواجهة العولمة، جدولة الديون، بلورة الفكرة، حوسبة المشروع.

وعلى وزن فَعْلن: عقلنة العمل العربي، عصرنة المجتمع، شخصنة الأزمة (الاهتمام بالجوانب الشخصية على حساب القضايا الموضوعية) قرضنة الموقف (فرص صيغة حكم قَرَضَاي في أفغانستان على بلاد أخرى)، المناداة بالوطنية قبل العولمة.

من صور هذا التوسع أيضاً، الإكثار من صوغ المصدر الصناعي من كل اسم جامد أو مشتق: الندية، الحتمية، العفوية، العقلاني، الإشكالية التلقائية، الأهمية، الإنسانية، المنهجية، الانسيابية، الانقرائية (أي القابلية للقراءة).

ومن المصدر: التبادلية، التراجعية ، التواطؤية، التحاورية، التصادمية، التعادلية، التعايشية، التفاوضية

ومن الظرف: التحتية، الفوقية، الخلفية، الدونية، الوسطية.

ومن اسم الفاعل: الجاذبية، العائلية، الفاعلية، الهامشية التابعية.

ومن اسم المفعول: المحسوبية، المديونية، المستقبلية، المفوضية.

ومن اسم التفضيل: الأحقية، الأفضلية، الأسبقية، الأهمية.

ومن الجموع: الجماهيرية، الحدودية، الرجالية، الشبابية، الاستخباراتية، العملياتية، المعلوماتية.

ومن الضمائر: الأنانية، الهُوية.

والتوسع في صيغة جمع الجمع: حجوزات – شحونات– وصولات– رسومات، فحوصات– زهورات– كشوفات عكوسات – أذونات – شروحات – طروحات – سحوبات – ضغوطات.

والنَّسب: بزيادة الألف والنون .

أناني – أواني– براني– تحتاني– جسماني– جَوَّاني– حقاني – حلواني – شكلاني – شهواني – نفساني – نوراني – روحاني.

وبزيادة الواو: عمل سلطوي– فكر نُخبوي – مشروع نهضوي – حركة فتوية – مفارقات جِهوية.

والنسب إلى الألفاظ الجموع: درس أخلاقي ، اتحاد طلابي، بحث وثائقي، تدريب مهني، رسائل إخوانية، مدن سواحلية.

مطلب جماهيري – روابط أُسرية– تقارير صُحفية– صوت ملائكي.

والنَّسب إلى جمع المؤنث السالم: ثورة معلوماتية، عمل مؤسساتي، دورة مخابراتية، شبكة استخباراتية، اجراءات عملياتية.

كذلك التوسع في الاشتقاق من الأعيان والأسماء المزيدة: كاشتقاق الفعل والمصدر من الأسماء الجامدة، أسلمته من إسلام، تطبيع من طبيعة – أقلمة وتأقلم من إقليم – أرجحة من أرجوحة.

ومثلها: بلورة الفكرة – تصحّر الأراضي الزراعية، تلفزة الحفل، حوسبة ملف القضية، تجذير الأفكار قبل طرحها، تَسيّد الموقف، حجِّم الخصوم – تسييس الدين – جدولة الديون.

ومثلها: يتموضع، يتمفضل، يتمحور، مسرحة العمل الدرامي، يتمركس (من ماركسية) ، ألسنة المعلومات.

واشتقاق اسم المفعول من الفعل اللازم بعد إسقاط الجار والمجرور مثل: حساب مغلوط – شركة مساهمة – عميل مُزدوج – طريق مشترك– من المتعين عمل كذا –ثياب مفتخرة.

عذراً لأني توسعت في هذه الأمثلة، بقصد إلقاء الضوء على أولئك الجنود المجهولين في هذه الأجهزة الإعلامية: الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات ومعها الصحافة، الذين يقبعون خلف الكواليس كما صورهم الدكتور أحمد مختار عمر يسابقون الزمن في ملاحقة آخر المُستجدات على الساحتين المحلية والعالمية، ويجتهدون في التعبير عن متطلبات العصر، ويتولون الترجمة من لغة المُرْسِل إلى لغة المتلقي في وقت قياسي يستوجب أخذ القرار الفوري، وابتداع اللفظ لحظة التفكير فيه، دون أن يسعفهم عامل السرعة وضغط الحاجة الملحة بالرجوع إلى المعاجم، أو استفتاء أهل الاختصاص أو استشارة المجمع اللغوي.

إنهم يشكلون ورشة عمل تطرق الحديد وهو ساخن، وتطرح اجتهاداتها في اللحظة المناسبة، وتعمل بحكم التفويض الجماهيري على التعبير عن الأحداث والأشياء وكل المستجدات المفاجئة. فتسد بذلك فراغات ما كان أن ينبغي أن يترك لأهل اللغة أو المجامع اللغوية يتداولون في أمرها طويلاً – فيختلفون ولا يتفقون، وقد كانت مرجعية هؤلاء المبدعين للغة في وسائل الإعلام ذوقهم اللغوي المتميز وحساسيتهم التعبيرية الفائقة، واستغلالهم قدرات اللغة وطاقاتها الكامنة، واستفادتهم من عبقريتها في الاشتقاق وتوليد آلاف الجمل والعبارات، فكان التوفيق في كثير مما يبدعونه – حليفهم.

لابد أن نشير إلى بعض الإيجابيات الأخرى المتمثلة من إنطاق كثير من البرامج التسجيلية والعلمية وبرامج الأطفال المُنتجة في خارج العالم العربي بالعربية الفصحى على نحو يحقق الالتزام بمتطلبات كل من المعاصرة والدقة ولقد اختارت الجهات المُنتجة عن عمد اللغة الفصحى – حتى تحقق لهذه البرامج انتشاراً واسعاً. وقبولاً قومياً عاماً.

كذلك فإن التوسع في استخدام العاميات واللهجات المحلية من الإذاعتين المسموعة والمرئية والفضائيات، ومزاحمتها للفصحى، صاحبة التزامٍ بالمستوى

الفصيح في كل من نشرات الأخبار وتقارير المراسلين والتعليقات على الأحداث والتحليلات السياسية والاقتصادية والعلمية والأدبية والبرامج الدينية والثقافية وبعض الأعمال الفنية كالأفلام والمسلسلات التاريخية الإسلامية ، والأفلام التسجيلية، والأعمال الفنية المُدبلجة (الناطقة بالعربية) والنصوص المترجمة للأعمال الأجنبية. فضلاً عن الالتزام التام بالفصحى في إذاعة القران الكريم وإذاعة البرنامج الثقافي وقناة النيل الثقافية الفضائية.

هذا كله يندرج تحت ما يسمى بالتنمية اللغوية التي شغلنا عنها كثيراً بالتنمية الاقتصادية وغيرها، لدى المتكلمين والمستخدمين للغة، وأيضاً في إثراء معجمهم اللغوي الذي يتسع يوماً بعد يوم للجديد من أمور الحياة العامة وشؤونها المختلفة.

ولا يُنسى لهذه الأجهزة الإعلامية أنها قضت على حاجز الأمية بالنسبة لملايين الأميين الذين لم تعقهم أميتهم عن المتابعة والمشاركة في كثير مما تقدمه هذه الأجهزة من خلال الاستماع إلى الإذاعة ومشاهدة التلفزيون والفضائيات في البيوت والمحال والمصانع والمزارع والبوادي يفهمون ويتابعون ويناقشون ويسألون ويزيدون من مساحة الوعي والقدرة على المشاركة والانتماء. كما يُذكر لهذه الأجهزة أيضاً نجاحها في التقريب بين اللهجات والمستويات اللغوية المختلفة، الأمر الذي يتطلب دراسة ميدانية تعكف على البحث في الواقع الميداني وتحليل ما يحدث فيه من تغير وتطور وإضافة.

وبعد أيها الحفل الكريم:

لقد حاولت في هذه الشهادة أن أقدم صورة متوازنة يتجاور فيها الحديث عن السلبيات والإيجابيات معاً، مقترحاً بعض الحلول. من خلال الجهد البحثي لعدد من علمائنا اللغويين المعنيين بهذا المجال، مؤكداً في ختام الأمر أن اللغة في وسائل الاتصال ناقلة وخالقة. فهي ناقلة لصورة المجتمع اللغوي بكل ما يضطرب فيه من إيجابيات وسلبيات وبالتالي فليست صورة مغايرة لما يحدث بالفعل في المجتمع كله: مؤسساته التعليمية والثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها، من اختلاط وغيرها، وضعف، وتدنٍ، واتساع، وتطور وإضافة.

وهي خالقة للجديد من المادة اللغوية التي تُلبيّ احتياجات وضرورات يومية وعاجلة، من خلال توسعها في القياس والاشتقاق والنحت والتعريب. وبين الأمرين معاً، النقل والخلق، تقوم حدود هذه المسئولية، وتتعاظم أبعاد الدور والرسالة أمام الباحثين عن السلبيات والإيجابيات، والمنادين باكتمال صورة الهوية اللغوية والقومية، وسلامة اللسان العربي وصحته واستقامته، وقدرته على الإبداع والانطلاق بلا حدود.

المحاضرة السادسة

اللغة العربية
في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان
دراسة تحليلية ونقد

الأستاذ الدكتور سالم المعوش

– أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، الفرع الخامس– صيدا، لبنان الجنوبي

– أستاذ في المعهد الجامعي للدراسات الإسلامية– بيروت، لبنان

الثلاثاء 32 ربيع الآخرة 1424هـ- 24 حزيران 2003م

لبنان والاتصال:

إذا كانت اللغة هي الأداة الرئيسة للاتصال، فإنّ موقع لبنان منذ القدم ساعدها في عملية الانتشار والتواصل أيضاً مع العالم الخارجي.. وإن كان هذا البحث يسلّط الضوء على وضع اللغة العربية في الإعلام اللبناني، وإذا كانت الخصوصية في التحديد الأخير هي للبنان، فهذا لا يعني استعمالنا هذه المنطقة معزولة أو مفصولة عن محيطها القريب، عنيت به بلاد الشام، أو البعيد، عنيت به الوطن العربي برمّته، وهو يحمل المفهومين الخاص والعام للبعدين: المعنوي والمادي، كما يحمل ضمناً، محتويات الزمان والمكان منظوراً إليها بالحركة الدائمة والتغيير المستمر والتطوّر النوعي والكمّي على غير صعيد..

على الرغم من ذلك فقد امتاز لبنان بحكم موقعه الجغرافي، بميّزات جعلت منه وعاء فريداً للتبادل الإنساني عبر العصور، ليس أقلّها مرور الحضارات العديدة به واختلاف الثقافات عليه وتنامي الامتزاج العرقي فيه وإكسابه خصوصية حُملت على محامل مختلفة ليس آخرها الادعاء الثقافي.. الأمر الذي خلق قاعدة مادية لحريّة القول والتعبير تناوبت فيه اللغة العربية فصول الاقتراب والابتعاد منها حيناً والإقبال عليها حيناً آخر والافتئات عليها في أحيان كثيرة..

ولا تزال في الذاكرة معلومة تشير إلى الفينيقيين الذين استوطنوا لبنان، بعد هجرتهم من شبه الجزيرة العربية، ودورهم الريادي في معارك الاتصال الأولى بين البشر، لاسيما أوروبا وبالتحديد اليونان [1].. ولا تزال في الذاكرة أيضاً الجامعات القديمة التي أنشئت فيه منذ الرومان الذين أقاموا فيه كلّية للحقوق في بيروت،

تدمّرت بالزلزال الذي أصاب المنطقة.. وغير خفيّ ما حصل من تدفّق الإرساليات والثقافات المختلفة على بلاد الشرق إبّان النهضة [٢]، وقد كان نصيب لبنان منها وفيراً، حيث تعزّزت القاعدة المادية لثقافة متنوّعة حاولت أن تقيم لها في الزمان والمكان أسساً لا تزال آثارها إلى يومنا هذا.. أسهم البعض منها بتقويض أشياء من المتعارف بها في مجال تراجع اللغة العربية عن خطوطها الأمامية وسعي بعض الدراسات، التي تدّعي تطوير العربية، إلى خلق إشكاليات تشويشية أربكت الدارسين بما قدّمته من اقتراحات غير بنّاءة للدرس اللغوي والكتابة اللغوية والقول الشفوي، وأورثت قاعدة مشوّهة نتلمس آثارها بعمق في زمننا الراهن[٣]..

ولقد ولّد هذا التراث الاتصالي للبنان ثروة كبيرة في مجال الثقافة، ظهرت اللغة فيها ميداناً رحباً للاتجاهات التي تميّز بعضها بالجدّية والبعض الآخر بالعبث.. وهذا التراث الاتصالي، أسفر في الحقبة الأخيرة عن نمط من التعاطي اللغوي، ذهب بعيداً في أدائه الإعلامي إلى حدٍّ انهارت معه بعض الثوابت اللغوية، وحصل انزياح في هذا الأداء باتجاه تراجعي، يتنكب أساليب قديمة– جديدة مقصودة بغية تيسير إيصال الحقائق إلى الناس في أسرع وقت ممكن.. وكانت النتيجة أن انبثق تيار جديد في مجال الاتصال يخرج من اللغة الفصحى الأصيلة إلى اشتقاق أخرى بديلة، تحاول أن تتطبّع في دنيا قائمة بذاتها لاسيّما في التعبير الشفوي..

معنى الاتصال:

معروف أن الاتصال ضد الانفصال، وهو "اتحاد النهايات" [٤]، وكما أورده ابن منظور بتحدره من فعل اتّصل، وهو "وصل الشيء وصلاً وصلةً، والوصل ضد الهجران وخلاف الفصل. والاتصال هو الوُصلة أي ما اتصل بالشيء، ووصّله إليه تأتي بمعنى أوصله أي أنهاه إليه وأبلغه إيّاه" [٥].. والاتصال يقتضي وجود طرفين يتحرك أحدهما باتجاه الآخر إلى درجة التلامس المادي أو المعنوي.. ووصول الشيء، كالخبر مثلاً، يعني بلوغ غايته، وهو لا يتصل من غير تأثير وتأثّر وإحداث حالة ما.. وهو ما يعبّر عنه عادة بالمشاركة والتفاعل، وفي الفرنسية الفعل Communiquer (شارك) يعني الاتصال بين مجموعة أو بين اثنين يتقاسمان ويتشاركان إذ يتّصلان [٦].. والاتصال عموماً يبغي إلى إيصال فكرة في حقل من التواصل الحامل صفات عديدة من المتواصلين أنفسهم وفي ميادين مختلفة، ومنها الإعلام الذي يحمل تفاعلاً في حدوده الدنيا، أي الإخبار Information الذي يتمّ عموماً بين البشر وفي درجات متفاوتة، تعكس تبادل الاهتمامات الإنسانية.. وتغدو اللغة في هذا الاتصال أرقى وأنقى أنواعه بفضل ما يميّز الإنسان عن سواه.. وهذا يعني أن هناك أنواعاً أخرى من الاتصال كالبيولوجي الذي يتوسل غير الشفوي أيضاً، المرتبط بالغريزة، تلك الطاقة المحرّكة له التي تحوّله إلى معنى حسّي، تقوم به الحواس التي بدورها تصبح وسيلة تعبير تعتمد على الصوت والحركة الجسدية والإيماء والإشارة والتنفس واستعمال الجوارح عموماً.. الأمر الذي يذكّر بالتعبير السابق للغة الراقية التي معها تصبح الحالة الشعورية نظماً تتطور وتتحقق لغوياً [٧] في ميادين الحياة الواسعة التي تحتاج إلى اتصال، ولا تتم إلا بالكلمات الحقيقية التي يحدوها العقل فيسمي ويصوغ الدلالات[٨].. وتلك هي الطريق المؤدية إلى الثقافة حيث يصنع الإنسان تاريخه

الحضاري ولحظته البنائية وكونه الخاص أولاً والشامل ثانياً وفروع المكوّنات الذاتية والموضوعية في أمداء ينسجم معها وتكوّن تراثه ومخزونه المعرفي الذي يصبح سلوكاً[٩] في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ثالثاً، كما يعكس حالته النفسية، انطلاقاً من تركيبها والعوامل المؤثرة فيها وما تنطوي عليه النفس من رغبات وميول وحاجات وتوق إلى إيجاد العلاقة مع الآخرين وإيجاد التأثير النفسي والذهني في المتلقي، حيث تظهر أهمية الحركة باتجاهه، وهو الذي يتلقى كلاماً مرسلاً إليه مصوغاً بطريقة ما، يحمل تعقيداً أو تبسيطاً لحالات شعورية أو لا شعورية واعية أو لا واعية، القصد منها إحداث تواصل بين نوعين من الشخصيات وفق تركيبهما النفسي وغرضهما الإبلاغي والبلاغي.. فيغدو التواصل بهذا المعنى القدرة على التقرّب وإحداث الوصل والاتصال من دون فرض[١٠]، أو حدوث علاقة دائمة وشعورية، على الأقل، بين اثنين"[١١]

الاتصال والتطور:

ولم يقتصر الأمر في عملية الاتصال هذه على ملكات الإنسان الخاصة وجملة مكوّناته الفيزيولوجية والبسيكولوجية، بل حاول الإنسان تطويرها ضمن العالم الخارجي وفق تكييف استطاع به أن يضخّم موجوداته الخاصة، فبدل أن يكون صوته محدوداً أصبح بلا حدود، وبدل أن تنحصر رؤيته في مدى معيّن أباح لنفسه المشاهدة البعيدة التي تنقل عبر الأثير إلى أي بقعة في العالم.. وهكذا أحدث شبكات واسعة من الاتصال، الأمر الذي أوجد فلسفة اتصالية معينة استغرقت ما يزيد على القرن من الزمان حتى انتهى اليوم إلى كمّ هائل من الوسائل الاتصالية التي تركت الباب مفتوحاً لتقبّل أي تطوير أو اختراع..

ومن المفيد التذكير هنا، أنّ هذه الشبكات الاتصالية تتقاطع في الكثير من جوانبها لتقدم نماذج فريدة من الخدمات للأفراد والجماعات والدول، بل لتسهّل في

زمننا الأخير أساليب الهيمنة العالمية على الثقافة والخصوصيات والمحلّيات إنطلاقاً من سياسة المركز في نطاق العولمة.. وهو ما جعل العالم مشدوداً إلى اتجاهات شبه موحدة يتلقاها الإنسان وهو قابع في مكانه، تلتقي عنده جملة من الشبكات القائمة أصلاً على تلاقي السلكي واللاسلكي والأقمار الصناعية وتكنولوجيا التسجيل والترميز والهوائيات والصحون اللاقطة والبرامج والأجهزة المرتبطة بالمحتويات البرامجية. وهو ما جعل أيضاً هذا التلاقي يشكّل منظومة متكاملة عالمياً تربط الهاتف بالمعلومات بالصوت والصورة على السواء وتحقق شبكة الشبكات[١٢].. بل أخذت هذه الشبكات تتطور وفق الاحتياجات، وهو ما أدّى إلى طغيان الشكل الآلي على المحتوى والفكرة، وغلّف الأداء بغلاف واهٍ قوامه السرعة وايصال المعلومة بأيسر السبل وأسهلها.. وكان ذلك يتمّ على حساب الاتصال نفسه حيث كانت الآلة تأدية فورية تسقط من حسابها العامل الأساس وهو اللغة، الحامل الرئيس للمعنى في دقة ووضوح، وهو ما جعله يتراجع عن موقعه الأصيل، ويستعاض عنه بأداء آخر يقوم على تقزيم المعلومات وتكثيفها اعتماداً على قدرة الإنسان الذهنية والتخيلية لإيجاد دماغ إلكتروني فائق الإمكانية في معالجة أدقّ المشكلات.. وهذا انتقال بالبشر من مرحلة الاتصال المباشر فيما بينهم مشافهة وفق الأصول الآدمية، إلى مرحلة الآلة التي حلّت محلّهم أو اختزلت اتصالهم وحوّلته إلى شبهها أحياناً، من غير مشاعر وأحاسيس، يقتنص اللحظة ليؤدي ما يريده وبأسرع وقت ممن دون حسبان لخصوصية المتلقي وثقافته ونوعه وقومه وأساليب تعاطيه بالحياة، خصوصاً مميّزات لغته.. لا سيّما إذا عرفنا أنّ الإنسان المتلقي يتعلم 83% من خلال حاسة البصر، و 11% من خلال حاسة السمع، ويتذكر 20% مما يسمع، و 50% مما يسمعه ويراه [١٣].. وأنّ الكلمة المنطوقة هي العامل الرئيس في الاتصال، تنتقل من حيّز الكتابة إلى حيّز القول، وفي رحلتها تلك تفقد الكثير من سمات تكوّنها لتخرج مستجيبة لرغبات أو مهمّات

تقتضي منها الخروج من طبيعتها إلى طبيعة أخرى، فتنهار مدلولاتها لمصلحة الإعلام وما يبغيه أصحابه [١٤]، في دوّامة الآلات وتقنيتها المرمزة وتحليل هذه الرموز، الأمر الذي يجعل اللغة عرضة للتأثر باتجاهين: إمّا الإثراء والإغناء، وإمّا الموت التدريجي أو التحجيم النمطي، في عالم تحلّ فيه حضارات محلّ أخرى وثقافات تجتاح ثقافات وتتوسع لغات على حساب أخرى[١٥].

بين الإنباء والإخبار والاتصال:

ويبدو أن الأفعال: إتصل وأنبأ وأعلم وأخبر تحتلّ الحيّز الأكبر في ميدان الدراسات الإعلامية.. وهي على تقاربها في المعنى تتناوب الكثير من الجوانب فيما بينها فيما تتضمنه من أصول تهدف إلى إيجاد العلاقة بين اثنين أو أكثر.. فالاتصال تقنياً هو الطرائق والوسائل والقنوات والخطوط التي تربط مكاناً بآخر أو دائرة بأخرى بما فيها من مكوّنات تريد إيصالها إلى مكوّنات أخرى.. وهو أمر يحضر في كل حقبة تاريخية تعكس حالة حضارية معينة في مرحلة معينة تفرض اتصالاً معيناً.. بينما فعل أنبأ من المصدر الإنباء، ومن النبأ جمعها أنباء فيعني إيصال النبأ للآخر، والنبأ هو الخبر، وأنبأه يعني أخبره [١٦].. والخبر يكون موجزاً، وتجري عليه سلسلة تساؤلات تتضمن الإجابة على ماذا ومن ومتى وأين وكيف؟..أما فعل أعلم من علم يعلم إعلاماً، فهو بمعنى أطلع الآخرين على الخبر[١٧]..

اتصل وأنبأ وأخبر وأعلم، إذاً أفعال تنضوي تحت ما يسمى بالاتصال، والاتصال جزء من الإعلام وكذلك الإنباء والإخبار اللذان راجا في الإعلام واتخذا تسميتين عامّتين هما الأنباء والأخبار، فتقول نشرة الأخبار ونشرة الأنباء.. ونقول الإعلام اللبناني أو الأردني أو...

الاتصال والمعرفة:

وهذه المصطلحات جميعها تهدف إلى نقل المعرفة.. ولا إعلام من غير معرفة، وهي متنوّعة وتحتاج إلى صوغ لغويّ معيّن.. وإذا كان الخبر –المعرفة يأتي بعبارة سريعة وغير مصوغ بطريقة جيدة، فعلى الإعلام أن يقدّم هذا الصوغ بأسلوب تميّز هذا النحو من الإرسال كي يكون منسجماً مع المتلقين.. وتتفاوت درجة الاهتمام به لغوياً.. ولذلك كان على الإعلام أن يكون على أفضل أدائه. وهو ما شكّل محور أبحاث كثيرة تهدف إلى المراقبة والضبط والإشراف كي يبتعد من الخطأ وكي لا يتعرّض للنقد بغية الحفاظ على اللغة، لأنّ المهمة التي يتنكبها هي خطيرة، وهو يتصل بالجماهير المصغية إلى كل ما ينقله في الحقول جميعها[١٨]: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية والتعليمية والإعلانية والدعائية، وإقناع الآخرين بما يحمل من فوائد إليهم، حيث تغدو الشخصية الإعلامية ذات تأثير فعّال، وحيث تحلّ وسائل الإعلام محلّ العلاقات الشخصية ويحدث التعلّق المفرط بشخصيات الإعلام الوهمية [١٩].. وتتحوّل المعرفة إلى شكل معلومات تضيع بين المؤثرات العديدة المعتمدة في الإعلام، وتنتقل اللغة في رحلة طويلة حتى تأخذ شكلها الأخير المعروض بما يناسب الموقف، لا ما يناسبها في أحيان كثيرة[٢٠]..

بينما يرتسم دور الإعلام الجدّي في جملة وظائف ليس أقلّها التربية والتنشئة وإبراز الحقائق وتقديم الآراء والرسائل والتعليقات وخلق الحوافز وإدارة الحوار والنقاش وإنهاض العمل الثقافي والتعرّف إلى ما عند الآخرين.. بالإضافة إلى ما يمكن أن يقدّمه من تسلية وترفيه مفيدين بعيداً من التلفيق والتواطؤ مع المتلقي لخلق مساحات من الفراغ اللامجدي..

الاتصال واللغة:

أدّت اللغة، منذ القديم، الدور الاتصالي الرئيس في سياق التطوّر البشري والعلاقات الإنسانية.. وعلى الرغم من الضابية التي تغطي مسائل نشوء اللغات وتطورها، فإنّ من الواضح أنّها حملت في تكوّنها عدة مهمّات معرفية متشابكة إلى حدّ التعقيد.. إلا أنّ ذلك لم يمنع في الحديث عنها القول: إنّها فعل فزيولوجي لدفعها عدداً من أعضاء الجسم إلى العمل، كما أنّها فعل نفساني لأنها تستلزم نشاطاً إرادياً للعقل، وهي فعل اجتماعي لأنها استجابة لحاجات الاتصال بين بني الإنسان[٢١]..

وفي أولى المبادرات الاتصالية نجد محاولة الإنسان خلق خطوطه الأولى عندما قام بمحاكاة أصوات الطبيعة، كما يذهب ابن جنّي [٢٢].. فكان بذلك يضع اللبنات الأولى لتعرّفه إلى العالم، ونقل هذا التعرّف إلى الآخرين: فكان اتصالاً مزدوجاً بالواقع الحيّ والآخر الجامد.. كما كان الخطوات الأولى نحو الاجتماعية وبالتالي اجتماعية اللسان [٢٣].. وهو ما أدّى إلى صنع تاريخ اللغة التي لم تولد وتنمو وتتطور إلا في أوساط اتصالية مختلفة، بسيطة حيناً ومعقدة حيناً آخر، تحمل من مزايا الإنسان ما تحمل في سياق انتقاله من مرحلة إلى أخرى..

وهذا التاريخ الاتصالي يقسّمه الدكتور عصام سليمان الموسى إلى ثلاث محطات إنسانية كبرى، أطلق عليها اسم "ثورات"، لما حملته من تغييرات على المستويات الإنسانية كلّها.. فالثورة الأولى هي اختراع الحروف التي قام بها الفينيقيون والثانية هي اختراع المطبعة والثالثة هي الثورة الإلكترونية[٢٤]..

اللغة والتشويه:

وربما كان هذا الكلام يشكّل منطلقاً مهماً للعديد من وجهات النظر اللغوية التي قدّمها بعض اللبنانيين في العصر الحديث لإيجاد قواسم مشتركة في دعوتهم التي تقول "باللبنانية"، انطلاقاً من الفينيقية نفسها، بغية الوصول إلى أبعاد وطنية وقومية وإنسانية شكّلت أرقاً شديداً في المجتمع اللبناني لا تزال آثاره إلى يومنا هذا.. وكأنّ الفينيقية بدَت لهؤلاء غير العربية في لحظة من لحظات تطورها، وكأنّ الفينيقيين ليسوا عرباً.. فإذا بالإنجاز الاتصالي الذي قام به الفينيقيون يتعرّض للتشويه، وصولاً إلى أغراض الهدف منها النيل من اللغة العربية والعروبة عموماً.. "لقد انتشر الحرف الأبجدي الصوتي، الذي تكونت ملامحه النهائية على أيدي الفينيقيين، سكان لبنان السابقين في جميع بلدان الحضارة الغربية، تمييزاً لها عن الشرق الآسيوي الذي يستخدم نظاماً مختلفاً للكتابة، كما في الصين واليابان" [٢٥]، وقد طوّر هذا الحرف في كل من بلاد العرب وبلاد الغرب، في شبه تلاق إنساني يستوعب المعرفة وينشر الرقيّ والتحضّر.. حتى تركزّت لغات البلدين في العصور المتأخرة .. بحيث أصبح لكل قومية لغتها التي تحفظ تاريخها الشفوي والكتابي.. ولا فائدة من إعادة القول بخصوصية فينيقية ولا بموت اللغة العربية لإحلال الحرف اللاتيني محلّ الحرف العربي وهو ما دعا إليه الشاعر اللبناني سعيد عقل[٢٦]..

إن التحدّي الأكبر لا يركن إلى مثل هذه الدعوات بقدر ما يركن إلى الدور الذي تؤدّيه لغة القوم، لغتهم الأصيلة التي سجلّت ما قالوه وأبدعوه في تاريخهم الطويل وما حملته من أسرار البناء، لأن الكلمة هي البناء، حيث في البدء كانت وإلى الآن تستمر.. وكما ورد في انجيل يوحنا:"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان الله، وكان الكلمة الله" [٢٧]، وقد "جعلت الكلمة معتمد الوحي وإيذاناً بولادة

الوجود"[٢٨] في الإسلام، وكانت "إقرأ" [٢٩]، الكلمة الأولى في النظام البنائي الأخير للكون وقد تمثل في القرآن الكريم.

اللغة الاتصالية والتطور:

وإذا كان الكلام، عموماً، هو إعادة انتاج اللغة في أثناء الاتصال، وإذا كان هذا الاتصال، بطبيعته، آنياً ومتجدداً ومتغيراً بحسب درجات التطور وآفاقه، فينبغي لهذا الكلام– اللغة– الإعلام، الاتصال، أن يكون على مستوى هذا التطور، وأن يكون نموّه باتجاه التقدم، وهذا لا يعني في حال من الأحوال إماتة اللغة أو تراجعها أو تقهقرها أو تراجعها عن خطوطها الأولى..

وإذا كان الكلام– اللغة – الاتصال، لا يتقصر على الكلمات وحسب، بل تتضافر جملة من الأداءات لإخراجه متكاملاً كالحركة الخارجية للجسم وبما تعارف به من الجوارح وما يرافقه من تعابير حركية في الوجه واليدين والشفاه.. غير منطوقة، فإن ذلك كلّه لغة إيصالية واتصالية.. والبحث فيها هو الأساس للوصول إلى نتائج تعكس مدى الرقيّ والتطوّر لشعب ما..

وإذا كان التغيير يصيب الكلمة ومدلولها وانتقالها واتساعها [٣٠]، فمن الأفضل أن يكون إلى الأفضل وليس إلى الأسوأ.. وخير للغة أن يُتحدث بها ويكتب بها تاريخ الأفكار والإبداعات من أن تظل ميتة أو يُسعى إلى إماتتها.. لأنه من الواضح أن المرء يتأثّر بأجواء لغته التي اعتاد عليها أكثر من تأثّره بأجواء لغة أخرى مهما بلغت درجة اتقانه لها.. وكي تبدو شخصيته متزّنة ووقورة ينبغي أن تكون لغته كذلك.. وبقدر ما تكون اللغة – الكلام – الاتصال... قوياً يكون التأثير أكثر، لأن مادة " ك و ل و م" أي كلم تدل على القوة والشدّة ومنها

كَلَمَ (جرح) بحسب ابن جنّي[٣١].. وبقدر ما تكون اللغة – الكلام – الاتصال قوياً يكون لصاحبها سلطة وتسلّطاً وأثراً في المتلقين[٣٢]..

الكلمة والسلطة:

وهكذا تبدو العلاقة القوية بين الكلمة والسلطة.. ولذلك كان الاهتمام بالكلمة التي تكون قاطعة كحدّ السيف.. لا سيما إذا كانت بمعنى الحجة بحسب قوله تعالى:"وما كان لي عليكم من سلطان" [٣٣]. وسلطة الله، سبحانه وتعالى في الإسلام هي الكلمة الحقّ وهي القرآن كلّه.. وعليه فإنّ الكلمة القوية ينبغي أن تحمل سلطة الحقّ.. وهذا لا يتحقق إلا ضمن شروط خاصة تبدأ بالمقدّس وتنتهي باحترام تطبيقه.. وسلطة الحقّ لا تتجسّد إلا في صحيح القول، وكي يكون كذلك ينبغي أن يتخلّى عن النقص الأدائي في العودة دائماً إلى الأصول.. لذلك كان التمكّن والإجادة والتبحر... في اللغة يمنح القائل والكاتب قوة خفية، أو قل سلطة البيان السليم الذي يقف حائلاً دون الانزياح النطقي إلى سلالات لغوية نشأت تشويهاً للسليم متمثلاً في العالم العربي عموماً، ولبنان خصوصاً، بانزياح آخر إلى العامية يراهن على تعبير جديد قوامه تبديل مخارج الأصوات وأماكنها وارتخاء في مواضع الأداء الصوتي، وهو ما يفقد اللغة، ليس سلطتها وحسب، بل أصولها وجمالها وصحتها وسلامة نبرتها..

اللغة والمحليات اللبنانية:

في هذا المجال، مجال الانزياح النطقي، تؤخذ بالحسبان تأثيرات المحلّيات.. فنحن في العالم العربي أمام أعداد هائلة من هذه المحلّيات [٣٤]، تخرج من كونها لهجة قطر يختلف في انزياحه النطقي إلى العامية عن قطر آخر، إلى محلّيات أكثر ضيقاً. لا يكفي مثلاً أن نتحدّث في سوريا عن لهجة الدمشقيين، بل هناك

لهجة أهالي حلب وحوران والسويداء والمناطق الأخرى.. وكذلك في لبنان، فإنّ النطق، لا سيّما العامّي منه، يختلف من منطقة إلى أخرى.. ففي الشمال ميل إلى التضخيم بينما في الجنوب إلى الإمالة، وفي البقاع أيضاً تجد لهجة مختلفة تميل إلى الإطالة، وفي الجبل إلى الفخامة.. حتى في الجبل نفسه تجد عدة لهجات.. أما في بيروت فإن لهجة العاصمة تتجه إلى أن تكون ذوباناً لمجمل هذه اللهجات مع الاحتفاظ بسمات اللهجة البيروتية.. وكذلك في صيدا التي تمتاز لهجتها بالإطالة والمدّ وتمطيط الحروف. إلا أن ما يبدر من ظواهر فنية ومواقف إعلامية، فإن الصيغة تكاد تكون بدورها إذابة لهذه اللهجات وتوفيقاً يعوّل على اللهجة المفهومة، لا سيما عند اللجوء إلى العامية، وما أكثره في الإذاعات المرئية والمسموعة والفضائيات وفي الأعمال الفنية التي تحاول أن تمتص هذه اللهجات وتعتمد العام والمتكرر والمفهوم فيها.. وأقرب مثال على ذلك ما نجده في الانتاج الفنّي للرحابنة في لبنان سواء أكان في المسرح أم الغناء أم المسرح الغنائي أم الشعر[٣٥]..

ويبدو أن هذه الإذابة لا تقتصر على الإعلام أو الفن، بل إنّ هناك محاولة من المثقفين أنفسهم لإيجاد لهجة خاصة، أطلق عليه اسم "لغة المثقفين"، والأمر نفسه نجده عند السياسيين اللبنانيين الذين باتوا يمثّلون نهجاً لغوياً خاصاً يقيم توازناً مفهوماً بين اللهجات اللبنانية كافة..

تنوّع الاتصال وقوّته:

في لبنان، كما في دول العالم، تتخذ لغة الاتصال أشكالاً متعددة وتتجلى أكثر ما تتجلى في الإذاعتين المرئية والمسموعة اللتين تطورتا من المحلّي إلى العالمي مع دخول الفضائيات.. ويحتل الحاسوب والانترنت مكاناً مميّزاً.. بالإضافة إلى وسائل الاتصال الأخرى الهاتف والسينما والتلغراف والبريد الإلكتروني

والمصوّر وصولاً إلى الصحافة والكتب.. ويتخذ الحوار سمات عديدة: إما مباشراً بين شخصين وإمّا غير مباشر.. وقد يكون مناقشة بين شخصين أو بين شخص وعدة أشخاص أو بين أشخاص معينين وآخرين.. وقد يكون الاتصال على شكل رسائل أو خطابات أو برامج تثقيفية أو تمثيلية..

وهذه الوسائل تعدّ قاصرة ما لم تتمتّع بالقوّة الشرعية أو غير الشرعية.. والمقصود بالشرعية تلك التي تستمدّ قوتها من القرار الرسمي اللبناني، وهو الترخيص الممنوح من الدولة والذي ترعاه القوانين وتحميه وتحدّ أطره ونوعه وتقرّ برامجه وأحياناً أساليب أدائه..

وقد يكون غير شرعيّ أي من غير قرار رسمي.. وقد نشأ هذا النوع في ظلّ الفوضى والنزاعات والحروب..

وغالباً ما يستمدّ هذا الاتصال قوّته من الدولة نفسها أو من تمثيله لحزب أو طائفة أو تجمّع نقابيّ أو مهني أو ديني أو اجتماعي أو ثقافي أو سياسي أو اقتصادي..

يمارس الإعلام عند ذلك سلطة خاصة، لا تتأتى من المتكلم (المرسل) وحسب، بل من الموقع المؤسساتي نفسه.. وهو الذي يمنح المرسل حقّ الإرسال، فيصبح كلامه، بالنسبة له ولجمهوره، الحقّ بعينه.. وبالطبع هو محصور في السلطة التي أوجدته، له أن يتصرّف وفق مشيئته، وأن يصوغ اتصاله وفق اللغة التي تناسبه.. وغالباً ما تكون المعرفة هي مدار بحثه، وهي تتلوّن بألوان المرسلين وتحمل ثقافتهم وقدراتهم وعلاقاتهم كما تتوجّه إلى جمهور معيّن له أيضاً مواصفاته، وهو يقبل ما يتلقّاه على أنّه الحقيقة.. لذلك تتنوّع الحقائق.. كلٌّ يراها

من وجهة نظره.. ولذلك تتنوّع السلطة الإعلامية بحسب المواقع الاتصالية وتبعيتها وقدرتها ونوع معارفها واختصاصها والهدف الذي أنشئت لأجله..

وهذه السلطة الاتصالية تتنكّب أمرين أساسيين: سلطة السرّ وسلطة العلن.. فإذا كان الثاني معروضاً دائماً أمام الناس، فالأول يحتفظ بشيء من الإبهام والغموض للإيهام وإثارة التساؤل الدائم، بغية خلق أجواء تجعل المتلقي متعلقاً بسرّ ما أو مجهول ما لا يعرفه ويأمل أن يعرفه.. وتمثّل اللغة في سلطة السرّ والعلن الجوهر.. هي القادرة على الأداء وهي التي تستعمل لممارسة السلطة مهما كان نوعها.. والخطورة تكمن في كيفية اختيار هذه اللغة لتكون الكلمة حقّاً، و"لا توجد اللغة – السلطة إلا في بلاغتها ونموّها وتركيبها وأسرار قائلها والثقة به وفي لباسها أيضاً"(٣٦).

اللغة وسلطة المتلقي في لبنان:

يضاف إلى هاتين السلطتين واحدة ثالثة هي للمتلقي الذي يمارس في تلقّيه قوّة يحسب لها المرسل ألف حساب.. إذ لا اتصال من غير متلقٍ ولا إيصال لمن لا نوصل إليه شيئاً.. والمتلقّي اللبناني بالغ التعقيد بحسب الواقع اللبناني القائم على فسيفساء سياسية تحمل معها فسيفساء أخرى في حقول الوعي واختلاف المواقف والمصادر وتنوّع الثقافات وارتفاع نسبة الوعي واختلاف الثقافات نفسها...إلخ الأمر الذي يقسّم الناس إلى مصدّقين وغير مصدّقين أو واثقين مما يسمعونه أو غير واثقين تبعاً لانتماءاتهم، في زمن تحوّل فيه المتلقي إلى "قارئ منتج للنص في الوقت نفسه، بل تنتهك اللغة وتتفجرّ لتبوح بمكنوناتها بما يضفيه عليها من إمكانات تأويلية"(٣٧).

وبين المرسل والمتلقي الإعلاميين غير رابطة.. تبدأ بالمحسوس لتنتهي بالمتخيّل.. وهذا الأخير يفترض وجود صورة أو صور تحمل من التأثيرات ما يقتضي التناغم النفسي بين مرسل الصورة ومتلقيها، سواء أكان الإعلام مكتوباً أم شفوياً، مسموعاً أم مرئياً.. ففي الصورة يتجلى الانسجام.. و الحرص على وضعية المتلقي، في هذا المجال يخلق مزيداً من التفاعل.. وفي هذا كلّه تؤدي اللغة الدور الأكثر أهمية، لاسيما إذا عرفنا أنّها صورة للفكر.. وهذا يعكس المستوى المعرفي بوجوهه كافة.. لذلك كانت الصورة الإعلامية في لبنان تتراوح بين الجدّية واللامبالاة، وبين الغثّ والسمين، وبين الهبوط والتكامل والإسفاف والرقيّ.. وهو أمر منظور إليه في كثرة الوسائل الإعلامية في لبنان، خصوصاً مع بدايات الحرب الأهلية والظروف الإقليمية المحيطة.. والحاجة الملحة إلى ملء أفواه الإعلاميين بالقول، أيّ قول.. وفي تنوّع المتلقي الانتمائي والثقافي والمعرفي عموماً.

الكتابة والإعلام في لبنان:

وإذا كانت الكتابة، عموماً، وقراءتها حاجة من حاجات الإعلام، فإنّ لبنان ظلّ منذ أمد طويل مركز ضخّ كتابي لم يقتصر على إلقاء المعلومات في بواطن الكتب، بل امتدّت الكتابة، بغزارتها، إلى وسائل الإعلام وغزتها الأقلام.. وهي كتابة متنوّعة، تصدر، أحياناً عن مجموعات تنتمي إلى هذا التيار أو ذاك في السلك السياسي والاجتماعي والثقافي في لبنان.. وإذا حسبنا أن لبنان كان موطناً لاتجاهات لغوية متعددة أكثرها أهمية اثنان: الداعي للعربية الفصحى الأصيلة والسليمة والداعي إلى إحلال العامية محلّ الفصحى.. بالإضافة إلى الداعي إلى تغيير الحرف العربي وإبداله باللاتيني وهو أسوأ أنواع الاتجاهات [٣٨]، لأنّ فيه يكمن قتل اللغة العربية مباشرة دون سابق إنذار، لاسيّما في تمثّله بوسيلة اتصالية

(مجلة) تصدر عن شاعر له مكانته الفنّية.. إذا حسبنا ذلك، فإننا نقف أمام حقيقة اتصالية بالغة الخطورة بخاصة أنّ معظم هؤلاء الكتّاب كانوا فرسان الكلام والإعلام إبّان مرحلة طويلة من الزمن..

وفي هذا الكمّ نعثر على انزياح خاص في ميدان التعاطي اللغوي، حيث تفقد اللغة، في بعض الأحيان، سحرها الأخّاذ وخصوصيتها الرصينة والمتوارثة جيلاً بعد جيل، وتنتقل من حالة الكمال إلى نوع من الابتذال والتجريب لاقتراحات متداولة للاعتداء على أصولها وجمالياتها وقواعدها ومذاهبها التعبيرية الراقية، بداعي حرية الكاتب حيناً والتطور حيناً آخر..

ذلك كلّه، أوجد قاعدة، شبه مقصودة التشكّل، تنهال على سلطة اللغة العربية وتحاول إيجاد البدائل لها باستحداث سلطات هامشية التأثير محدودة الخطوات.. وسلطة العربية، بالطبع، متنوّعة مصادر القوة، وفي طليعتها القرآن الكريم، الكتاب السماوي المقدّس، المنزل من الله.. فيه تنعكس حقائق أبدية.. وأولها اللغة المفضلة من الله سبحانه وتعالى: "إنّا أنزلناه قرآناً عربياً".. وثانيها سعة اللغة وقدرتها على التعبير وتميّزها بسعة الاشتقاق والترادف والتوليد وسلامة تقعيدها.. وثالثها: تجربتها الطويلة وموقعها بين الشعوب منذ القديم، الأمر الذي جعل البعض يقول: "إنّها أمّ اللغات" [٣٩]. وهذا ما جعل البعض أيضاً، يحسب أن للغة العربية سلطة خاصة هي سلطة النحو [٤٠] والبعض الآخر يحاول أن يعدّل إيجاباً في هذه السلطة من طريق الدعوة إلى تطوير اللغة (الشيخ الدكتور عبدالله العلايلي)[٤١]، أو يعدّل سلباً في الانتقاص من قدرها وتبديلها بالعامية وتغليب الشعبية عليها وإسقاط النحو كلياً منها[٤٢]..

الفصحى والبدائل المميتة:

وإذا كانت هذه الدعوات إلى الاهتمام بلغة الاتصال- الإعلام- الكتابة- القول، تنطلق إمّا من نوايا حسنة وإمّا من نوايا سيئة، فإنّ المشكلة تتعاظم في نطاق الطروحات اللبنانية التي بلغ الحدّ ببعضها إلى إلغاء اللغة العربية كليّاً.. هذه الدعوات، وإن اضمحلّ تأثيرها، إلا أن آثارها لا تزال باقية فيما نشهده اليوم من مأساة استعمال اللغة تحقيقاً لها أو فراراً منها.. ولا تزال دعوة أمين الشميّل تجد أصداءها عند كثير من اللبنانيين.. وهو الذي دعا إلى التخلّي كلياً عن اللغة العربية فصحى أو عامية وإحلال لغة أجنبية محلّها تعبّر عن الهوية والثقافة، لأن اللغة العربية مصيرها الموت[٤٣].. كما ذهب سواه إلى أنّ العرب ليسوا أمة واحدة، وينطبق هذا على كثير من اللبنانيين الذين يجب ألا يتكلموا لغة واحدة لأنهم لا ينتمون إلى هذه الأمة[٤٤].. وهذا ما وجدنا صداه لدى أحد الشعراء اللبنانيين، يعلنه من منبر أحد الوسائل الإعلامية اللبنانية بقوله:"إنّ اللغة العربية ميّتة فكيف لنا أن نعبّر بالميت عن الحيّ، فالأفضل أن نعبّر بالعامية لأنها حيّة"[٤٥].

لغة المثقفين أو الصالونات أو اللغة الثالثة:

ومن الدعوات التي نجد انعكاسها في الإعلام اللبناني تلك المحاولات التي اتخذت سبيلاً إلى إيجاد حلول وسط، أو إلى غربلة الآراء والخروج منها بموقف، في اعتقاد أصحابه، أنه يرضي الجميع.. وبناءً عليه فإنّ هناك لغة، إن شئت سمّها لغة "المثقفين" أو "المتأدبين" أو "النوادي والجمعيات" أو "الصالونات".. وهذه التسميات نجدها بكثافة عند أنيس فريحة في كتابه نحو عربية ميسّرة[٤٦]، وفي رأيه أنّها اللهجة العربية المحكية المشتركة" [٤٧]، وهي التي تولدت من المدرسة والصحافة والإذاعة والسياحة والاصطياف والتجارة والتقارب السياسي والتعاون الاجتماعي[٤٨].

والمتأمل في هذه اللهجة– اللغة، كما يطلق عليها فريحة، يجد أنّها خلوٌّ من الإعراب تقع بين العامية والفصحى.. وهي التي تستعمل على لسان المثقفين والسياسيين، كما يستعملها بعض القصّاصين والروائيين والمسرحيين العرب.. وهي التي تعتمد على تسكين أواخر الكلمات.

وفي الحقيقة، هي هرب من الفصحى والعامية باتجاه ثالث ينحو نحواً خاصّاً لا يخلو من الافتئات على العربية الأصيلة، بل يستمرّ في مناصبتها العداء، إلى خلق كيانات تنطق بكلام مصرٍّ على إبعاد الفصحى والنيل من تراث العربية واتهامها بالقصور وعدم الإيفاء بالغرض المطلوب أمام المستجدات العصرية، هذه العصرية التي تمتدّ وتمتدّ إلى ما لا نهاية منذ ثلاثة قرون..

وتكمن خطورتها في أنها لا تقتصر على قطر عربي واحد بل تشمل أقطاراً عربية أخرى، في مقدّمتها لبنان ومصر قطرا الانتشار الإعلامي الواسع. نجد في كتاب "غرائب اللهجة اللبنانية السورية"[٤٩] للأب روفائيل نخلة اليسوعي، مزيداً من المسوّغات للانحراف باتجاه هذه اللهجة، بل مزيداً من الامعان في تبني العامية، وإيراد الكثير من الألفاظ التي يعدّها حيّة وتحلّ محل الفصحى..

وهو الأمر الذي يلقى آذاناً صاغية في الإعلام اللبناني برمّته فينحو هذا النحو الخطير فيما يقدّمه من برامج على مختلف أنواعها.. وهي ظاهرة تتفشّى بسرعة إلى درجة أنّنا لا نجد إلا القليل من البرامج التي لا زالت تتنكب الفصحى وهي بدورها مشوّهة وغير سليمة..

وما أن أشيع اقتراح استعمال اللغة الثالثة في ميدان الكتابة، لا سيّما الأدبية، حتى وجد استجابة لدى ثلّة من اللبنانيين، فوجدوا فيه متنفساً تعبيرياً يخرج هذه المرة من مصر وعلى يد كاتب كبير هو توفيق الحكيم.. وهي أسلوب "يخلط

ما بين العامية والفصحى، لا يجافي قواعد الفصحى ويستجيب في الوقت نفسه لما يمكن أن ينطق به الأشخاص ولا ينافي طبائعهم ولا جوّ حياتهم.. لغة سليمة يفهمها كل جيل وكل قطر وكل إقليم، يمكن أن تجري على الألسنة في محيطها، قد يبدو لأول وهلة لقارئها أنّها مكتوبة بالعامية، ولكن إذا أعاد قراءتها طبقاً لقواعد الفصحى، فإنّه يجدها منطبقة على قدر الإمكان.."[٥٠].

وهي خطوة بدأها مارون النقاش في مسرحيته الأولى "البخيل" (1847)[٥١]، وتكرّست في المؤتمر الذي عقد في هولندة في العام 1931، وهو الذي شارك فيه محمود تيمور ببحث بعنوان "النزاع بين الفصحى والعامية في الأدب العربي الحديث"[٥٢].

وإلى مثل تلك الدعوة دعا الشاعر يوسف الخال في اقتراحه إيجاد "اللغة العربية الحديثة" التي كان شعارها: اقرأ كما تتكلم" [٥٣] وإحلال اللغة المحكية محلّ الفصحى[٥٤]. انطلاقاً من مفهوم خاص للحداثة تبنّته مجلة "شعر" التي كانت تصدر في لبنان.. إلا أنّ هذه الدعوة، وإن لم تصمد طويلاً، لكنّها تركت آثارها في مجال الإعلام اللبناني ولا تزال آثارها موجودة بقوة ، تشكّل أرقاً ومعاناة وخوفاً على العربية التي لا ينفك التنظير يدلي بدلوه حولها ليوجد لغة "للتخاطب الثقافي" و "الإعلام الإخباري" و "الإعلان التجاري"، في شبه اعتراف بمستويات ضمن اللغة الواحدة تعطي لكلّ نوع من التعبير حقّه وصولاً إلى اللغة الراقية التي نجدها في القرآن الكريم[٥٥].. على ذلك، وبحسب رأي أحمد حاطوم، فإنّ لغة الصحافة هي اللغة الثالثة المنشودة، وهي الحل الوسط بين لغة التخاطب واللغة الأدبية، حيث تغدو اللغة الإعلامية التي يجدّ في البحث عنها توفيقاً على أن يكون مستواها فوق مستوى الصحافة وتحت مستوى لغة الكتابة الأدبية[٥٦]..

هكذا يرى الباحث، حاطوم، أعداداً كبيرة من الاقتراحات التي حاولت تطوير اللغة العربية متنكّبة الإيجابي والسلبي، صادرة عن فئات من الناس مختلفي المشارب والمذاهب، كلّ يعمل بحسب توجّهه وثقافته وميوله ونواياه..

القاعدة اللغوية الإعلامية في لبنان:

ومن هذا وذاك تولدت القاعدة الإعلامية في لبنان، وباتت أمراً واقعاً استفاد من هذه الاقتراحات التي جانبت الصواب حيناً وابتعدت منه حيناً آخر.. وفي الأحوال كلّها، ثمّة واقع استوطن وسائل الإعلام، وكما يقول الإعلامي السعودي عثمان العمير، صاحب مشروع "إيلاف" (ILAF) للكتابة الإلكترونية العربية:" إن لبنان هو المختبر العربي الأول، خصوصاً المؤسسة اللبنانية للإرسال LBC في اعتماد ونشر الصيغة المحكية"(٥٧).. وهو واقع تخطّى الوسائل الإعلامية كلّها في لبنان وأصبح حقيقة يتبنّاها الإعلاميون اللبنانيون في الإذاعات المسموعة والمرئية والفضائيات.. ويزداد الأمر خطورة إذا ما عرفنا أن معظم الوسائل الإعلامية العربية المسموعة والمرئية والفضائية تتبنّى هذا النهج، وهو ما ينذر بسوء العاقبة..

هذه الاقتراحات والدراسات حول اللغة العربية إذاً وجدت أكلها أخيراً في الإعلام اللبناني، ولم تذهب هباءً كما يدّعي البعض.. لأنّ المتابع هذه الوسائل يتحقق من هذا الأمر دون عناء في حلم كسول عاجز عن فعل شيء، وربما يجد الراحة فيه لأنّه ينقله إلى الشارع والزقاق والحي والعمل.. وسط زحمة الحياة فلا يتغيّر شيء بالنسبة له، فما يراه في حياته العملية يعاد انتاجه بالعامّي والمحكي والدارج والمحلّي والخصوصي في أحيان كثيرة..

والجدير بالذكر أنّ ما يجري في الإعلام اللبناني، المرئي والمسموع، يشكّل انكساراً للقواعد الأساسية للغة الفصحى في نوع من مواكبة تيار الحياة العادي

الجارف.. هذا التيار الذي حمل إلى الواقع اللبناني، ابتداء من سبعينات القرن العشرين، سلطات جديدة حلّت محل القديمة والسابقة لها. سلطات حملت واقعاً جديداً مدعوماً حيناً بالقوّة والطائفية حيناً آخر والخارج في أحيان كثيرة. وكانت كلّ سلطة تحمل معها سلطة إعلامية جديدة، وجدت حيّزاً رحباً لتطبيق مبدأ الحرّية، كما تراها، كما وجدت الفرصة سانحة لتطبيق أحلامها المجسّدة في مشاريع ناصبت العداء للعروبة، واستطاعت بعد مضيّ الزمن أن تفرض سلطانها اللغوي، دون استحياء، على الوسائل الإعلامية في الجوانب الأخرى التي كانت تدّعي الحفاظ على العروبة ولغتها سليمة.. وليس هذا وحسب بل تسلّقت هذه السلطة الإعلامية إلى الإعلام الرسمي فسار على آثار الخطى الموجودة كأمر واقع..

إن من ينظر نظرة سريعة إلى مجمل المؤسسات الإعلامية المسموعة والمرئية في لبنان يجد نهجاً متقارباً في استعمال قوى الأمر الواقع الإعلامية.. ولم تعد تطرح مقولات مثل تيسير اللغة أو تبسيطها إذاً، فقد بلغ الاتصال الإعلامي أقصى مداه في لبنان، وأضخم أبعاده. فقراءة الصحف والمجلات، والإعلانات وسماع أجهزة الإذاعة والتلفزيون، أدخلا الكلمة الإعلامية المنطوقة إلى كل منزل، لتؤثر في ألسنة اللبنانيين وتفكيرهم ومشاعرهم وسلوكهم، وتستعمل الصيغ المحكية موادّ أساسية في الإيصال والاقناع، فأقبل اللبنانيون عليها وألفوها، وتنبّه السياسيون والتربويون واللغويون إلى سلطاتها المتنامية الخفيّة، فلحقوا بها وتحوّلت ألسنتهم وسلطاتهم، وبدأ الواقع اللبناني مساحة مفتوحة على احتمالات الانهيار المختلفة، ساهم في ذلك، بالطبع، مناخ الانهيار الذي أشاعته الحروب في الربع الأخير من القرن العشرين"[٥٨].

واقع الإعلام في لبنان:

يشكّل ما ورد آنفاً مقدّمات كان لا بدّ منها للتعرّف إلى حقيقة الإعلام في لبنان وقاعدته التي تشكّل على أساسها.. وفي الأحوال كلّها ثمّة أمور أدّت دورها للوصول إلى الحقيقة التي نحن بصددها..

خصوصية التطور التاريخي للبنان:

لقد منح التطور التاريخي لبنان مميّزات وخصائص جغرافية وديموغرافية وفسيفساء سكانية وولاءات متعددة جعلت منه بلداً مفتوحاً في مجالات مختلفة.. والغريب أنّ هذا الواقع قد تواجد بتشكّلاته الثقافية جنباً إلى جنب وتعايشت ولاءاته في شبه مزيج أعطاه ألواناً خاصة وتنوّعاً ضمن وحدته.. فبدل أن تقول مثلاً لبنان عربي بتّ تقول: إنّ لبنان ذو وجه عربي.. وهذا يعني أن له وجوهاً أخرى كان لها الحسبان في تركيبته وعلاقاته الداخلية والإقليمية والعالمية..

كما أدّى هذا التطور التاريخي، لا سيّما في احتكاكه بالغرب وتفاعله مع محيطه العربي، إلى خلق قاعدة ثقافية انعكست في ميدان الكتابة عموماً والإعلام خصوصاً واللغة في الأحوال كلّها..

الإعلام اللبناني والانفتاح:

أمّا الحديث عن الإعلام في لبنان فهو أكثر شمولية مما يتصوّر البعض، بحيث من الصعوبة بمكان إلتقاط خصائصه والتركيز عليها والإنطلاق في دراستها، خصوصاً عندما تضيع اللغة بين الدعوات البنّاءة وغير البنّاءة بحجة تطويرها، وعندما يكون للعولمة وإعلامها مواطئ قدم كثيرة في أرجائه، الأمر الذي يجعل القضية الإعلامية أكثر تشابكاً وصعوبة، وتكبر مسائل كطغيان الإعلام

العالمي على الأمكنة وتتراجع أخرى كالاهتمام باللغة وطرق أدائها، لا سيّما عند الكشف الرهيب لحسبان لبنان مختبراً للغات وتلاقي الأفكار وتلاقحها.. الأمر الذي أوجد لديه طاقات إعلامية هائلة تبدأ من العفوية والبساطة لتنتهي بالتعقيد والاتساع، ولتدخل في الوعي والمفاهيم وأساليب الحياة العامة، في ثنائية غريبة تعوّل على قبول التقنيات الحديثة دون استئذان من جهة ويتخطى الأمر الذي بات واقعاً يتجسّد في النظرة السجالية إلى حسبان لبنان ساحة مفتوحة أمام الجميع: ثقافة وسياسة واقتصاداً واجتماعاً وإعلاماً واتصالاً.. وأنّه نقطة الاتصال بين الشرق والغرب، بل حلقة وصل بين عدّة قارات.. وهو أيضاً ما يقود البحث في الإعلام اللبناني إلى إشكاليات عديدة تتركز في التأثيرات الإعلامية واللهجات واللغات والإنتماءات والعلاقات الداخلية والخارجية حيث تتعقد المشكلة وتضيع خيوطها الرئيسة في شبكة التعددية وأمام الزحف الهائل للشبكات الإعلامية العالمية وأمام الطروحات الخطيرة التي تركّز على احتكار الإعلام العالمي ومحو الشخصية وإلغاء الخصوصية وتوجّه الإنسان طوعاً أو قسراً نحو العالمية.. الأمر الذي يعيد طرح مصير اللغات أيضاً أمام انتشار لغة العولمة وسيطرتها بالتالي على وسائل الإعلام ودخولها البيوت واشتراطها للدخول إلى سوق العمل والاستهلاك.

ذلك كلّه يعيد الباحث إلى طرح السؤال حول الإعلام اللبناني: أيّ لغة يتبنّى هذا الإعلام؟ وهل ما زال هو السؤال الكبير الذي يطرح حول مصير اللغة التي يعايشها المواطن ويتقبّل الكثير من صورها سواء أكانت عربية أم غير عربية؟ وهو السؤال الذي تقتضي الإجابة عنه في حمأة التجارة والمال اللذين أصبحا ديدن الإعلامي والإعلاني اللذين لا يهمهما سوى الربح الوفير واستمالة أكبر عدد ممكن من الناس، كما تنبغي الإجابة عنه في ظلّ هذا التراكم الإعلامي الذي أتاح الفرصة للمواطن كثرة الخيارات في دنيا غير محدودة الآفاق ومترامية الأهداف..

هي الإجابة العقيمة في زمن تحوّل التكنولوجيا إلى أيديولوجيا، حيث لم يعد يدقق المرء كثيراً في مصادر تلقيه الإعلامي، ولم تعد اللغة مدار الجدل وسط هذا التنوّع الهائل، فأخذت تضيع معالمها في هذا الركام المتعاظم من وسائل الاتصال التي تبدأ بالإذاعات المسموعة والمرئية، لتستريح أمام الحواسيب والانترنت والفضائيات التي تخاطبه بلغات لم يكن له بها عهد من ذي قبل.. هو واقع يفرض نفسه ويعمّم أدواته ويصيب المرء بالقصور والعجز عن اللحاق بما هو تقدم، فيضيع في تحديداته بين ما هو له وبين ما هو ليس له، بين طلب الكثير والرضى بالقليل مما حوله.. والغريب أنّ الأمور تجري متسارعة والقدرة على إيقافها بات صعباً، فتتحوّل المستجدات إلى ممكنات بلا هوادة بما فيها اللغة..

وسائل الإعلام في لبنان:

يشمل الإعلام الكثير من الوسائل بدءاً بالصحافة وانتهاء بالفضائيات.. ما يميّز لبنان دوره الإعلامي في العالم العربي منذ عهد مبكر من النهضة العربية، وليس أدلّ على ذلك من الصحف والمجلات التي أنشأها اللبنانيون داخل لبنان وخارجه..

أما الإذاعات المرئية والمسموعة والفضائيات فهي من الانتشار اليوم بحيث يصعب إحصاؤها وتحديدها.. وهي تتوزّع بين ما هو خارجي وما هو داخلي، وجميعها يتلقّاها اللبنانيون وهم قابعون في بيوتهم وفي أعمالهم وأماكن تواجدهم الأخرى...

في لبنان ثلاث وثلاثون (33) وكالة إخبارية، سبع وعشرون (27) منها لبنانية وست عربية وعالمية.. ومئة واثنتان وثمانون(182) محطة بثّ إذاعي محلّي، وستون(60) محطة بثّ تلفزيوني بالإضافة إلى إذاعتي لبنان الرسميتين:

المسموعة والمرئية. وفي لبنان يتلقّى اللبنانيون الإرسال من ستين(60) محطة فضائية محلية وإقليمية وعالمية[٥٩]..

ويتبيّن من الاحصاءات "أنّ 151840 ساعة بثّ تلفزيونية تغزو منازل اللبنانيين وأطفالهم في العام الواحد، أي بمعدل 416 ساعة بث يومياً، وأنّ كل ساعة من عمرنا كان يقابلها 24 ساعة بثّ تلفزيونية في حساب عدد ساعات اليقظة اليومية 17 ساعة "[٦٠].

اللغة الإذاعية بين العوربة والعولمة:

إنّ هذا الكم الهائل من المسموع والمرئي والفضائي في لبنان، يلقى خطورته في الشغف الممتد إلى العقل والنفس في متابعة وسائل الإعلام، بحيث يقضي معظم الناس، لا سيّما الأطفال، ساعات عديدة من يومهم أمام شاشاتها.. ولا يقتصر الأمر على اللبنانيين بل يتعدّاه إلى معظم أقطار الوطن العربي التي تشاهد شبكات البثّ الفضائي اللبناني.. وهو ما يقف أمامه علماء اللغة العرب، فيبدون تخوّفهم من حاضر اللغة العربية إزاء زحف العولمة وهيمنتها اللغوية الحديثة والهجينة التي تكوّنت في عصر السرعة ونالت المكانة العلمية التي أهّلتها لذلك، بفضل الفكر العلمي والرياضي الذي سيطر على نخبها وعلى فكرها وبالتطبيقات التقنية التي مسّت منظومتها الفكرية [٦١].. وتزداد المخاطر إذا ما حسبنا أنّ هذا التخوّف لا يتأتى من انتشار المعلوماتية وتقانتها وحسب، بل مما يرافق ذلك من غزو متعدد الوجوه ليس أقلّه الاستعماري والاحتلالي والاقتصادي والفكري والإعلامي والثقافي والاستعلائي والتهميشي والإلغائي.. وهو ما يعيد إلى الذاكرة مقولات العولمة كلّها ومحاولات الاستعمار للسيطرة على بلاد العرب وذهنية الإلغاء التي يتسلّح بها سراً وعلناً [٦٢].. وهذا ما يتجلى في لبنان، سواء أكان مرضياً عنه أم مرفوضاً.. وهو ما يخلق أجواء من التبعية تظهر جلية في الثقافة لا سيّما

اللغة[٦٣].. بينما المطلوب هو ترقية اللغة وحمايتها من غوائل الدفق الإعلامي الفوضوي المتجلبب بسمات التطور والسرعة والتغيير على حساب الثوابت.. وكما هو الأمر في لبنان هو في البلاد العربية الأخرى.. واقع متشابه يقتضي حلولاً عامة لدرء هذا التدهور الحاصل في مجال اللغة ونسيانها وتهميشها وإحلال أخرى محلّها. وكما يقول د. إبراهيم بدران واصفاً واقع اللغة العربية ومقترحاً السبل لحمايتها وفي مقدمتها: "تحويل اللغة والنهوض بها إلى مشروع تنموي تستثمر فيه الأموال والجهود، بحسبانها إحدى أدوات التنمية واكتساب المهارات العلمية والمعرفية والتدريبية"[٦٤]. وضمن هذا المشروع التنموي يمكن أن تواجه اللغة العربية العربية "متطلبات المرونة والتطوير والترقيم والاختصار والترميز التي يقتضيها العصر وتقتضيها التكنولوجيا الحديثة في المعلومات والحواسيب والاتصالات"[٦٥].

اللغة الإذاعية والقوانين في لبنان والحرب:

والرأي السائد في لبنان أنّه بلد مفتوح للتلقّي الإعلامي.. وهي حقيقة تختلف عنها في المحيط العربي وربما في العالم.. وقد كرّست القوانين اللبنانية [٦٦] هذا الانفتاح وراعت الاتجاهات الثقافية والاعلامية.. ونصّت المادة 13 من الدستور اللبناني على حرية إبداء الرأي في القول والكتابة والطباعة[٦٧]..

واقتصر دور الإذاعة اللبنانية الرسمية في بداياتها على الأنباء أو الأخبار (1946).. وقد حلّت في مراحلها الأولى مركزاً مميزاً، إذ كانت بمثابة وزارة للأنباء قبل أن تستحدث هذه الوزارة وينتقل اسمها إلى وزارة الإعلام(1971).. ثم استحدثت فيما بعد الوكالة الوطنية للأنباء التي تركّز فيها صوغ الخبر وتنوّعت بعد ذلك مهمّات الإذاعة فانتقلت من بثّ الخبر إلى بثّ البرامج المتنوعة، والإذاعة التي نعنيها هنا هي مرئية ومسموعة..

إلا أنّ زمن الحرب ابتداء من العام ألف وتسعمائة وخمس وسبعين (1975)، قد أحدث تغييرات عميقة في المجتمع اللبناني أدّت إلى تعطيل العمل في جملة من القوانين وسادت قوى الأمر الواقع وما استتبعها من سيطرة على مقدرات حياتية كثيرة ومنها الإعلام الذي خاض أصحابه معاركهم الكلامية المفتوحة دون هوادة حتى العام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين (1991)، حيث ظهرت مؤسسات إعلامية جديدة شبه مستقلة ببرامجها وتوجهاتها وجمهورها.. الأمر الذي أضفى على الإعلام اللبناني برمّته سمة الفوضى والفردية وصوغ الخبر وفق مشيئة أصحاب المؤسسة.

اللغة والثأر القديم:

ولقد انعكس ذلك على أساليب الأداء العفوية وشكّلت عودة إلى الطروحات القديمة–الجديدة حول اللغة العربية، لا سيّما سيادة اتجاه العامية الذي مثّل انهياراً تاماً لكثير من مظاهرها الأصيلة والرصينة والسليمة، الأمر الذي جعل ازدحام الأفكار رائجاً منها ما هو داخلي ومنها ما هو اسقاطيّ لم تنفع معه المحاولات الرامية إلى ردمه [٦٨]، وفي المجالات كلّها خصوصاً الإعلامية والتربوية والاجتماعية.. حيث يعثر الباحث على نصوص تدل دلالة واضحة على المستوى الذي تدنّت إليه العربية.. هذه النصوص تحكمت فيها السرعة والمغالاة والمحاباة والانحياز والتهجّم، كل فئة على أخرى، والابتذال في التعبير عن الآخر..

لكن هذه الطروحات عبّرت عن الاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة، كما عكست وجهات النظر السياسية حول أشكال الحكم التي تراها كلّ فئة [٦٩].. كما بُثّت الأخبار الكاذبة والملفقة واتخذت الاحصاءات أحجاماً مبالغاً فيها [٧٠].. وحصلت الانكسارات النفسية والأزمات التربوية والاجتماعية، وتلقفت اللغة هذه التأثيرات فنالت من هذا الانكسار ما نالته على صعيد أدائها التعبيري وبنيتها

وطرق استخدامها وفوضى مضامينها، وراجت فيها مصطلحات جديدة للتعبير عن الواقع الجديد. وهي مستمدة من التسميات التي أطلقت على فرقاء النزاع وعلى الطوائف، وعلى الفئات السياسية وعلى الاتجاهات السياسية كالتعدّدية والعلمنية والدويلات والفدرالية، ومشاريع الطائفية والتقسيم والطائفية السياسية والانعزال والعمالة، والوطنية والميليشيات... حيث شكّلت الصحافة المكتوبة رافداً مهماً للإذاعات المسموعة والمرئية في الصوغ الجديد، وتبنّي طرق لم تكن موجودة قبلاً..

وكما انقسمت الصحافة في لبنان انقسمت الإذاعات.. وبتنا أمام كمّ هائل يمكن التمييز فيه بين الأنواع التالية : **السياسي الخاص** التابع لكل حزب أو فئة سياسية، ينقل وجهات نظره ويتلاعب أحياناً بالمعرفة بما ينشره من تضليل للرأي العام وتهجّم على الآخر غير عابئ بمستويات اللغة شكلاً ومضموناً، ومنها صوت لبنان وصوت لبنان العربي وصوت الجبل وصوت لبنان الحرّ وصوت الشعب وصوت الوطن... و **الديني الخاص** الذي امتاز بالشفافية والايجابية، ومنه إذاعة القرآن الكريم وصوت المحبة وصوت الحياة وإذاعة النور.. والنوع **الثالث** غير الملتزم بتيار معين، وهو الذي بثّ البرامج الغنائية والترفيهية بقصد اللهو..

وهذه الأنواع الثلاثة لم يكن تواجدها من غير صراع قولي.. خصوصاً إذا أضفنا إليها الإذاعات المرئية التي انقسمت بدورها إلى هذه الأنواع، وأدّت دورها المرسوم في التبعية لكل حزب أو طائفة أو اتجاه...

خطاب الإذاعات المسموعة والمرئية والفضائية في لبنان:

تمهيد:

لا يمكن في حال من الأحوال فصل المضمون عن الشكل في اللغة في مجال الإعلام عموماً وما آل إليه الإعلام اللبناني خصوصاً.. كما لا يمكن إلا الأخذ بالحسبان المحرّكات الأساسية والدوافع المباشرة لهذا الإعلام.

إن نظرة عميقة إلى ما يجري على صعيد الإذاعات المرئية والمسموعة والفضائيات في لبنان تبدي خطابها وفق المعطيات التالية:

من نتائج الخصوصية التاريخية:

إنها نتيجة من نتائج التطور التاريخي للخصوصية التي تميّز بها لبنان منذ زمن بعيد، لا سيّما من عصر النهضة حتى زمننا الحاضر..

من إفرازات التيارات في لبنان:

إنها انعكاس للتيارات السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية والاستعمارية (الفرانكوفونية والأنكلوساكسونية والأميركية والأوروبية الشرقية...) [٧١]

تراجع الرسمي وتقدم الخاص:

التراجع في الإعلام الرسمي والتقدم في الإعلام غير الرسمي، الأمر الذي أفلت الزمام من الرسمي وترك الحبل على غاربه في شأن التعاطي مع اللغة. فلم يعتمد

سياسة ثقافية وحدوية، فقسّم اللبنانيين بالثقافة قبل أن يقسّمهم بالقتال، لأنّه رعى العناصر الثقافية للغات الأجنبية بدعوى التعدّد الحضاري والثقافي، وخاطب الشعب اللبناني على أنّه طوائف، مستخدماً لغة ثقافية خاصة بكل طائفة [٧٢].. وهكذا كان في لبنان ما يسمّى بـ"إعلام الطوائف" و"إعلام الأحزاب" و"إعلام المليشيات" و"إعلام المناطق".. ولم تنفع مع هذه التسميات نداءات مؤتمر لوزان القائلة بضرورة "وقف الحملات الإعلامية بكل أشكالها"[٧٣].

صورة لما هو قائم:

اكتسب الخطاب الإعلامي اللبناني سمات المرحلة كلّها، وظهر في أدبياته مروّجاً لفسيفساء الخصائص التي تميّز بها كل فريق.. الأمر الذي جعل هذا الخطاب خاضعاً لمقولات كل فريق حول اللغة. وهي في الحقبة الأخيرة تسجل تراجعاً بيّناً عن الخطوط الأساسية التي أظهرتها قويّة وقادرة على التعبير عن كل شيء حيث كانت تحتفظ بوضوحها وفصحاها ونقاوتها وجلال تعبيرها، كما نصّ على ذلك دستور لبنان الجديد بعد الاستقلال[٧٤]..

هبوط المستوى الأدائي:

امتاز هذا الخطاب بركاكة التعبير اللغوي وهبوط الثقافة وتحوّل القول إلى لغة الشارع، بما فيها من ابتذال وسخرية وشتائم وجدّية ورصانة. ويكفي أن نلتقط أي نص مما يذاع في المرئي والمسموع حتى نتبين الهوّة التي انحدرت إليها مستويات الكلام. ونقلت البرامج أرخص المشاعر وروّجت مضامين خارجة عن نطاق الأخلاق[٧٥]، وحملت اللغة وصف حالات تمعن في الخروج عن القيم ليكون الهدف تجارياً يهتم بما يجنيه من المال عن طريق الإعلانات التجارية والبثّ القائم على الحرية المزعومة، بعيداً من قيم الشرف والدين ووصايا العقلاء، قريباً من النزوات والتلفيقات عن طروحات غلافها التوجيه ومحتواها هدم مقولات مثل

الوطنية والديموقراطية والعدالة.. الأمر الذي أثّر في الأجيال الجديدة، لا سيّما الأطفال في أماكن تلقيّهم المختلفة..

المحلي والعالمي:

ترافق ذلك مع الدفق الإعلامي العالمي، المتركّز في الفضائيات، والتطوّر الهائل في مجال تقنياته والتخطيط القائم لزحزحة الثقافات واللغات وبنى الشخصيات وتفكك المجتمعات وحضور لغات أخرى على حساب العربية وشيوع أمثلة الهزيمة النفسية وتتفيه التراث وذهنية الإلغاء من دون أن يرأب المعنيّون الصدع ويوقفوا نزيف الإنهيار، وصولاً إلى العام 1991، حيث كانت هناك بادرة قام بها أحد وزراء الإعلام بتقديمه مشروعاً يرمي إلى حماية اللغة العربية في وسائل الإعلام[٧٦].. وقد سبق هذا الإعلان ندوة أقيمت في فندق الكارلتون في بيروت لمناقشة الأوضاع التي آل إليها الإعلام في لبنان، لا سيّما اللغة، التي وصفها أحد المشاركين بقوله:" فأية نماذج تقدّم لنا الوسائل المرئية، لقد تدهورت الأجيال الجديدة وانهارت من جرّاء التفرّج على هذه الوسائل، جيل الحرب هو جيل عدم القراءة، عدم التركيز، عدم إجادة اللغة العربية، جيل الجمل المختلطة مثل "بونسوار" (مساء الخير)، و"بونجور" (صباح الخير) و"بروغرام"(برنامج) [٧٧].. وقد تتالت اللقاءات الرسمية لحلّ معضلة الإعلام في لبنان، وتمثّلت ثمرتها بإخراج ميثاق الشرف الإعلامي" [٧٨]، غاب عنه الاهتمام باللغة العربية، ثم تكرّس تنظيم الإعلام المرئي والمسموع في قانون أقرّ بعد محاولات عديدة ومناقشات مستفيضة، وصدر بتاريخ 1994/10/20[٧٩]، ولم يتضمن أيّ إشارة إلى وضع اللغة العربية وضرورة تحسينها، بل هو يساويها مع بعض اللغات الأجنبية.. كما لم يؤدّ استحداث "المجلس الوطني للإعلام المرئي والمسموع" [٨٠]، إلى إعادة النظر في اللغة الإعلامية، بل أهمل وضع اللغة العربية إهمالاً تاماً، ما عدا التركيز على نشرات الأخبار التي يجب أن تكون بالفصحى..

الفوضى:

كرّست القوانين التي صدرت حول الإعلام وضع اللغة العربية القائم في الإعلام المرئي والمسموع والفضائي، فإنطلق على سجيّته، في شبه فوضى لغوية عارمة لا تراعي أصولاً ولا تعير أيّ اهتمام للتعبير العربي السليم.. وسيطرت عليها فكرة السباق إلى الكسب الأوسع شعبياً وتجارياً.. وأشاعت أجواء من الفلتان الأخلاقي، الأمر الذي أدّى بمرجع ديني كبير هو سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى، إلى القول صراحة:"إنّ ما يجري حتى في التلفزيون الرسمي هو ليس مجرّد انفتاح حضاري وثقافي وإعلام ولغة وحرية واقتصاد.. هذه سياسة موجّهة من الخارج، وقد تكون بعض الأوساط اللبنانية متواطئة، سياسة تهدف إلى إفساد الجيل من الشبان اللبنانيين والعرب والمسلمين، وغرس بذور الجريمة والعنف وتحطيم الأسرة.. لأنّ المسألة تتزامن مع ما يسمى نظام الشرق الأوسط الجديد أو مفاوضات السلام.. يراد غسل أدمغة الشباب ليكونوا قطيعاً مطيعاً.. بالإضافة إلى أنّ عدداً من محطات التلفزيون تعرض أفلاماً تروّج في باطنها للفكر الصهيوني والحركة الصهيونية، وكل ذلك في مظاهر بريئة.."[٨١].

التشتت والضياع والتسيّب:

خلّف هذا الوضع في الإعلام المرئي والمسموع والفضائيات واقعاً أليماً، يعكس تشتّت القوى بدل أن يشدّ المواطنين ويجمعهم في صفّ واحد.. وغدا لكل طائفة أو حزب أو تجمّع.. إذاعته الخاصة التي كرّست نهجه.. وبتنا أمام مجموعة كبيرة من نثار الفسيفساء التي تشكل المجتمع اللبناني.. وإن كانت الحرب الساخنة قد هدأت فإنّ الباردة لا تزال كامنة تنذر بوخيم العاقبة ساعة يستبدّ بها الهوى والرغبة.. وهكذا وجدت هذه التجمّعات الإعلامية لتقول ما يجب قوله لجماعتها

وبلغتها الخاصة التي تشكّلت، عبر الزمن، دون رادع لها، سلطتها الخاصة.. في ظلّ إرادة رسمية، جعلت من الإعلام الرسمي باهتاً، وقليل التأثير ومتراجعاً عن الوسائل الإعلامية الخاصة، وكأنّ التوجّه هو لتقوية هذه الوسائل على حساب الإعلام الرسمي، وكأنّه اعتراف به كما اعتراف بالتعدّدية في لبنان.. وهذه كثيرة ومتعاظمة: أصبحت تتمثّل بالمرئي والمسموع والفضائي دون رقابة، كثيرة التنوّع وعميقة التأثير، وشديدة الفعالية، تقود نحو الضبابية والانفلات والافتئات على القيم والتراث واللغة والأديان والأجيال الصاعدة والمجتمع بأسره.. وكأنّ الأمر مقصود انطلاقاً من مقولة احترام الآخرين وتوجهاتهم وحريتهم في التعبير عن ثقافتهم أو حضارتهم أو أساليب حياتهم عموماً، بلغتهم الخاصة المشتقة حيناً من العربية أو من لغات غيرها، هي في حدودها المثلى إسقاط مريع لهذه اللغة وانزياح عنها إلى ابتكارات ملفّقة وأداء فاضح، أقلّ ما يوصف به خروجه الكلّي من المألوف اللغوي العربي المعروف.. إلى لغة جديدة تحمل في رحمها مهمّات خطيرة لضرب اللغة الأم الأصيلة.. لغة يشتدّ تأثيرها في الأجيال الناشئة التي تتحول بدورها إلى مقلّدة، لا تعرف ما لها وما عليها، في ظلّ أزمة ترخي بظلالها على المحلّيات وتهدّد بانكسارات وإلغاءات خطيرة.. وهو ما دفع أحد الإعلاميين إلى القول:" يجب أن نحمي لغتنا بالقانون عن طريق معاقبة مذيعي الوسائل الإعلامية إن تحدّثوا بغير لغتهم العربية"[٨٢]، كما دفع سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين إلى القول بضرورة "تحريك النيابات العامة ضد الإعلانات الفاجرة والأفلام الفاضحة التي تربّي على العنف والجنس والتفلّت من المسؤوليات"[٨٣].

الإعلام اللبناني ومهمّة اللغة المستحيلة:

التركة اللغوية المشوّهة:

كانت الحرب إذاً فاصلاً كبيراً أسقط الكثير مما هو متعارف به من ضرورة الحفاظ على جلال الفصحى واحترام قواعدها.. وهي كما قلنا محاولات غير بنّاءة لاقتراح إصلاح اللغة العربية، قام به، على مدى ما يقرب القرن، "جهابذة" عدّوا أنفسهم، تارة مخلّصين للغة من شوائبها، أو مجدّدين فيها، أو ميسّرين لها أو مخلّصين إيّاها من عجزها، أو منتقلين بها إلى عصر جديد تستطيع فيه التعبير عن المستجدّات كلّها.. وكانت فعلتهم هذه تلاقي استحساناً من فئة كبيرة من اللبنانيين عن قصد أو غير قصد.. ما قدّمته هذه المحاولات كانت قاعدة استند إليها السقوط العارم لبعض وجوه البنيان الجميل للغة.. وما كادت الحرب اللبنانية تطل في العام ألف وتسعمئة وخمس وسبعون (1975)، حتى استحضرت صورة مجهودات هؤلاء "الجهابذة" ودوّت تطبيقاتها في الآفاق، منذرة بإعلام مستقلّ خاص ينفث سمومه اللغوية والمضمونية كما يرى من غير رقيب.. وتعظم المصيبة عندما نرى هذا الواقع اللغوي في الإعلام قد تكرّس بعد انتهاء الحرب اللبنانية والبدء في إعادة بناء المجتمع اللبناني، وفق الاتفاقات الجديدة التي لم تلحظ للغة العربية أيّ اهتمام على الرغم من المحاولات العديدة لإصلاح الإعلام في لبنان.. والأمر المذهل حقاً في زمننا الراهن هو انتقال العربية من حال إلى حال، ومن ثوب إلى آخر، ومن أداء تعبيري لا يعطي أيّ مكانة للفصحى في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وهو ما جعل الصحافة اللبنانية في مأزق تعبيري تضيع فيه بين الفصحى والعامية واللهجات المحلّية والتخلّي عن أبسط القواعد اللغوية وجماليات اللغة، وما

أوجد نوعاً من الانفصام بين الأدب والصحافة، وصل إلى الحدّ الذي باتت معه الصحيفة المعيّنة مضطرّة إلى إرضاء الجمهور بغية الترويج ومجاراة المستويات الهابطة في التعبير.

كثرة الإذاعات:

ونتيجة لهذا الوضع، ونظراً لكثرة الأحزاب والطوائف والتجمعات والتيارات التي استفادت من ظروف الحرب ومن مقولة الحرية في التعبير وضرورة إسماع الصوت إلى أوسع قسم من الناس.. شهد لبنان تدفقاً إعلامياً في مجال الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات..

وعلى ذلك فقد أحصي في لبنان ما يزيد على ثمان وأربعين (48) إذاعة مسموعة وتسع عشرة (19) فئة أولى وتسع وعشرون (29) فئة ثانية، قبلت ملفاتها من المجلس الوطني للإعلام وعدّت شرعية، بينما وصل عدد الإذاعات المسموعة غير الشرعية إلى سبع وعشرين (27) إذاعة..

ويمكن أن نثبت قسماً من هذه الإذاعات وتاريخ تأسيسها على الوجه التالي:

باراديز(1980)، المشرق(1982)، راديو فان(1983)، المستقبل (1983)، ميلودي(1985)، نوستالجي(1988)، راديو إيزي(1989)، النور (1987)، الإيمان(1986)، سينيال- المتوسط(1986)، ميوزيك باور (1989)، سكاي روك(1991)، لبنان السلام(1991)، باور(1991)، النجوم(1990)، جبل لبنان(1979) الفرح(1984) سويتش أف-أم(1985)، ماجيك(1985)، صوت الحب(1986)، صوت الفن(1986) جبل لبنان(1982)، الشرق الأوسط(1989)، هيت أف-أم(1988)، بيروت الكبرى(1990)، سيبل أف-أم(1990)، بلو أف-أم(1992)، كابيتول(1982)، دلتا(1981)، صوت

الوعد(1982)، باكس(1977)، صوت النهضة(1991)، La une(1988)، JBS(1984)، MGS(1988)، Plus(1988)، UML، RMS، Par، والتوحيد والشرق و RTL والشمال والوادي وبعلبك(1981)، ونانتي وان (1989)، والحنان(1986)، وسكوب(1985)، وهابي أف–أم(1984)، ودو ري مي (1991)، بالإضافة إلى الإذاعة الرسمية اللبنانية[٨٤].

والجدير بالذكر أن هذه الإذاعات المسموعة بعضها يبثّ بالعربية وبعضها الآخر بالأجنبية وقسم كبير يمزج ما بين العربية والأجنبية.

اللغة العربية في الإذاعات المسموعة:

والعربية المقصودة هنا هي العامية أو إذا شئت "الدارجة"، أو "المحكية".. إذاعات لا تعير أيّ اهتمام للفصحى ومعظمها يعوّل في برامجه على الموسيقى والغناء واللهو.. ولا تجد فيها توثيقاً للبرامج، حتى الغناء والموسيقى، فغالباً ما يكونا من غير مقدّمات، هكذا يحصل البثّ للفقرة التالية فجاءة، الأمر الذي يشعرك بأنّك تسمع لأناس ليسوا من هذا الكون حتى مجهودهم الفنّي يضيع دون أن تعرف اسم المغنّي أو صاحب القطعة الموسيقية.. وإذا ما عرّج المذيع على قول من الأقوال فغالباً ما يكون بالعامية محوّلاً عن الفصحى ومشوّهاً أيّما تشويه. وكأنّ السامع بحاجة إلى ترجمته من الفصحى إلى العامية، ذلك السامع الذي ما انفكّ يسمع القرآن الكريم أو نشرات الأخبار بالفصحى.. وشتان بين فصحى القرآن وفصحى مذيعي الأخبار.. مع التأكيد أنّ معظم هذه المحطات الإذاعية لا تُقبل على إذاعة الأخبار أو الأحاديث الثقافية إلا فيما ندر.. وكأنّها أخذت على عاتقها التعويض بالفرح (كما تدّعي) عن ليالي الحرب وأيامها.. لاجئة إلى مستويات أدنى من مستويات لغة الحرب نفسها وإن كانت نتيجة لها..

وفي هذا الصدد، لا يستعصي التصنيف على الباحث عن الاستعمال اللغوي في هذه الإذاعات. فنحن أمام موجة عارمة من الاندماج الكلّي بلغة الناس العاديين على مختلف مستوياتهم، هي أشبه بالنهج أو"الموضة" في آخر تحليل.. وإذا شئنا الإنصاف قد نستثني بعض الجهود التي تبذل من أجل الحفاظ على بقايا الفصحى في بعض الإذاعات أو فلولها في إذاعات أخرى..

الإذاعة اللبنانية الرسمية:

من الإذاعات التي تحاول المحافظة على بقايا العربية الفصحى في لبنان الإذاعة اللبنانية الرسمية، وهي التي ظلّت لمدة طويلة تقدّم برامجها بلغة فصحى سليمة.. لكنّها في الآونات الأخيرة تراجعت عن هذه الخطة، والقليل من البرامج ما تبقّى يبثّ بالفصحى العربية.. نميّز في هذه الإذاعة صوغها نشرات الأخبار الدائم بلغة عربية سليمة، وهي من إعداد الدائرة الإذاعية التابعة للوكالة الوطنية للإعلام.. وهاك أنموذج من صوغها: "غادر وزير الثقافة الدكتور غسان سلامة بيروت صباح اليوم متوجهاً إلى بودابست في زيارة رسمية تستمر ثلاثة أيام تلبية لدعوة من نظيره الهنغاري غابور جورجي لإجراء مباحثات تتناول العلاقات الثنائية بين البلدين ومناقشة بنود الإتفاقية الثقافية التي سيوقّع عليها الوزيران في ختام المباحثات.. وسيكون للوزير سلامة سلسلة نشاطات أبرزها افتتاح المعرض الثقافي العربي الذي تنظمه السفارة اللبنانية في بودابست بمشاركة إحدى عشرة دولة عربية من ضمنها لبنان ولقاءات مع عدد من المسؤولين السياسيين ورجال الفكر والثقافة..."[٨٥].

وهي فصحى جيدة إذا ما قيست بالصوغ الفصيح المتدنّي الذي يشيع في بعض النصوص التي تقدّم.. فبرنامج "حديث رمضان" [٨٦] الذي يفترض أن يكون كلّه بالفصحى السليمة يتضمن نوعين من الأداء اللغوي: الأول تلاوة الآيات

القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة بالفصحى التامّة، والثاني أداء يتراوح بين الفصحى والعامية في اختيار ألفاظه وعدم تشكيل أواخر الكلمات، بل تسكينها بشكل دائم. بينما برنامج "مع الأحداث" [٨٧] الثقافي والأدبي والفني، يستلهم الفصحى في السرد واللقاءات مع بعض الشخصيات.. لكنّها فصحى سهلة وغير متقعّرة وقريبة من اللهجة المحكية، تسودها السلاسة تمشياً مع الوضع الثقافي المطروح، ومراعاة لمستوى الجمهور الذي يتقبّل الكلام المفهوم بسرعة واللفظة التي اعتاد على استعمالها ولكنها قريبة من الفصحى، مثلاً:" نستقبلْ في هذه الحلقه ضيفاً عزيزاً على القلوبْ شَغْلتُه الأدبْ، يحبُّ العالم (الناس) ويتقرّبْ (يقترب) منهمْ ويأخذْ (يستقي) مواضيعه (موضوعاته) من حكاياتهم وشغلهم (عملهم)".

فهي لغة مبسّطة تحاول أن تجاري أوساط الناس، ومضطرة أن تتراجع عن الفصحى الراقية.. فاستعمال "العالم" و"يتقرب" و"يأخذ" و"شغلهم".. مفردات تتردّد في معجم الناس اليومي.. ولكن ماذا يضير لو أبرزت في وجهها الاستعمالي الحقيقي السليم؟ الإجابة هنا تفترض أنّ جمهور الناس يستطيع أن يفهم مقابل هذه المفردات في الفصحى السليمة من دون عناء.. وبذلك نستطيع رفع الناس إلى مستوى الفصحى لا هبوطها إلى مستواهم.. لأن تتابع هذا الهبوط قد يؤدي إلى فقدان الفصحى كليّاً.. وهو أمر حاصل في مختلف الإذاعات اللبنانية. وإذا ما تابعناه في الإذاعة اللبنانية نقع على هذه الحالة في كثير من البرامج الأخرى التي تؤدّى بالعامية الخالصة، مثل برنامج "أرضنا الطيبة" الذي يقدّم باللهجة المحكية اللبنانية وبرنامج "لبنان والإعمار" الذي يعتمد العامية كلّياً والحجة في ذلك أنّه يجري لقاءات وحوارات مع المواطنين ووفق لهجاتهم وأماكن تواجدهم..

بينما نجد برامج مثل "مواقف الخالدين" و"كتاب في الضوء" و"رمضان الأجداد" تعتمد الفصحى الخالصة أساساً في الأداء لأنّها برامج ثقافية تعني قطاعات معينة من الجمهور..

على أنّ الإذاعة اللبنانية الرسمية اتجهت في السنوات الأخيرة إلى أن تجاري بقية الإذاعات وتقدّم البرامج قريباً من أساليبها بغية الإستجابة لأوضاع الجمهور الذي بدأ يتلمّس فقرها في نواح كثيرة بالنسبة لسواها، الأمر الذي استدعى إعادة النظر في شبكة برامجها التي أخذت تميل إلى الأداء بالعامية مع احتفاظها بالفصحى في البرامج الإخبارية لا سيّما تلك التي تصوغها الوكالة الوطنية للأنباء.. وهذا الميل ينطلق من تبسيط اللغة إلى حدّ العامية ولا يستثني من ذلك المقابلات الإذاعية والتقارير المصورة والحوارات مع المسؤولين حتى الرسميين منهم[٨٨].. وقد نجد في برامج مثل "مشوار"[٨٩]، الذي يحوي فقرات منوّعة، لا سيّما الرياضة أحاديث ومقابلات مطوّلة بالعامية، أو المسكّنة أواخر الكلمات. ففقرة "بلا تبغ" تحض الشباب على عدم التدخين، يتحدث مقدّمها وهو يسير على قدميه داخل محطّة البثّ، بفصحى المثقفين، وبشكل وعظي خالص.. بينما يتحدث أحد الضيوف(حسان الغضبان أحد المسؤولين في الاتحادات الرياضية) بعامية خالصة.. وتجري المقابلات في فقرات البرنامج مع الفتيان والشباب ومسؤولي الفرق الرياضية والأندية والجمعيات بلهجة عامية خالصة تراعي أوضاع المتحدثين، كل ينطق بها بحسب منطقته..

الإذاعات غير الرسمية:

أمّا بقية الإذاعات غير الرسمية والعاملة على الأراضي اللبنانية بموجب تراخيص رسمية، فعلى الرغم من كثرتها، فإنّها تعتمد اعتماداً كليّاً على العامية إلا في بعض الاستثناءات في بعض الإذاعات التي تبثّ نشرات إخبارية بالفصحى، ويمكن استنتاج الملاحظات التالية حول استعمال اللغة العربية في هذه الإذاعات:

١ –**الاقتراب من التبسيط وخلق لغة ميسّرة** ، وهي محاولة للخروج باللغة من التقعّر والغريب من الألفاظ للدخول إلى عالم لغوي جديد قوامه اللفظة المفهومة بسرعة من السامع.. وهو أداء يخلط بين العامية والفصحى، بتفصيح بعض العاميّ وإلباس الفصحى حلّة جديدة من الصوغ يهبط به إلى الأداء السهل، وهو

بذلك يضفي على اللغة دنيا جديدة قائمة على انتقاء اللفظة ووضعها في سياق حسن السبك متين العبارة.. وهذا ما نجده في إذاعات مثل "صوت الشعب" و "صوت لبنان" و"صوت الشرق"، لا سيّما في البرامج الإخبارية.

٢ -نجد في هذه الإذاعات **برامج بالفصحى التامّة**، مثل برنامج "المواطن والقانون"[٩٠] في إذاعة "صوت الشعب"، و"على طريقتي" [٩١] في إذاعة "صوت لبنان"، بالإضافة إلى البرامج الإخبارية من نشرات وموجزات، وهي فصحى تصل إلى القمة في الأداء أحياناً.. وتفرد "صوت الشعب" برنامجاً خاصاً لتعليم اللغة العربية لا سيّما الأخطاء الشائعة والنحو والصرف..

٣ -تسود بعض الإذاعات **نزعة نظرية للتمسّك بأصول العربية مضموناً وشكلاً**.. وقد تكون بعض المضامين التوجيهية الوطنية والقومية والإنسانية موجودة بكثافة، إلا أنّ الأداء، أي الشكل، يعوّل كثيراً على العامية، وتكاد معظم البرامج أن تكون بها.. وهذا ما يتمّ مثلاً في إذاعة "صوت الشعب" حيث نرى فيها توجهاً وطنياً وحرصاً على التراث، لا سيّما في ميدان الغناء والحفاظ على اللغة، لكنها في الواقع تقدّم معظم برامجها بعاميّة خالصة اقتراباً من "لغة الشعب".

٤ -تحاول **الإذاعات الدينية** أن تحافظ على اللغة الفصحى وتبتعد من العامية بقدر الإمكان، مع الأخذ بالحسبان بعض الفروقات والتنوّع في اللجوء إلى العامية. فـ"إذاعة القرآن الكريم" الناطقة باسم دار الفتوى في لبنان، والعاملة على نشر الإسلام وثقافته وتعاليمه تبثّ برامجها باللغة العربية الفصحى التامّة، مثل برنامج "الكلمة الطيبة"[٩٢] و"أقوال جامعة"[٩٣] و"مجالس النبوّة"[٩٤].. حتى الإعلانات فيها تذاع أحياناً بالفصحى بالإضافة إلى العامية. وهي على العموم أكثر الإذاعات أهمية في تبنّيها الفصحى الخالصة..

وتعدّ إذاعة "صوت المحبة" من الإذاعات الدينية الملتزمة أيضاً بالفصحى في بعض برامجها.. وهي محطة تبثّ التعاليم المسيحية، تُؤدّى برامجها الدينية لا سيما التراتيل والقداديس والاحتفالات باللغة العربية الفصحى.. بينما تنتقل إلى العامية في غير هذه البرامج.. وهي تفسح في المجال إلى لغات أخرى تبثّ بها: كالفرنسية والإنكليزية والأرمنية والسريانية واليونانية واللاتينية والسيرلانكية.. وغيرها من اللغات المتواجدة في لبنان..

بينما تقوم إذاعة "صوت المشاريع" الدينية الإسلامية بتقديم برامجها بأداء يراعي الفصحى في الموضوعات الدينية، مثل برنامج "السيرة النبوية العطرة" [٩٥] و"ملفات شائكة"[٩٦] و"قصص الأنبياء"[٩٧] و"العقيدة الأشعرية"[٩٨].. بينما تستعمل العامية في ما عدا ذلك كلّه لا سيّما في التقديم والبرامج غير الدينية كالرياضة مثلاً.. وإعلاناتها بالعامية أيضاً..

وفي إذاعة "البشائر" الإسلامية، نلتقي أيضاً بهذا التنوّع في الأداء اللغوي، ينتقل بين الفصحى والعامية، ويخلط بينهما في برنامج واحد أحياناً.. لينتهي في كثير من الأحيان إلى لغة المثقفين أو الصالونات.. من أمثلة ذلك ما نسمعه من نسق برنامج "صانعة الأجيال" [٩٩] الذي يُقدم له بعبارة فصيحة هي :"دروس للأم والمعلمة لتحقيق الظروف التربوية الملائمة". وقد جاء على لسان الشخصية المستضافة الأستاذ سلطان ناصر الدين العبارات التالية، نوردها كما قيلت:" على المجتمع تغييرْ سلوكْ هذا الإنسانْ منْ السلبيْ إلى الإيجابيْ. وهنا يأتي دورْ المؤسساتْ الإجتماعيهْ كيْ تحدثَ فيه تغييراً ويكتسبْ القيمْ. القيمْ كِلْمَهْ زغيرةْ. ثلاثْ حروفْ لكنْ فيها كتيرْ من الأفكار".

٥ – تشيع في بعض هذه الإذاعات ما يسمى "**باللغة اللبنانية**" **أو** "**اللغة العامية اللبنانية**".. وهي الأبرز في الأداء الإعلامي في لبنان.. وهي على توحّدها، إلا

أنّها تحمل في داخلها تنوّعاً يراعي **اللهجات المناطقية اللبنانية** .. وهي تكتسب خطورتها من أن بعض المدّعين إصلاح العربية يقترحونها أسلوباً كلامياً ملائماً حياة العصر.. ويجعلون منها لغة خاصة "للقومية اللبنانية" كما يدّعون.. إذاً هي تحمل مشروعاً مضاداً للعربية الفصحى وأنصارها الذين لا يعرفون مدى خطورة هذه الدعوة من الذين يتمسّكون بالعروبة نظرياً ويهوون باللغة إلى العامية دون تدبير أو تخطيط ومن غير علم بهم.. يستجيبون لهذا الداعي تمشياً مع السوق الإعلامي الرائج.. فمن البرامج التي تذاع تطبيقاً لذلك: "ألُو ستي" [١٠٠]، الذي يتنكّب في أدائه لهجة مناطقية تعود إلى مقدّمه، وبرنامج "شكاوى الناس"[١٠١] الذي هو خليط من اللهجات اللبنانية المتعدّدة.

وهي طريقة تلتزمها إذاعة "لبنان الحرّ" حيث تغطي العامية مجمل برامجها، بينما تذاع نشرة الأخبار وموجزاتها وملاحقها باللهجات المحكية أو بفصحى مبسطة هي أقرب إلى لغة المثقفين والصالونات، التي تؤدى دون تحريك أواخر الكلمات.. ومن برامجها: "كل يوم وانتو بخير" [١٠٢]، وهو الذي يعتمد اللهجة اللبنانية، ومثله برنامج "ضحك ولعب وجد وحب" و "خبريّة وغنيّة" [١٠٣] الذي يستخدم اللهجة الكسروانية[١٠٤].. بينما يستقبل برنامج "مرحبا على الهوا" مواطنين من جميع المناطق بحسب لهجاتهم المختلفة اللبنانية والمختلطة بلغات أجنبية..

٦ – **وقد تمزج هذه الإذاعات الفصحى بالعامية** كأن تقدم مثلاً "إذاعة صوت لبنان" برنامج "صالون السبت"[١٠٥] الذي يستضيف شخصيات رفيعة المستوى في السياسة والفكر والأدب والثقافة.. يمهّد له بمقدّمة بالفصحى تعرّف بالمضاف ومن ثم يعود الحوار ليأخذ سبيله إلى العامية بعد ذلك.. وكأنْ تبثّ إذاعة "لبنان الحرّ الموحد" أو "إذاعة إهدن" برامجها بالفصحى الممزوجة بلهجات الشمال اللبناني في نشرات الأخبار وموجزاتها، لكنها من ناحية أخرى تعتمد المحكية في مجمل

برامجها.. وذلك كلّه انطلاقاً من المقولة: إنّ إنسان العصر يفضل الاستماع إلى اللغة التي يتكلم بها [١٠٦].. وكأنّ هذا الإنسان لا يقبل أن يسمع عبارة "تعالوا يا صغار" ويفضل أن يسمعها هكذا:"تعوا يا زغار".

وهي خطة تُتّبع في الإعلام الإذاعي المسموع والمرئي والفضائي.. إذ ينطلق بعض الإعلاميين الإذاعيين من القول بموت اللغة العربية: "إنّها لغة ميّتة تدفعنا إلى الفخر في استعمال اللغة الميسّرة، مع الاعتراض على هذه التسمية، وتفضل اللغة اللبنانية بدلاً منها، وبالتالي تعميم هذه اللغة لأنها تحمل جذورنا بدلاً من الفصحى. ولا وجود للفصحى أساساً في قواميسنا الإذاعية ولا نحن نعترف بانهيارها. لقد تمّ إجهاضها منذ زمن بعيد، ولم يبق منها غير ذكريات الجاهلية"[١٠٧].

فإلى هذا الحدّ بلغت الإنكسارات اللغوية من قبل البعض في الإذاعات اللبنانية، وهي هرب من المشكلة الرئيسة في مواجهة تحدّيات العصر لا سيّما لغوياً، وبالتالي ركون إلى منطلقات أثبتت فشلها على أقلام المبدعين بالفصحى وفي الجامعة اللبنانية التي ترفض إلى الآن إدخال العامية، مهما كان مصدرها، إلى برامجها ومناهجها..

اللغة العربية في الإذاعات المرئية:

تشابه المرئي والمسموع لغوياً:

لا نجد في الإذاعات المرئية ، العاملة على الأراضي اللبنانية ، أيّ جديد يضاف إلى أساليب الأداء اللغوي في المسموعة. لكنّ الملاحظة المهمة في هذا المجال أنّ هذه الإذاعات المرئية تستقطب القسم الأكبر من الجمهور اللبناني،

الأمر الذي يقوّيها ويضعف المسموعة، لا سيّما بعد تعميم آلاتها وكثرة تداولها من المواطنين الذين يشاهدونها في بيوتهم ومراكز أعمالهم ووسائط نقلهم الطويل..

وما وجدناه في المسموع يوازيه أو يقابله لغوياً في المرئي.. **فنشرات الأخبار وموجزاتها وملاحقها وتقاريرها المصورة** تستقي من المعين نفسه.. فصحى مبسّطة في الأخبار ، وأخرى بين لغة المثقفين والعامية في الريبورتاجات(التقارير المصوّرة). ولقد حافظت هذه المحطات على الفصحى في هذا الجانب، كما حافظت عليها في جوانب أخرى في برامج الأفلام الوثائقية أو مقدّمات بعض البرامج.. لتعود العامية فيما عدا ذلك مغطّية معظم ما يبثّ من المحطات..

كما نرى هذه الفصحى أيضاً في **الترجمات التي تكتب على الشاشات** للبرامج والأفلام السينمائية الأجنبية.. وهي لا تخلو من الأخطاء اللغوية الموزّعة على القواعد والإملاء وركاكة العبارة وقربها من العامية في أحيان كثيرة. ولا تزال كلمات مثل "أن يذهبون" و "رأيت أبوك" و"إليكي" و"هاذا" و"لاكن" و"لم يأتي" و"رأيت العاملون"... إلخ ترسم على هذه الشاشات بكثرة.. وهو ما يحصل أيضاً في قراءة نشرات الأخبار أيضاً حيث يضطر المذيع إلى اللجوء إلى لغة المثقفين غير المحرّكة الأواخر، أو يلفظ الكلمات بطريقة مغايرة كما وضعت في الأساس كما هو الأمر في "يرأس" و "يرئس" و "رَكَبَ" و "رَكِبَ"، وبِنية أو بُنية والهضم والهدم والقوّة والكوّة.. و"كانوا اللبنانيون" والخطأ في استعمال الأسماء الخمسة والإسم الموصول(الذي، التي) واستعمال جمع المذكر السّالم.. والخلط بين همزتيّ القطع والوصل. ويشمل هذا الأداء الخاطئ مجمل الأخطاء النحوية التي تتركّز في نصب الفاعل أو جرّه.. والأمر نفسه للمفعول به والمبتدأ...إلخ. ويشكل التبسيط للفصحى هاجساً رئيساً لدى من يصوغ الأخبار فتتمكّن منه العامية ويخرج كلامه في منزلة وسط بين العامية والفصحى..

والجدير بالذكر أنّ هناك محطات عديدة تبثّ برامجها من لبنان. وهي تتشابه في أدائها اللغوي..

وإذا كان الشكل اللغوي تعبيراً في أكثر الأحيان عن المضامين التي تقدّم، فإنّ نظرة سريعة إلى البرامج التي تقدّم في الإذاعات المرئية ، تعطينا فكرة عن هشاشة المحتوى لإعلام يجري بثّه في القرن الواحد والعشرين ، برسم أمّة هي في قيد النهوض وتواجهها مشكلات مصيرية حادّة، يقتضي منها الوقوف جدّياً للتفكير في مسائلها المعقّدة، خصوصاً البرامج التوجيهية التي تكاد تخلو منها الكثير من محطات البثّ المرئي لا سيما الفضائي.. واقتراباً من العلمية ينبغي ذكر العديد من البرامج الجدّية التي تتضمّن إفادة ما، خصوصاً تلك الحوارية التي تستضيف شخصيات مختلفة الاختصاص أو التي تستفتي رأي الجمهور وتستمع إلى ملاحظاته.. لكنّ هذه العملية يجب ألا تنسينا أنّ هذه البرامج، على الرغم من جدّيتها، فهي تؤدّى بعامية خالصة وبلهجات متنوّعة منتشرة على معظم الأراضي اللبنانية.

بعض المرئيات في لبنان:

ويمكن أن يحصي الباحث عدد هذه المحطات المرئية التي تناقص كثيراً من الثمانينات إلى يومنا هذا.. فبالإضافة إلى إذاعة لبنان المرئية الرسمية هناك المؤسسة اللبنانية للإرسال LBCI و C33، والمشرق ومرّ تلفزيون MTV والمستقبل و Télé lumière، والمنار والشبكة المستقلة للإعلام ICN والشبكة الوطنية للإرسال NBN وكيليكيا والتلفزيون الجديد NTV وشبكة CVN والشبكة المستقلة للإرسال IBC و Antenne Plus، وتلفزيون السلام (طرابلس) والفيحاء (الشمال) وتلفزيون إهدن(الشمال) و BTC(البقاع) و T23(البقاع) و CND(البقاع) وتلفزيون 2000 وتلفزيون بعلبك (البقاع) وتلفزيون البقاع (البقاع)

وأليسار (الجنوب) ولبنان العربي (الجنوب).. بالإضافة إلى العشرات من المحطات المرئية التي أقفلت لعدم حيازتها على ترخيص رسمي بموجب مواصفات معينة أو لعدم قدرتها على الاستمرار..

اللغة في الإذاعة المرئية الرسمية:

من بين هذه الإذاعات المرئية يحاول "تلفزيون لبنان" أن يتماشى مع إرادة السلطة اللبنانية فيعكس كثيراً من جوانبها.. وقد اضطر إلى التوقف لمدة من الزمن بسبب العجز [١٠٨] المالي فيه وعدم قدرته على مواكبة التطورات الجديدة في الإعلام عموماً.. إلا أنّه يبدو حريصاً على اللغة العربية السليمة في برامج الأخبار.. إلا أنّ معظم برامجه الأخرى هي بالعامية.. ويحاول في هذه أن يعرض بعض البرامج القديمة، لا سيّما التمثيلية منها: التاريخية وسواها مثل مسلسل "تمارا" الذي يؤدّى بفصحى المثقفين التي لا تخلو بدورها من الأخطاء اللغوية في الصرف والنحو وضعف العبارة واستبدال الفصيح السليم بأقلّ فصاحة اقتراباً من أجواء العامية..

والمتأمل في سلسلة البرامج التي أذيعت وتذاع من تلفزيون لبنان، يجد أنّها لا تعير للفصحى أي اهتمام.. ولنتأمل بعض أسماء هذه البرامج الموزّعة على التمثيليات: "المعلمة والأستاذ"، والفكاهة "طق ريرـ" و"تعيش وتاكل غيرا" و"زراع يللا زراع" و"خليك عالخط" و"الإربعا بنص الجمعة" و"مسّيكم بالخير"، لنجد أنّها كلها تبثّ بالعامية أسوة بالإذاعات المرئية الأخرى، وهي عامية مبتذلة أحياناً تختار اللفظة الأكثر سوقية لإثارة الضحك، حتى وإن تضمّنت مقاطع مدسوسة بالفصحى فإنّها تؤدى بشكل مشوّه بغية اللهو والضحك، فلا يدري المشاهد أيضحك من اللغة الفصحى أم من الشخصية المقلّدة.. بالإضافة إلى برامج المقابلات مثل "صبحية" و"قضايا ومشاوير" و"أيام وناس".. التي تقدّم أيضاً

باللهجات المحلية تبعاً لمن تجرى المقابلة معه.. كما نلاحظ إمعاناً باللجوء إلى العامية حتى في عناوين البرامج.. فمثلاً "صبحية" يصبح "صباحو" [١٠٩] للإشارة إلى "صباح الخير". وسلسلة أسماء البرامج الواردة أعلاه كلّها بالعامية...

العامية لغة الإذاعات المرئية:

وإذا أمعن مراقب اللغة العربية النظر في هذه الإذاعات المرئية يجد أنّها غير معنيّة بأزمة التعبير، أو أنّها تخطت عقدة المشاكل اللغوية في الإعلام.. بحيث تغدو المشكلة محصورة لا في اللغة نفسها كلغة قوم أو لغة مقدّسة أو لغة تفكير أو حضارة أو شخصية.. بل في ابتكار لغة جديدة يتمّ التخاطب بها على غير صعيد.. وهو ما يمهّد للحديث عن "فلتان لغوي" مقصود خرج من دائرة العفوية إلى دائرة التخطيط، بدأته أكبر مؤسسة إذاعية مرئية في لبنان هي LBCI، الناطقة منذ تأسيسها باسم القوات اللبنانية التي ترأسها بشير الجميّل، وكان ينهج نهجاً خاصاً في خطابه اللغوي هو العامية، حتى بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية، فكان عمله هذا "فتحاً" جديداً يكرّس مرحلة من عدم النقاش حول العامية والفصحى، ويشير إلى بدء نجاح الدعوة إلى تبنّي العامية في الإعلام الرسمي وسواه..

ولقد أسهمت LBCI بقوّة في ترسيخ هذا النهج.. إنّ انطلاقتها المعدّة سابقاً والمدروسة بإتقان وتفوّقها في مجال الإعلام بفضل استعمالها للتقنيات الحديثة وغناها ودعم الكثير من المتموّلين لها(لبنانيين وأجانب)، قد أسهم إلى حدّ بعيد في جعلها قطباً رئيساً تحتذي حذوه الكثير من المحطات الإذاعية مسموعة ومرئية وفضائية.. فكان هذا النهج يتمثل بالقول:" إذا كنت أتوجه إلى جمهور لبنان، فَلِمَ لا أستعمل الأخبار باللغة اللبنانية؟ لماذا أستعمل اللغة العربية؟"[١١٠].

وهذه المشكلة اللغوية الإذاعية تتخطى أحياناً لبنان لتصل إلى المثال الذي يحضر دائماً أمام العرب أجمعين وهو مصر، بما تشكّله من ثقل عربي في أمور عديدة. ذلك أن العامية المصرية غزت البيوت العربية منذ زمن، في السينما والتلفزيون ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية كلّها، وغدت مثالاً وحجّة لأقطار عربية كثيرة اقتدت بها في هذا المجال.. ويبدو أنّ لبنان، بلد التواصل الأول مع مصر، كان سبّاقاً إلى تبنّي الخطاب الإذاعي المصري أي تبنّي اللهجات المحلية في الإذاعة.

في الـLBC، تجد الكثير من البرامج تقدّم بشكل مميّز عن سواها، من حيث التجهيز والتقنية والتكلفة والنوعية.. وهو أمر يسمح لها بتمرير ما تريده على الجمهور الواسع، ليس في لبنان وحسب بل في خارجه أيضاً..

ومعظم البرامج فيها تشكّل هرماً، قمّته الدقيقة نشرة الأخبار التي تقدّم بعربية فصحى تتراوح بين السليمة والمسكّنة أواخر الكلمات، وأمّا المسافة الممتدة ما بين القاعدة والقمة فهي عامّية متنوّعة بحسب اللهجات اللبنانية، تمتزج بها أحياناً بعض المقاطع بالفصحى تبعاً للموقف.. فمثلاً هناك برنامج "المميّزون" (١١١) المؤلف من عدة فقرات، من ضمنها "سوق عكاظ" الذي يفترض أن يكون كلّه بالفصحى. والعجيب في هذا البرنامج أنّك تجد المتباريين ينشدان الشعر بالفصحى، بينما مقدّمة البرنامج تتوّجه إليهما بالعامية الخالصة.. والأكثر غرابة من ذلك أنّ لجنة التحكيم المؤلفة من ثلاثة أساتذة جامعيين مختصّين باللغة العربية وآدابها يناقشون المتبارين ويصدرون أحكامهم وتعليقاتهم بالعامية الخالصة أيضاً باستثناء واحد هو د. محمد أبو علي يؤدي دوره بالفصحى من البداية حتى النهاية(١١٢).. وكأنّ المسألة انتقائية تعود إلى الشخص نفسه وإيمانه بلغته الأصيلة.. حتى أنّ أسئلة مقدّمة البرنامج في الفقرة التالية التي بعنوان "فوتبول"

تسأل بفصحى المثقفين بتسكين الأواخر وهي تقرأ السؤال في ورقة.. ويجيبها المتباريان بالعامية إجمالاً وبحسب ما يريدان..

بينما تتخذ البرامج الأخرى السياق نفسه مع مغالاة باستعمال العامية اللبنانية، من ذلك برنامج "ساعة بقرب الحبيب" الذي يستضيف شخصيات مختلفة المواقع والاختصاص لاسيّما في الفنّ..

وهو ما نجده أيضاً في برنامج "حوار العمر" [١١٣] الذي يتبنى العامية في استقباله شخصيات مهمة على غير صعيد، لا سيّما الأدبي والفكري والسياسي.. وقد يتخلّله بعض التقارير المصوّرة عن الشخصية بلغة فصحى المثقفين، يُذاع بغير صوت مقدّمة البرنامج التي تصرّ على الحديث بالعامية وتتبرّم من أي سائل بالفصحى وتقول له: "هالقد مصرّ تحكي بالفصحى"[١١٤]..

وقس على ذلك البرامج الأخرى مثل "كلام الناس" [١١٥] و"الشاطر يحكي"[١١٦].. وهي من البرامج الحوارية المنوّعة التي تعتمد على المقابلات سواء داخل الإذاعة أو خارجها.. أما البرامج التمثيلية فحدّث عنها ولا حرج.. فيها تكتمل العامية والمحليات اللبنانية.. ولا تكاد تستثني واحداً منها يؤدّى بالفصحى.. ولا تبتعد برامج الأطفال جميعها من هذا النهج سوف أختار أنموذجاً من برنامج "Tea Time"(وقت الشاي) المعدّ للأطفال المعاقين، ولنتابع الحوار التالي بين مقدّم البرنامج وإحدى المعاقات[١١٧]. يسألها المقدّم وهي تجيب:

– شو بتعملو هون؟

– نحنا منيجي منتعلم هوني..

– شو بتلعبو؟

– بنلعب رياضة، كلّ شي منلعب.

– مين هَوْ؟

– هَوْ كلّن أصحابي.
– بتدرسوا سوا.؟
– مندرس الأحرف والحساب وكلّ شي.
– بتحبي الدرس؟
– نعم.
– كيف المعلمة معك؟
– منيحا.
– بتحبيها؟
– نعم.

ويسجّل للـ LBC صحة الترجمة إلى اللغة العربية الفصحى لا سيّما في الشرائط السينمائية الغربية والمقابلات مع الأجانب وفي البرامج ذات التقارير المصوّرة المترجمة التي تكتب ترجمتها بالعربية على الشاشة.. من ذلك الترجمة للشريط السينمائي الأميركي Matrix.. وهو ينتمي إلى قصص الخيال العلمي، وتتميّز ترجمته بالدقة وربما الصحّة إلا فيما ندر. فقد تلتوي العبارة فتكون على نمط الجملة الغربية تحمل شيئاً من العجمة.. وما تمتاز به الترجمة أيضاً استعمالها مفردات جديدة متخيلة مناسبة لسياق القصص العلمي التي تحمل المشاهد إلى عوالم جديدة لا مثيل لها في عالمنا العربي.. فهي ترجمة تبتكر كلمات جديدة.. وربما كانت لفظة "مصفوفة" في العبارة التالية:"أنت تعرف محتوى المصفوفة" للدلالة على اسطوانة الحاسوب Disque جديدة في لغتنا العربية[١١٨].. والترجمة المكتوبة هي صحيحة بنسبة 90% من حيث مراعاتها ترجمة المعنى وتركيبها الصرفي والنحوي واقتدائها بأنموذج الجملة العربية الفصيحة المعروفة.

ومن هذا القبيل يمكن حسبان ترجمة المقابلة التي أجريت مع السفير الأميركي في لبنان فنسنت باتل وكتبت على شاشة LBC مباشرة.. عبر مجموعة من الأسئلة، بدأها مقدّم البرنامج بمدخل بالفصحى المسكّنة أواخر الكلمات.. واستمرّ يسأل بالإنكليزية والترجمة ترسم على الشاشة، بشكل صحيح ومقبول ومن دون أخطاء لغوية[١١٩]..

وفي هذه المحطة تكثر التمثيليات المدبلجة(الموازية لغوياً).. وهي تلك المستعارة من اللغة المكسيكية. فيرى المشاهد الممثلين المكسيكيين يحرّكون شفاههم في ناحية، بينما المتكلّم بالعربية المتقمّص دور هذه الشخصية أو تلك يتولّى الحوار بالترجمة المنطوقة مباشرة.. وهي من تراجع أنواع الكلام الفصيح ليس لتسكين أواخر الكلمات وحسب، بل لاختيار الكلام من العاميّ والفصيح وأيضاً فشوّ اللحن وتكرار الكلام وعدم حيويته وإلباسه لشفاه لا تنطق به في الأساس.. ومن أحد المسلسلات المكسيكية المحوّلة شفوياً إلى العربية(المدبلجة) نختار هذا المقطع من " Senore" (سينيورا) [١٢٠].. في سياق معالجة إحدى المريضات التي تشكو من آلام في الرأس:

– أعطيني مسكراً أو بيرة تكون باردة جداً، إن لم تحضراه سوف أحضره بنفسي.
– أمي، لا تتحرّكي، إجمدي.
– اعطيها ربما يساعدها ذلك.
– إذهب واحضر (الدكتور).
– لكنّ أمي لا تريد أن يعاينها (طبيب).
– ولكن من أين المال.
– إنّها تتعذب منذ أشهر طويلة، لكن البعض هنا لا يصدّقوها.
– أشعر بتحسّن.

– تمرّدت قليلاً لكنّها تناولت الدواء.

فعلى الرغم من استعمال هذه اللغة المتوسطة بين الفصحى والعامية، وعلى الرغم من الالتواءات التعبيرية واللغوية الكثيرة التي نجدها في مثل هذه المسلسلات، فإنّها تؤدي دوراً مميّزاً عن البرامج التمثيلية الأخرى أو الحوارية التي تقدّم باللهجة العامية.. وهي في موقع تندّر لأنها لا ترضي الذين يرومون سماع الكلام بالعامية، كما لا ترضي محبيّ اللغة الفصحى لتراجعها عن مستوى الفصحى السليمة.

تغدو LBC إذاً أنموذجاً للإذاعات المرئية العاملة في لبنان وفيه تتكثّف الملاحظات التي يمكن أن تبدى حول اللغة العربية المستعملة.. بحيث تصل إلى حدّ الإزدراء بها في بعض التقديمات مثل برنامج "لماذا" الذي يحاول تمرير كتابة العربية بالحرف اللاتيني عن طريق إلباس المواقف لباساً فكاهياً، ينسى معه المشاهد حقيقة ما يعرض أمامه من استهتار باللغة واستهانة بها، حيث يكتب النص العربي بالحرف اللاتيني على الشاشة ويترجم بطريقة هزلية نتبيّن منها مدى التلاعب بمصير اللغة العربية.

ومن خلال النصوص المقدّمة على شاشة LBC خصوصاً والشاشات الأخرى العاملة في لبنان، نجد أنّ هذه المؤسسات قد ابتكرت أسلوباً جديداً للتعاطي اللغوي الإعلامي هو إلى العامية أقرب منه إلى أية فصحى يحاول البعض إظهارها.. لغة بسيطة وسهلة تعتمد على اللهجات اللبنانية بألوانها المختلفة بطريقة أدّت "إلى لبننة النحوي صوغاً ونظماً" [١٢١]. وهو ما يعكس مدى الغربة التي تعيش فيها اللغة العربية الأصيلة عن أبنائها الذين يقفون شواهد على نحرها، إما مسهمين وإما ساكتين متفرّجين، بحيث لم تعد تسأل عمّن يدير هذه المحطة أو

تلك، سواء أكانت فئة وطنية أم غير وطنية، طائفية أم غير طائفية، مسلمة أم غير مسلمة، ملتزمة أم غير ملتزمة...

فابتداء من **التلفزيون الرسمي**، فإنّ دائرة التجنّي على العربية تتسع يوماً بعد يوم. فما نراه على شاشة إذاعة لبنان المرئية الرسمية قد يعطي فكرة واضحة عن حال العربية.. ومن خلال برنامج "صباحو" [١٢٢]، الكلمة التي من المفترض أن تكون "صباح الخير".. هناك فقرة عناوين الصحف.. وهي مكتوبة بالفصحى التي يصاغ بها عادة الإعلام المكتوب.. وهي ليست ارتجالية إلى الحدّ البعيد، نجد مقدّم البرنامج يقرأ هذه العناوين بلغة مسكّنة أواخر الكلمات.. ويأخذك العجب عندما تشاهد برنامجاً، مثلاً، على شاشة "**تلفزيون المستقبل**" أو كما يحلو للبعض أن يسميه " FUTURE"، يقدّمه شاعر معروف [١٢٣]، يقوم أساساً على استقبال شخصيات مميّزة في حقول الفكر والأدب والثقافة والنبوغ في المجالات الأخرى.. يأخذك العجب عندما يستهل بمقدمة بالفصحى الخالصة تعرّف بالضيف [١٢٤]، وفجأة ينتقل الحوار إلى العامية اللبنانية، فيلقي بأسئلته من بداية البرنامج إلى نهايته بها، بينما يجيب صاحب السموّ الملكي على الإجابة بفصحى المثقفين..

بينما تجد برنامج "أُصرّهْ كبيري"[١٢٥]، على الشاشة نفسها، وهو برنامج ألعاب وأحاجي، يعرض بطريقة بهلوانية وبعامية لبنانية خالصة، مع العلم أن البرنامج يستضيف مشتركين غير لبنانيين..

إلا أن محطة تلفزيون " **المنار**"، تحاول أن تقترب كثيراً من الفصحى الصحيحة في معظم برامجها.. وهو ما اختطته لنفسها منذ إنشائها.. فالمراقب بثّ هذه الإذاعة المرئية يلاحظ التزام مقدّمي البرامج بالفصحى إلا فيما ندر ووفق حالات خاصة.. وتكاد تكون المحطة الوحيدة الأكثر إلتزاماً بالعربية.. وهي التي أخذت على عاتقها الحفاظ على القيم الدينية والحضارية والوطنية والقومية، من

خلال ما تقدّمه من برامج تسعى فيها إلى إنارة ما أظلم في ليل العرب والمضيّ في حمل الراية الإسلامية المضيئة في هذا الزمن.. لا سيّما في مقارعتها للأعداء.. والمراقب محطة "المنار" يجد مدى جدّية التزامها بكل ما يذاع منها:

١ -فهي ملتزمة دينياً.. تجعل الحفاظ على اللغة العربية السليمة مهمة دينية بحسب وصايا القرآن الكريم.

٢ -معظم برامجها إخبارية وتليها الحوارية وبعدها التقارير المصورة.. وفي هذا كلّه ثمة إلتزام بالفصحى..

٣ -يمتاز مؤدّو البرامج بسلامة النطق واتقان قواعد اللغة العربية ومعرفة جمالياتها..

٤ -هي محطة مقاومة للإحتلال تجعل من مهمّاتها أيضاً مقاومة أيّ إسفاف باللغة العربية..

٥ -فيها برامج منوّعة للكبار والصغار.. كما فيها برامج ثقافية كثيرة ومتنوّعة لا تخرج فيها عن التزامها.. حتى برامج الصغار لا تخرج عن هذا النطاق.. فبرنامج "المنار الصغير"، وهو برنامج إخباري للأطفال يقدّم بالفصحى الخالصة.. وله دور تعليمي يهدف للتنشئة السلمية..

٦ -تتميز أيضاً بكثرة البرامج الدينية التي تذاع بالفصحى الخالصة مثل:"الدين والحياة" [١٢٦]، و"نداء الصلاة" [١٢٧] و"ن والقلم" [١٢٨]... وغير ذلك من البرامج العديدة التي يحرص القائمون على تقديمها برصانة، لا سيّما تلك التي تتوجّه إلى الأطفال مثل "آلو [١٢٩]... الصغار"، وهو معدّ بطريقة تعليمية تمكّن الصغار من اللغة العربية، و"مواهب المنار

الصغير"، من أجل تنمية قدرات الأطفال في المجالات الابداعية المختلفة: الشعر والرسم والقراءة، و"في سلّتي حكايتي"، برنامج دمى يؤدى بالفصحى للأطفال في تقديم قصة من روائع الأدب العالمي للطفولة تمثيلياً.. كما يلاحظ المراقب لهذه الإذاعة المرئية نوعاً آخر من البرامج التي تتداخل فيها الفصحى والعامية.. كما في برامج مثل "حديث الساعة" و"الوجه الآخر"، و"صامدون" و"لبنان صدى المقاومة"، ويمكن رصد أحد البرامج الإخبارية التي أذيعت من هذه الشاشة لتبيان مدى الالتزام بالفصحى، نركّز فيه على السقطات النادرة جداً:

تقدم "المنار" حلقة من برنامج "أنباء وآراء" (١٣٠) كل ليلة. وهو عبارة عن نشرة أخبار معزّزة بالتقارير المصوّرة والآراء التي يستضاف أصحابها مباشرة على الهواء.. في هذه الحلقة عرض على الشاشة خبر بهذا الصوغ:"فرنسا وألمانيا وروسيا ماضون في منع وقوع الحرب"، فينبغي استعمال "ماضية"، وليس "ماضون". والغالب على الأداء اللغوي للمذيع وعلى لغة التقارير، عدم تحريك أواخر الكلمات والاكتفاء بالتسكين بنسبة 50% تقريباً، يقول مقدّم البرنامج:" اغتالتْ قواتْ الاحتلالْ الناشطْ في حركةْ حماسْ عمادْ مبروكْ".

- عدم قراءة الأرقام بلغة عربية سليمة، مثلاً القرار 1441، بنسبة 60%.

- بعض الأخطاء النحوية مثلاً وردت هذه العبارة:" إنّ لدى المفتشين الفكرةُ نفسُها"، بينما الصحيح:"الفكرةَ نفسَها"، كما وردت عبارة:"شهد ساعاتٍ حافلةٍ" والصحيح "حافلةً:(التقرير المقدم عن الحجّ).

- ورود بعض الأخطاء الشائعة مثل :"نموذج" والصحيح "أنموذج" ويعتبر والصحيح "يحسب".

– عدم التفريق في حركة بعض الألفاظ، وهو ما يغيّر معناها: مثل الجَماعية والجُماعية.

اللغة العربية في الفضائيات اللبنانية:

الدور اللغوي الإيجابي:

لا تختلف مشكلة اللغة العربية في البثّ الإذاعي المرئي والمسموع في لبنان عنها في الفضائيات اللبنانية.. وإن كان الناس قد توسّموا خيراً في بدايات هذا البثّ باللغة العربية الفصحى في العام ألف وتسعمئة وواحد وتسعين (1991) مع إنشاء "كابل فيزيون"، فإنّهم اليوم باتوا يرون في فضائياتهم ما يرونه في البثّ الإذاعي الأرضي من تدهور اللغة العربية الفصحى باتجاه العامية الشديدة المحلّية.

ولقد كان الانطباع الأول عن هذه الفضائيات أنّها بدأت تجمع العرب في بوتقة واحدة حول فصحاهم، وأنّها تؤدي دوراً لم تؤدّه الأنظمة العربية مجموعة في لمّ شمل العرب وتحقيق وحدتهم والتعرّف إلى أساليب حياتهم وطرق تفكيرهم وآخر مستجداتهم ونظامهم الثقافي المشترك وقيمهم التي يعتزّون بها.. فقد رأوا كلّ ذلك يبثّ بلغتهم القومية السليمة..

من الإيجابي اللغوي إلى السلبي:

لكنّ ذلك سرعان ما تبدّل أمام المتغيرات الدولية والمحلية.. وعادت الأمور كلّها إلى محليّاتها تستمد منها موادّها الإعلامية وتتنافس في جودة برامجها المستقاة من واقعها.. وإذا كانت بدايات بثّ كابل فيزيون بالقول:"شو بدّك، ساعة ما بدّك، وين ما بدّك، كيف ما بدّك؟" أي "كل ما تريد وساعة تريد وأنى شئت

وكيفما شئت" [١٣١]، فإنّ ذلك كان فاتحة جديدة لاستعمال المحكية اللبنانية في الفضائيات.. حيث بدأ الانفلات باتجاه العامية وباتجاه البرامج البعيدة من هموم العرب ومشكلاتهم لا سيّما اللغوية والقريبة من اللهو والتسلية وجذب المشاهدين إليها، دون أن يكون لها هدف سوى إفراغ المادة من محتواها و"تدمير اللغة العربية"[١٣٢]، مثل "عالباب يا شباب"، "يا ليل يا عين" على شاشة LBC

والأمر لا يقتصر في هذه الفضائيات على المحطات اللبنانية وحسب، بل يتعداه إلى المحطات غير اللبنانية(العربية والأجنبية) التي تشغل ساعات طويلة أوقات المشاهد العربي.. فانظر إلى مثل عنوان هذا البرنامج في الفضائية المصرية"دقّي يا مزّيكا" [١٣٣] لترى أنّ المشكلة هي عامة، عربية وليست محلّية، بعيداً من الرقابة الرسمية، التي تشجّع ولا تمنع، بحجة أنّ الناس يفهمون بسرعة، ولست أرى ما يضير لو استعملت عبارة "أعزفي يا موسيقى" أو يا ألحان أو يا أنغام... وأنظر إلى البرامج التي تقدمها الفضائيات الأخرى مثل أوربيت و ART وسواهما.. لترى ترجمة الأفلام الأجنبية لا سيّما على شاشة محطة FILM CHANEL(قناة الأفلام)، في غاية الرداءة، لعظم الأخطاء اللغوية التي ترسم على الشاشة ويتابعها العرب في كل مكان.. ثمّ أنظر إلى توجهاتها الثقافية والمعرفية والبنائية الاجتماعية والنفسية.. لتجد أنّ جيلاً بكامله سوف ينشأ بعيداً من مصادره الثقافية الأساسية، هجيناً لا يعرف النافع من الضارّ، في غابة من الضياع تنشئه تربوياً وثقافياً في متاهات غربة قاسية عن تراثه وواقعه ونفسه ووجوده ومحلّياته.. وما يقدّم ليس إلا سقط المتاع في عالم يسعى متنفّذوه إلى الهيمنة على كل شيء فيه..

الفضائيات اللبنانية ، إلى جانب العربية، بما تقدّمه من برامج بلهجاتها المحلّية، تسهم إلى حدّ بعيد بإزدياد الاختلاف بين العرب، وإن ادّعى داع بأن هذه

الفضائيات تجعل مع الزمن اللهجات العربية المحلية مفهومة من الآخرين.. فتقرّب البعيد.. إلا أنّه إدّعاء يتجه باللغة العربية الفصحى نحو الهاوية ويعمّق أزمتها ويوسّع دائرتها لتطال الأقطار العربية كلّها وربما الإسلامية في العالم.. ولا يغفر لأصحاب هذا البثّ إذاعتهم نشرات الأخبار بالفصحى فهي بدورها ضعيفة، قريبة من المحكيّات إن لم تتبنّ المحكيّ نفسه، على غرار ما يحصل في الأرضيات.. علاوة على الأخطاء اللغوية المتعاظمة في الأداء بالفصحى، الأمر الذي يستدعي وقفة مراجعة حسابات هذا البثّ، ليس من قطر بمفرده، بل من الأقطار مجتمعة بغية العمل على وقف التدهور الحاصل في اللغة.. وهي مهمة"اللجنة العليا لاتحاد إذاعات الدول العربية" التي عليها أن تراجع المشهد الاتصالي العربي"[١٣٤].

وتبدو مشكلة الاتصال باللهجات العامية متفاقمة، لا سيّما إذا اتضح أنّ هناك ثلاث لهجات عربية كبرى: البدوية وبلاد الشام والمغرب العربي.. ولا يقتصر الأمر عند هذا الحدّ بل إنّ كلّ لهجة منها تتفتت إلى لهجات محلّية، بحيث أنّك إذا تابعت المحكيّات العربية من القطر الليبي إلى المغرب، فستفقد الفهم رويداً رويداً لتصل إلى المغرب ويتحوّل فهمك إلى درجة قريبة من الصفر، بينما ترتفع هذه النسبة إلى ما يزيد عن 90% إذا ما سمعت اللغة العربية الفصحى..

أضف إلى ذلك، فإنّ برنامجاً مثل "بسمات وطن" الفكاهي التهكّمي والكاريكاتوري في كثير من جوانبه، يحملك إلى تنوّع كبير من اللهجات اللبنانية المحلّية من الجنوب إلى الشمال والبقاع مروراً بالجبل وبيروت.. وتعظم المشكلة إذا ما عرفنا الفرق بين هذه اللهجات ونبرتها الصوتية واستعمالاتها الخاصة بكل منطقة.. فهي محلّية خالصة بألفاظ مرمّزة تصل إلى حدّ الابتذال أحياناً، بالإضافة إلى ما يشوبها من مزج بين العربية والأجنبية وما يكتب على الشاشة من كلمات

عربية بحروف لاتينية.. والجدير بالذكر أن النبرة الصوتية وطريقة نطق الكلمة في لبنان تختلف من قرية إلى أخرى وصولاً إلى المدن والمناطق..

لغة الإعلان في الإذاعات المرئية والمسموعة والفضائيات:

مكمن الخطورة:

تتجلى أزمة استعمال اللغة العربية أكثر ما تتجلى في الإعلانات التي تترامى إلى الأسماع وتعانقها الأبصار.. إنّ من يتابع الإذاعات العربية كلّها لا يقع إلا فيما ندر على إعلان بالفصحى.. وإذا وجد فإنّه لا يزيد عن 1%.

والأمر الملاحظ أنّ هذا الأداء اللغوي الإعلامي يعوّل كثيراً على المحكيّات، وإن أنصف يمزج بين الفصحى والعامية.. كأنْ تسمع مثلاً في تلفزيون **المستقبل**، أرضياً وفضائياً الإعلان عن البرنامج الغنائي لاختيار أفضل مطرب عربي.. فاسمه: "العرب SUPER STARS"[١٣٥].. أما الإعلان التجاري المرافق له فهو "برعايةْ شايْ LIPTON"، فمن الملاحظ أن الدعاية له التي تشمل اسمه أيضاً هي خليط من الأجنبية والعربية، وكأننا لا نحسن أن نقول "نجم النجوم العرب" مثلاً.. كما نلاحظ الإعلان التجاري يكتب على الشاشة وينطق به بلغة هي بدورها خليط من عدة منطلقات: الفصحى المسكّنة الأواخر والقريبة اللفظ من العامية، و الأجنبية التي تكتب مرّة LIPTON ومرّة ليبتون، ترافقها العبارة العامية:"دوق طعم الشهرة".

ويقوم الإعلان التجاري أو الدعاية التجارية على الاستمالة والإغراء والسيطرة على المتلقي عن طريق التشويق، ويدخلها التهويل والمبالغة ودغدغة العواطف وتبسيط الحصول على ما يتمنّاه الإنسان وتسهيل الطرق نحو ذلك،

وكلّها توهم الإنسان بتحويل حلمه إلى حقيقة، ويساعدها في ذلك أنّها ليست كالإعلام الذي يطلب منه نشر الحقائق الثابتة الصحيحة والأخبار والمعلومات السليمة الصادقة[١٣٦].. والجدير بالذكر أنّ هذا الإعلان غالباً ما يحمل مثلاً أو حكمة أو قولاً سهل الحفظ وفي متناول كلام الناس اليومي، يصاغ بعامية سهلة الحفظ.. فمن الإعلانات التي تتردّد في الإذاعات المرئية اللبنانية واحد لمسحوق الغسيل "يس"، فقد حفظ اللبنانيون هذه العبارة :"ما إلِكْ إلا يس، يس تلاته بواحد، يس للغسيل ولجلي وتّنضيف".. ومفاده أنه يخاطب المرأة بالقول: ليس لك إلا يس، يس ثلاثة بواحد للجلي والغسيل والتنظيف"، وما تبقى من هذا الإعلان في ذهن المشاهدين هو عبارة "تلاته بواحد" فانظر إلى هذه العبارة وما تحمله من معنى يصل أحياناً إلى حدّ الابتذال والابتزاز الجنسي..

بينما تجد الإعلان عن حليب نيدو NIDO، بعد أن يُقدّم له بمقدّمة بالعامية الخالصة ترافقها صورة لطفل يتناول هذا النوع في مراحل حياته المتعددة، فيختم الإعلان بعبارة: "أجيالٌ تنمو مع نيدو " فهو يراعي الفصحى في هذا الجزء الأخير عندما يكبر الطفل ويتخرّج من الجامعة، كما هو مختلط بين العامية والفصحى في مختلف أجزائه..

وأحياناً ترافق الأغنية هذا الإعلان التجاري.. فمثلاً الإعلان عن مياه "صحة" يأتي غنائياً ترافقه الموسيقى كما يلي: "صحّه وعوافي صحه، من النبع العاليْ صحه، كلّه عوافي صحّه من جبل لبنان صحّه، من أرزْ لنبان صحّه، صحتين وصحه". وتضاف العبارة التالية بعد انتهاء الغناء:"صحه طْلبوها منْ كلّ مكانْ". في مثل هذا الصوغ نجد الإعلان يؤدى بعامية مشوبة بفصحى مسكّنة أواخر الكلمات.. وهي غالباً ما تكون أرقى من لغة إعلانات أخرى تأتي فجّة ودون مراعاة لشكل لغوي..

على أن الكثير من الإعلانات سواء أكانت تجارية أم برامجية فهي مصوغة بالعامية: تعيشْ وتاكل غيرا وصحتك بدّني"(تلفزيون لبنان).

وفي الغالب أنّ هذه الإعلانات مرتبطة بالاستهلاك السلعي.. وتحمل أمرين أساسيين: الصورة والصوت.. فإذا كانت الثانية قد وصلت إلى حدّ كبير من التدهور، فالأولى ليست بأفضل حال.. حيث يتمّ تمرير الإعلانات المصوّرة على الصغار والكبار والنساء والمسنّين بشكل مبتذل في أكثر الأحيان ويستخدم الطفل وجسد المرأة وعفاف الشيخوخة ونجوم التمثيل استهلاكياً في عرض رخيص هدفه الترويج ولا شيء غيره..

وتبدو اللغة في تزاوج مع الصورة، يتقاسمان هوّة واحدة، بالإضافة إلى الموسيقى والمؤثرات الأخرى.. في جمل قصيرة معبّرة وإيجاز يكثّف الغرض من الإعلان في أقلّ وقت ممكن وأسرع إفادة مرجوّة، يراعى فيها وضع الجمهور الثقافي واهتماماته على غير صعيد. وتكرّر هذه الإعلانات في غير محطّة بثّ بأسلوب سهل الحفظ، قصير، ومعبّر بلغة مسفّة بقدرها وقدر أهلها.. تنمّي ملكات واقتناعات غير صحيحة الشكل والمحتوى تدخل في قدرات الأجيال الفكرية من الطفولة إلى الشيخوخة.. وغالباً ما يردّد لا وعي المواطن هذه الإعلانات دون وعي للتندّر. وهو إنّما يفعل مستبدلاً ما في حافظته من محفوظات اختزنها في الذاكرة من الطفولة بهذه التفاهات والمقولات التي لا تغني ولا تزبد، بحيث يفسد التلفاز اللغة العربية الفصحى باستعمالها استعمالاً سيئاً من جهة، مستبدلاً بها العاميّات والسوقيات والأجنبيات من جهة ثانية، وهو كفيل بإزالة اللغة العربية الفصحى وما تمثّله"[١٣٧].

إذاً تدخل خطورة الإعلان على صورته الحالية في الإذاعات اللبنانية إلى جوهر تكوين الشخصية، فتغزوها نفسياً وعقلياً بما تولده من تأثيرات وما تلبسه من

منطق يعقلن المشهد والكلمة في قالب تسلية ولهو الهدف منه زرع الميل إلى اقتناء السلعة التي ترافق مسرّات الإنسان وفرحه.. فبدل أن يعبّر عن هذا الفرح بلغة أدخلت ولا تزال تدخل إلى النفوس المزيد من المتعة والفائدة قديماً وحديثاً، ها هي ذي اليوم تتجلبب شبحياً لتمسخ الهياكل والأجسام وتشوّه العقل ومادته التي هي اللغة في آخر تحليل.. فأيّ عقل يرجى من وراء ذلك.. فإذا كان الشعار الوطني الذي رفعه مصرف لبنان: "ليرتك هيَّ عملتكْ، استعملا"، وإذا كان لبنان الرسمي يتبنّى مثل هذه الإعلانات "عمهلك! مش كل مرّة بتسلم الجرّة"(وزارة الداخلية)، أو "عمول منيح ولا تكب بالبحر"(وزارة البيئة)، وإذا كانت الإعلانات الرسمية تكتب أحياناً بالفصحى السليمة على الشاشات وتقرأ مسكنّة هرباً من النطق الصحيح بها، وإذا كانت إعلانات البرامج تصبح في ذاكرة المواطن اللبناني مثل: "ما إلكْ إلا هيفا"(ليس لك إلا هيفاء)، و"من كلّ ميله عيله"(من كل جهة عائلة).. إذا كانت هذه الإعلانات كلّها وسواها كثيرة التردد على مسامع المواطنين ليلاً نهاراً لتصبح في خاطرهم يرددونها دون وعي، جدّاً ومزاحاً، فأيّ ثقافة تنتظر هذه الأمة في عصر التحدّيات وذهنيات الإلغاء.. وفي زمن يطلب فيه مديرو البرامج في الإذاعات إلتزام العامية والدارجة والمحكية بدل الفصحى والأجنبية المختلطة بالعربية بدل النقاء اللغوي[١٣٨].. على غرار ما تستهلّ به مقدّمة البرامج في مرئية المستقبل قائلة:"بحيّيكم من شاشةْ المستقبلْ الأرضية"(المستقبل الساعة الثالثة ظهراً بتاريخ 2003/6/2).

الفصحى في الإذاعات اللبنانية بين القبول والرفض:

والجدير بالذكر أن نسبة الذين يحبّذون الفصحى في لبنان لا تزال كبيرة، وأنّ الكثيرين لا يزالون يرونها سهلة.. فقد أشارت إحدى الدراسات التي أجريت حديثاً في لبنان إلى أن 42.8% من اللبنانيين يرون أن الفصحى هي عادية مقابل

61.2% يرونها صعبة بسبب القواعد النحوية والصرفية، وأنّ 44.5% يرضون عن استعمال اللغة العربية في الإذاعة المسموعة و 43% في المرئية، و 29% لا يرضون في المسموعة، 25.9% في المرئية، و 24.9% لا فرق لديهم من استعمال العربية في المسموع و 26.4% في المرئي، بينما غير المجيبين هم 1.1% في المسموع و 4.8% في المرئي[١٣٩]. وترتفع نسبة القابلين باللغة العربية في الإذاعات إلى 48.6% من المسلمين و 43.9% من المسيحيين، مقابل 28.3% من المسلمين و 30.1% من المسيحيين أبدوا رفضهم لهذه اللغة، وأن 20% من المسيحيين 23.1% من المسلمين لا فرق لديهم في استعمال هذه اللغة[١٤٠].. وتشير النسب التالية إلى وضع اللغة العربية في ظلّ الظروف الحالية في الإذاعات المسموعة: 49.5% يرون أن اللغة العربية تراجعت و 24.9% يرون أنّها تحسنت. وفي المرئية: 28.5% يرون أنّها تحسنت و 47% يرون أنها تراجعت.

تبين هذه الدراسات جملة من النتائج والملاحظات التالية:

نتائج ملموسة:

أولاً: القلق الكبير الذي يساور الناس على مستقبل اللغة العربية في الإعلام المرئي والمسموع.

ثانياً: نجاح الإذاعات في توطين النفس اللبنانية على أسلوب معيّن من الأداء اللغوي وهو أخطر أنواع التأثيرات.

ثالثاً: عدم اهتمام المسؤولين الرسميين بهذا "الفلتان" اللغوي والتسيب الإعلامي، الأمر الذي ترك الحبل على غاربه من دون رقابة وتوجيه وعناية باللغة القومية المقدسة.

رابعاً: تراجع قسم كبير من المواطنين عن الاهتمام بلغتهم الأم وانسياقهم وراء تلفيقات الإعلام وحبائله في جرّ المواطن إلى متاهات الاستهلاك وسهولة المتناول، والتركيز على المتعة دون الفائدة، والهرب من الالتزام بأكثر المقوّمات أهمية وهي اللغة.

خامساً: الاستهانة بالثقافة والقيم والتراث وتعاليم الدين التي توحي بالمحافظة على هذه الثوابت.

سادساً: غياب الوعظ والإرشاد من متنكّبي المسؤوليات الرسمية والدينية والاجتماعية والثقافية، وتراجع الدور الريادي الذي يجب أن تؤديه النخبة، وتقدّم دور المال والأهداف المادية الرخيصة وتحكّم رؤوس الأموال بمقدرات العلم والثقافة والإعلام عموماً..

سابعاً: تغدو اللغة الحالية في الإذاعات نتاجاً مباشراً للانفتاح على عالم الآخرين المبهر والانصراف عن الأساس والتعلق بالشكليات دون الجواهر.

ثامناً: قلة تأثير الجامعات ومراكز البحث والمجامع اللغوية في الذي يجري متساوقاً مع الحياة التلقائية، استجابة لمنطق الهزيمة والانكسار النفسي والتراجع الأخلاقي وعدم اهتمام المسؤولين بهذه المؤسسات.

تاسعاً: غياب القرار العربي الجدّي الذي يوقف هذا الفلتان ويفرض أنموذجاً معيناً من التعاطي الإعلامي على غير صعيد..

عاشراً: تراجع دور المؤسسات التربوية وعدم فعاليتها فيما يجري وربما تكون مشاركة لما يجري استجابة لعوامل مثل التفرقة الطائفية والحزبية الضيقة والمناطقية والعشائرية في بعض الأحيان وإلباس الحقوق لباساً خاصاً بكل فئة..

حادي عشر: إسهام العديد من الدراسات غير البنّاءة لتطوير اللغة العربية أو تحسينها، في خلق أجواء ملائمة لمثل هذا الهبوط باتجاه العامية والفرنجة والبحث عن أطر بديلة للفصحى وسط عالم من الشكوك والتآمر عليها.

ثاني عشر: تغييب المثقفين والأدباء والشعراء والمبدعين الحقيقيين عن دائرة الضوء، سعياً وراء مثقف تابع أو مسيّس، وأديب مؤجّر يبيع سقط متاعه إلى المتنفذين، لا سيّما في الإعلامين المرئي والمسموع، وانجرار الشعراء وراء السهل المؤدي إلى استعمال العامية بدل الفصحى في الشعر، بحجة شعبيته مرّة وبحجة فولكلوريته مرّة أخرى وبحجة تعبيره عن أوساط واسعة وسرعة فهمه مرّة ثالثة وخروج من دائرة إسار الشعر القديم وأوزان الخليل مرّة رابعة واللجوء إلى نوع من القصائد المتراجعة عن خطوط النظم مرّة خامسة والادعاءات الباطلة حول موت العربية الفصحى مرّة سادسة والانجرار وراء الدعوات الغربية المروّجة للغاتها مرّة سابعة...إلخ.

ثالث عشر: الازدواج أو الثلاثي أو الرباعي اللغوي الذي يغزو ألسنة اللبنانيين، فبينهم الكثير ممن يتكلمون بأكثر من لغة أجنبية.. وهذا الأمر يجعل من التداخل بين العربية وسواها أمراً طبيعياً في لبنان، وهو ما ينعكس في هذه الإذاعات امتزاجاً شبه عضوي يجعل من المتحدث ينطق بكلمات أجنبية دون وعي.. وما يدخل العربية في مشاركة مع غيرها ويفقدها الكثير من مواطن التعبير فهيا وجمالياته ومضامينه. هذا علاوة على أنّ كثيرين من اللبنانيين يعدّون الفرنسية لغة أمّ لهم، فابتكروا لغة أطلق عليها اسم الفرالبنانية Franlibanais، بالإضافة إلى الفرنكوفونية والأنكلوسكسونية والإنكليزية، لغة العولمة في الظرف الحالي..

اللغة العربية وطرق الكلام المستعملة في الإذاعات المسموعة والمرئية والفضائيات:

مما تقدم، صار بالإمكان الحديث عن أنواع متعددة من طرق الكلام المستعملة في المسموع والمرئي اللبناني..

فهناك **الفصحى العربية السليمة** التي تطل من حين إلى آخر في هذه الإذاعات، لا سيّما في نشرات الأخبار ومواجزها، تؤدّى من غير شائبة تشوبها، وهي تظهر على لسان المجدّين ومحبّي العربية.. وتنفرد مرئية "المنار" ببعض الأداء السليم في مجمل برامجها.. كما هو الأمر في "إذاعة القرآن الكريم".

و**الفصحى الناقصة**، وهي عموماً كما يطلق عليها لغة المثقفين والصالونات أو اللغة الثالثة، وقد غدت لغة شبه معتمدة في المواقف الجدّية أو التي تحمل موقفاً ينبغي أن يبلّغ بأكمله واضحاً خوفاً من التغيير فيه.. وهي تعتمد تسكين أواخر الكلمات وتسقط الإعراب جملة وتفصيلاً ومفردات.. ويعدّها البعض حلاً وسطاً ما بين الفصحى والعامية.. وهي من الكثرة بحيث غدت اللغة الرئيسة الوريثة للفصحى في الإذاعات اللبنانية.

و**العامية العامة**، لهجة اللبنانيين كلّهم، نمثّل عليه بمقدّمة أحد الدواوين التي كتبها الشاعر سعيد عقل صاحب الدعويين: إلى العامية وإلى كتابة العربية بالحرف اللاتيني: يقول سعيد عقل:"نشوء كل معرفي فيك بترافقو لزي، بس اللزي البترافق المعرفي البيعملها الجمال بتفرق عن غيرها بأنو فيها شيء من التخدير، من الحلم، من الهز، كأنّو الكون الإنت فيه مرجوحا. وإن تعمقنا أكتر منشوف روح

الجمال حركي صوب التوحد، أجزاء عمتتلم بكل طيشرا عمتصير نظام، وهالنظام متل كأنو بساطا مع أنو مركب من ألف تنويعا وتداخل شعور غريب كأنو التعقيد زاتو صار عمير حرحْ".

وقراءة هذا النص بالفصحى هي على الوجه التالي: "نشوء كل معرفة لديك ترافقه لذة، لكن اللذة التي ترافق المعرفة التي يصنعها الجمال تختلف عن غيرها بأنها تحمل شيئاً من التخدير والحلم والهزّة، وكأن الكون الذي أنت فيه مرجوحة، وإن تعمقنا زيادة نرى روح الجمال هي حركة باتجاه التوحد.. أجزاء تجتمع بكل، متفرّقات تصير نظاماً، وهذا النظام كأنه بساط لها، مع أنه مركب من ألف تنويعة وتداخل، شعور غريب، كأنّه التعقيد ذاته أصبح منبسطاً..".

سأترك هذا النص من غير تعليق، وسأكتفي بالقول إن ذلك هبوط من فلوات ملائكية تمثلها اللغة الفصحى إلى هشيم محترق، كل شيء فيه متآكل متهدّم لا يلوي على جمال ولا يحقق كسباً للغة المعروفة بالرصانة وحسن الأداء باتجاه القلب والوجدان. وهي اللهجة السائدة في مجمل المرئي والمسموع اللبنانيين، التي يعمل على تطويرها بكافة السبل باتجاه الهاوية إن لم نقل باتجاه الاضمحلال..

و**العامية المحلية** ، وهي فرع من العامية العامة اللبنانية، تتميّز عنها بمناطقيتها وانحصارها في دائرة لهجة منطقة أو ضيعة أو دسكرة أو قصبة.. وهي الباطل الذي يراد به حقاً بحجة الاقتراب من عامة الشعب حتى في بيوتهم.. كأن نتحدث بالإمالة في الجنوب والتضخيم في الشمال والخشونة في الجبل والمدّ المفخم في البقاع والمدّ المليّن في بيروت والمدّ الطويل في صيدا... والجدير بالذكر أنّ هذه المناطق لها لهجاتها الخاصة التي تتبنّاها الإذاعات في المناطق اللبنانية المختلفة.

و**الفصحى المشوبة بالأجنبية**، كأن نمزج بين الفصحى السليمة وبين بعض الكلمات الأجنبية، وهي كثيرة، وربما تحوّلت هذه الأجنبية إلى كلمات عربية تصرف وتطبق عليها قواعد النحو.. وهي موجودة أيضاً خارج لبنان لا سيما في الأقطار التي تتبنّى الفرنسية لغة ثانية أو أي لغة ثانية أخرى.. كأن يقول التونسي لك: "تريد أن تلوّج" وتلوّج كلمة أجنبية من لوج Loge(السكن) ومعنى الجملة "تريد سكناً".. وكثيرة هي الإذاعات المسموعة والمرئية في لبنان ما يخلط بين اللغتين لاسيّما التي تعتمد التحديث أو"المودرنيسم Modernisme" وتتوجّه إلى الشباب، خصوصاً، وتكثر من بثّ الموسيقى ووسائل اللهو والترفيه..

والعامية المشوبة بالأجنبية ، وهي مشكلة المشاكل وتعقيد يضاف إلى تعقيد، عندما تسمع مذيعة تقول: "بدّك تعملي شوبنك"(تريدين أن تتسوّقي) أو عندما تسمع وتشاهد إعلاناً عن جبنة "البقرة الضاحكة" :"جبنة طرية La vache qui rit. وفي هذا كله تجد الأخطاء اللغوية تغزو هذا الأداء اللغوي بأنواعه كلّها.. أخطاء نحوية وأخرى صرفية، وأخطاء في استعمال اللفظة العربية في غير محلّها وأخطاء في لفظ الحركات الداخلية للفظة. لحن متعدد الوجوه وعجمة في الجملة.

البرامج واللغة العربية في المرئي والمسموع:

وربما كانت اللغة في **الإذاعات الدينية** أخف وطأة من الأخرى لرصانتها وتحسسها بالمسؤولية الدينية، لا سيّما لدى من يشعرون بقداسة اللغة وبأنها نوع من التعبد، خصوصاً عند تلاوة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتفسير المرافق لهما، فتأتي "إقرأ" و"المنار" وإذاعة القرآن الكريم و"الإسراء".. في مقدمة هذه الإذاعات.. بينما تأتي محطة Télé lumière مباشرة بفضل ما تبثّه من تراتيل وقداديس وصلوات دينية ووعظ بالفصحى، نجد ذلك في مجمل الخطب الوعظية للكاردينال صفير ومجموعة كبيرة من المطارنة في المناسبات الدينية المختلفة.

وتأتي البرامج الأخرى، التي تعدّ **ثقافية واجتماعية وتربوية**، لتعكس صورة لغوية يبدأ معها الانكسار وفوضى الأداء اللغوي، راسمة خطوطاً تعدّ تراجعاً عن الفصيح السليم، لتذاع بعربية تتراوح بين تسكين الأواخر والانحدار إلى العامية، وهذا الأخير هو القناع المزيّف الذي تختفي وراءه تمريرات اللغة الأشدّ انكساراً.. كما في برامج مثل "كلام الناس" [١٤١] و"سيرة وانفتحت" [١٤٢] و"صباحو"[١٤٣] و "عالم الصباح"[١٤٤].

وهو ما نجده في **برامج الحوار الثقافي** عموماً، والتي تصبّ في مجموعة البرامج المقنّعة بالثقافة والمختلطة الأداء اللغوي المتراوح بين الفصحى السليمة والأخرى المسكّنة الأواخر والعامية الخالصة، ومنها: "خلّيك بالبيت" [١٤٥] و"حوار العمر"[١٤٦] و"الشاطر يحكي"[١٤٧] ، ويمكن أن يضاف إليها برامج التباري الأدبي والعلمي والثقافي مثل "المميزون" [١٤٨] و"من سيربح المليون" [١٤٩] و"أصّه كبيري"[١٥٠] وبرامج المكافآت عموماً.

وتغدو **البرامج الهزلية** في طليعة البرامج التي تجذب المشاهدين إليها.. وهي الهوّة السحيقة التي انحدرت إليها العربية في عامية مبتذلة تمعن في محلّيتها وتصل إلى حدّ متدّن في الأداء، حيث يرتسم الضحك صوتاً وصورة على الشاشات، وفي مخيلات وأذهان المشاهدين، فتضيع اللغة فيها أيّما ضياع.. من ذلك برنامج "طق رير" [١٥١] الذي هو في الأساس العربي: "تقرير" وفي الهزلي مؤلفة من كلمتين "طق": العربية العامية بمعنى(انفجر) و"رير" الأجنبية Rire معناها الضحك، فيصبح معنى البرنامج "انفجر من الضحك". والأمر نفسه لبرنامج "بسمات وطن"[١٥٢]، التي يمكن أن تجزأ أيضاً: "بسمات= بسْ ماتْ" أي عندما مات وطن ويمكن أن تقرأ كلها بمعنى آخر شكلي "بسمات وطن" أي ضحكات وطن. ومن ذلك أيضاً برنامج "لا يملّ" [١٥٣]، المعتمد على المقالب والمواقف الهزلية التي هدفها الإضحاك والتسلية وهي في جوهرها انكسار وإماتة للغة العربية الذي يفترض الحزن، في معرض فرح ينسي المشاهد ويضلله ويبعده من الإحساس بأنّه يمشي في جنازة لغته المقدّسة.

وتندرج في هذه البوتقة **برامج التسلية** القائمة على الأحجيات والمتضمنة ربحاً مادياً، يسحب المشاهد من عالم الواقع القيمي إلى عالم الاكتشاف المموّه بالتشويق والتلفيق المعرفي.. وهو ما نجده في برنامج "أصّه كبيري"[١٥٤] القائم على "بهلوانيات" مقدّمة وألعابه وحركاته الجاذبة للجمهور، والمتوّجة بربح مادي للمشترك أو المشاهد خارج محطة البثّ.. ومن ذلك برنامج "ساعة بقرب الحبيب"[١٥٥]، الذي يخفي وراء رصانة مقدّمه على شكل مقابلة مع شخصية ما، غالباً ما تكون فنّية، معرفة مقدّمة بأسلوب يخلط الجدّ بالهزل والمعلومة بالتشويق، بعامية سافرة، على الرغم من أنّ الشخصيات المستضافة ليست بالضرورة لبنانية، فنشاهد ونسمع مزيجاً من العاميات اللبنانية والأخرى العربية.

وتنفرد **البرامج الإخبارية** في المرئي والمسموع اللبناني بأنّها تترك واحات صغيرة للفصحى السليمة لا يتعدّى نطاقها الدقائق.. لينتقل قسم منها إلى لغة تسكين الأواخر، كما ورد على لسان مذيعة الأخبار من مرئية المستقبل: "إلى مطارْ بيروتْ الدوليْ يتوالى وصولْ رؤساءْ البرلماناتْ العربيةْ" [١٥٦] ولتحتل العامية القسم الأكبر منها، لا سيّما في التقارير المصوّرة والبرامج المعلوماتية الإخبارية والتعليقات.. ومن عادة بعض هذه المحطات أن تختتم نشراتها الإخبارية بفقرة تحمل مرّة اسم كاريكاتور"[١٥٧]، ومرة "دمى كاتور"[١٥٨]، و"حوارات بين رسوم"[١٥٩]، كلّها تلخص الموقف السياسي أو الاجتماعي، وتؤدى بعامّية خالصة ويستقدم إليها البارعون في هذا المجال.

وغالباً ما تستضيف البرامج الإخبارية شخصيات سياسية: مثل برنامج "حوار العمر" و"خليك بالبيت" و"كلام الناس"... تتراوح لغة هذه البرامج بين ثلاثة مستويات: الفصحى والفصحى المسكّنة والعامية وهي الغالبة.. نقتطف بعض المقاطع المقطّعة من مقابلة أجريت مع معالي وزير البيئة والنائب الحالي فارس بويز في برنامج "كلام الناس" [١٦٠]: "أنا بعتقد تكتيكياً طرح موضوع لمحافظه أمر جدّي – نبحث بمواضيع إنمائيه وأهمها محطة تكرير المياه – خلينا ندير بالنا للأمور لبتعنينا – خريطة الطريق أكبر منا – لبنان إذا بينضم إلى خارطة الطريق ما بيقدر الوصول للحل وحدو".

وهو يعني:"أنا أعتقد تكتيكياً(مناورة) أن طرح موضوع المحافظة أمر جديّ – نبحث في موضوعات إنمائية وأكثرها أهمية محطة تكرير المياه، دعونا نهتم بالأمور التي تعنينا– خارطة الطريق أكبر منّا – لا يستطيع لبنان أن يصل إلى الحل بمفرده إذا انضم إلى خارطة الطريق".

إلا أن عهدنا بمعالي الوزير بويز أنه يجيد العربية الفصحى السليمة وإن لم تكن هذه الفصحى، فتلك المسكنّة أواخر الكلمات.. إلا أن جذب مقدّم البرنامج باتجاه العامية في أحيان كثيرة، مع أنّه يجيد الفصحيين: السليمة والمسكّنة أيضاً، قد أحال الحوار إلى هذه اللغة المحكية التي لا تختلف عن أيّ محكية مناطقية لبنانية..

على هذا النهج تسير **برامج الأطفال** أيضاً في المرئي والمسموع اللبنانية، فهي تتقاسم الفصحى السليمة والفصحى المسكّنة الأواخر والعامية، وهي الغالبة، حيث ينزلق الأطفال إلى مهاوي ضياع اللسان الصحيح، حيث يجري استنطاقهم بحسب العامية اللبنانية العامة بل بسحب لهجات مناطقهم وبلداتهم وحتى بيوتهم، وهي غالباً لهجة أطفال لم يكتمل بعد نموّهم النطقي واللغوي، يقدّمون أمثلة أمام سائر الأطفال اللبنانيين الذين يتسابقون إلى حسن الأداء بهذه اللهجة التي في آخر مستويات الكلام.. فأيّ طفل بعد ذلك نريد؟ بل أي لغة نريده أن ينمو بها؟ وأيّ شغف خاطئ نزرعه في يقينه ليلهث وراء عامية متداعية بعيدة كل البعد من لغة الدين والحضارة والتراث والشخصية التي ندخل بها إلى العالم [١٦١].. نستثني من ذلك، بالطبع مجموعة البرامج المختلفة والمتخصصة التي تقدّمها مرئية "المنار"، الأرضية والفضائية، حيث تسيطر عليها الفصحى السليمة وتعد بمستقبل زاهر للغة العربية يكون مثالاً للآخرين..

بينما تحاول بعض **البرامج التاريخية والتراثية** أن تكون قريبة من واقعها فتؤدى بالفصحى.. لكنها مشوّهة لغوياً تكثر فيها الأخطاء وتقدّم بحسب وجهة نظر الفئة التي تمتلك محطة البثّ.. في المحطات الدينية الإسلامية مثل "إقرأ" وإذاعة "القرآن الكريم" و"البشائر" و"المنار".. نجد هذه البرامج التاريخية محافظة على النصوص، ويقترب التعليق عليها من الأداء اللغوي الجيّد.. بينما تقلّ جودة

هذا الأداء في المحطات الأخرى، سواء أكان البرنامج سرداً تاريخياً أم تعليقاً على حدث أم تمثيلياً.. وتكاد الفصحى المسكّنة الأواخر أن تسيطر على هذه التقديمات في القسم الأكبر منها.. وقد تمتاز البرامج الفولكلورية منها بعودتها إلى الفصحى السليمة في أكثر الأحيان، بينما يتخلل تقديماتها، من وقت إلى آخر، العودة إلى العامية والمحلّيات بحجة أن ذلك هو طبيعة هذا الفنّ الأصيل، صنعته أجيال وأكسبته الألوان المحلّية.. وتكتسي تجربة الرحابنة في المسرح والغناء أهمية خاصة في إلباس الكلمة لبوساً خاصاً يحاول أن يجمع بين العام اللبناني والعربي وبين المحلّيات التي يمكن أن تصاغ بلغة مفهومة من معظم الناس..

يدخل في بوتقة هذه التقديمات كل ما يمكن أن ينقل في المسموع والمرئي من **مهرجانات وخطابات واحتفالات** في مختلف الميادين.. فهي تخرج إلى الملأ بحسب وضع الشخصية التي تؤدي. فالخطب والاحتفالات الدينية غالباً ما تكون بالفصحى السليمة.. بينما السياسية يغلب عليها شكل التسكين الأخير للكلمة.. وقد تكون عامية مطلقاً، وهو ما درج عليه الرئيس اللبناني الراحل بشير الجميّل، سواء أكان قائداً للقوات اللبنانية أم رئيساً للجمهورية.. فهو قد شقّ نهجاً أصبح تقليداً لخطباء كثيرين وطريقة فضلى لمقدّمي قسم كبير من البرامج، ولا يزال هذا النهج سارياً إلى اليوم لدى العديد من المسؤولين اللبنانيين رؤساء[١٦٢] ووزراء ونواباً وقادة مؤسسات وأحزاب وجمعيات.. ويكفي أن تتناول أي صحيفة لبنانية لتقرأ بعض التصريحات والخطابات حتى تطالعك لغة المثقفين، لغة تسكين أواخر الكلمات في كل كلمة وعبارة..

وقليلاً ما يتناهى إلى آذان المستمعين والمشاهدين حوار أو مكالمة تأتي من خارج محطة **البث على الهواء** باللغة الفصحى السليمة.. وهي البرامج التي تفسح في المجال أمام إسهامات الجمهور، ومعظمها يقال بالمحكي المحلّي بحسب

المتصل، حتى وإن كان الشخص المستضاف شخصية أدبية: نثرية أو شعرية، فغالباً ما يجيء الردّ بفصحى المثقفين أو العامية في الأغلب[١٦٣].

هل العربية لغة إعلامية؟

لا يتسع المجال كثيراً للإجابة عن أسئلة مكثّفة تطرح حول قدرة اللغة وإمكاناتها في المجالات العديدة.. يقول الدكتور مبارك عن الدعوة إلى العامية: هي "دعوة جاهل أو شعوبي، وهي لا تعني– اجتماعياً – غير التقاطع والانزواء وقوقعة المجتمعات الضيقة، ولا تعني – قومياً وسياسياً– غير تفكيك وحدة الأمة وتمزيق شعوبها، والإكثار من كياناتها المتجزئة، ولا تعني– إسلامياً غير إنشاء جيل بلا قرآن"[١٦٤]..

يحيل هذا القول مسألة التداول بالعامية إلى خارج دوائر الأهمية الماثلة أمام رقيّ المجتمع. وهي إما من دخيل متآمر وإمّا من سياسي يهدف إلى التقويض والإلغاء دين الله الأهم.. وفي طيّاته يجيب عن السؤال المطروح أعلاه: هل العربية لغة إعلامية؟ والإجابة تكمن في قول القائل: إن اللغة قوية وقادرة إلا أن تدخل الغير بهدف النيل من العربية والعرب جعله ينحرف عن جادة القوّة التي تمتاز بها العربية..

وفي علمنا أنّ العربية نجحت إعلامياً منذ البدايات الأولى لتكوّنها.. أما بعد التكوين فكانت لغة القبائل.. لغة الشعر والنثر.. بها يذاع الموقف الإعلامي ومنها ينطلق إلى الرحاب.. وفي ظلّ الإسلام تعاظم دورها فكانت أداة الخطاب الإعلامي الممكن الذي أدّى إلى النجاح في مختلف المستويات..

وفي منظور اليوم تتداخل المعطيات وتتعاظم الأدوار.. ويتراجع الدور العربي وتضمحل قوته العسكرية والتنظيمية والسياسية.. وينعكس ذلك على مجمل

التعاطي في جميع الميادين لا سيّما الإعلام.. ويتقدّم الدور الدخيل ويشتدّ التآمر ، فيتاح للعابثين أن تعلو كلمتهم بغير حق.. فإذا الظاهر خلّاب مدهش يبهر العيون ويضعف السمع ويبهت العقول ويحوّل المشاعر والأحاسيس عن غاياتها إلى مقاصد أخرى في المرئي والمسموع والشؤون الحياتية الأخرى.. لينتهي الأمر إلى العولمة، وكأنّ اللغة العربية لا يكفيها المتحاملين عليها من أبنائها أو مهمليها منهم، لتواجه أشرس حملة عالمية يقودها قطب يهدّد وجود الآخرين ويسعى إلى إجتثاثهم من الجذور.. يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله(عضو مجمع اللغة العربية المصري): "إن ما نشهده اليوم ونحن في مرحلة أصبح الإعلام يسمّيها مرحلة العولمة، هو الهجمة التي تقودها شبكة المعلومات على اللغة العربية، سواء أكانت الفصحى أم العامية، حتى الفرنسية والإيطالية واليابانية وغيرها، تعاني مخالفة المعلوماتية وهجمة العولمة، كما تعاني اللغة العربية"[١٦٥].

وهو رأي يلقي أيضاً بمسألة التراجع اللغوي إلى خارج الذات اللغوية، ولا يرى نقصاً في القدرة اللغوية على التعبير..

والأمر كذلك .. اللغة العربية قادرة على التعبير عن كل شيء.. تكمن فيها الخصائص التي تجعلها كذلك، وتتميز بقواعد صرفية ونحوية وبلاغية و"فقهية لغوية" تجعلها متكيّفة مع كل طارئ.. والمشكلة ليست فيها وإنما بالنظام العربي العام، النظام الذي لم يتخذ قراره بعد للإندماج كونياً بالمستجدات التي تحصل لا سيّما في مجال الإعلام.. وهو ما يترك كيفياً لفئات منفلتة من عقال الرقابة المنظمة التي تحلّل وتحرّم إستعمال اللغة كما سواها من اللوازم للبناء السليم[١٦٦].

وما نراه اليوم في المرئي والمسموع اللبناني هو من هذا القبيل: محاولة للابتعاد طوعاً من سلامة اللغة، إلى تلفيقات أخرى تضع الإنهزام والتآمر والدسيسة والتبعية عناوين لها..

لغة العرب، لغة القرآن، قادرة ومتمكّنة من الأداء الإعلامي وسواه، والنقص ليس فيها بل في مدّعي الحرص عليها وتطويرها بأسس غير بنّاءة بغية قتلها[١٦٧].

اللغة العربية والهامش الديموقراطي في لبنان:

استكمال الإجابة عن السؤال السابق تتدرج أيضاً في أجواء الحرية والديموقراطية التي يتمتع بها لبنان ويتميّز بها عن سواه.. وهو أمر أسهم كثيراً في توسيع دائرة اللعب في السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة في لبنان.. وجاءت الحرب الأهلية لتمكّن اللاعبين من رسم خطوط هذه الدائرة وتؤكدها باتجاه إفراز سياسات خاصة تصب خارج النطاق العربي نفسه.. فأطلق لها العنان تنظيراً وتنفيذاً في غياب قرار عربي موحد يصون ما لدى العرب ويحافظ عليه ومنه اللغة...

أعطت الأجواء الديموقراطية في لبنان إذاً هذه الفئات حرية التصرّف في الإعلام، حتى في الزمن الذي أقرّ فيه الدستور الجديد في الطائف، في زمن الانطلاقة الجديدة للبنان، لم تأت النصوص على ذكر اللغة العربية في الإعلام ولم تضع أيّ خطة لرفع مستواها، بل تركت الحبل على غاربه، فلعب اللاعبون واستكملوا مخططاتهم مستفيدين من الاستقلالية والترخيص والحرية الممنوحة كلها لهم.. حتى باتت صورة اللغة اليوم إفرازاً من إفرازات هذه الحرية التي أسيء استعمالها فغدت مشوّهة ومثالاً للعبث الديموقراطي ولهوه بعيداً من حلّ المعضلات الأخرى الكبرى التي يعاني منها لبنان والعرب عموماً.

بينما يتموضع الحلّ الديمقراطي ومسائل الحرية لا سيّما في القول، في مراتب أسمى ينبغي أن تسود.. فالحرية غير المنضبطة أو غير المرتبطة بالمسؤولية حرية ناقصة، والديمقراطية التي لا تعمل لصالح الشعب والأمة والتاريخ

والحاضر والمصير هي ديمقراطية مشوّهة تستعمل في غير ما وضعت له في الأساس.. إذ من الشخصية تنطلق الحرية وإليها تعود المميزات الإيجابية والسلبية . وإذا ضاعت اللغة فإنّه إيذان بضياع الشخصية، وضياع الشخصية هو ضياع للأمة.. فأيّ أمة يراد لها أن تدخل المعترك العالمي بغير لغة قوية موحدة وسليمة تحافظ على ذاتها دائماً.. ؟ إن اللغة العربية تواجه تحدّيات هائلة من أبنائها الذين يسهمون في تراجعها عن قصد أو غير قصد، ومن وقوى وابتكارات إعلامية وعلمية وإيديولوجية.. "التحديات الهائلة أمام الإنترنت والعولمة وحوسبة التراث واقتصاديات الثقافة والتعليم دون أن يتحوّل النهوض باللغة العربية إلى مشاريع قومية عربية وقطرية وطنية، فإنّ القرن الحادي والعشرين وما سيرافقه من تطورات من أدوات الاتصال والعلم والثقافة قد يحمل مفاجآت للغة العربية لا يحسن الإطمئنان إلى نتائجها"[١٦٨].

الهامش الديمقراطي في لبنان ينبغي أن ي دفع القوى الديموقراطية فيه إلى تبنّي لغة الديموقراطية، لغة التعبير عن البرامج التي يصوغونها من تجارب الشعب اللبناني الكفاحية على مدى طويل من الزمن.. وهي تجارب توحي بالتمسك بالعروبة والوطن والقيم.. وعلى أساسها قامت قواهم ومنها انطلقت لتقول كلمتها الوطنية والقومية التي كانت على مستوى التضحيات الجليلة التي قدّمت خدمة لفكرتها، أسوة بالشعوب الأخرى التي تسعى إلى المحافظة على كياناتها[١٦٩]..

وفي الختام لغة القرآن والعروبة:

وقد تلف الغرابة الباحث حين يعلم أننا نتحدث عن اللغة في قطر من أقطار العرب هو لبنان الذي أسهم أبناؤه في إعلاء شأن العربية بحثاً فيها وكتابة بها وإبداعاً في طرق تعبيرها.. والغرابة أننا نجد فريقاً كبيراً من اللبنانيين يتمسّك نظرياً بلغته، ويمارسها أدباء وشعراء وكتاب كثر في مختلف المجالات، صحيحة فصيحة

سليمة من أيّ هوى.. وهذا الكلام يحيل السقطات اللغوية في الإعلام اللبناني المرئي والمسموع إلى دائرة الإهمال أكثر مما يحيله إلى دائرة إخفاق اللغة في التعبير والعطاء.

ذلك أن اللغة العربية تبقى، ونحن نتحدث عن لغة العرب أجمعين، لغة القرآن والتراث والحضارة والفكر والأدب.. لغة خفّة مباني الكلم وسعة التصرف والمجاز والتعريب والاشتقاق والطواعية والارتجال والمرونة والانتظام الصوتي والحس السياقي وتعدد الأساليب الكتابية وثراء المعجم وشدّة التماسك بين عناصر منظومتها..

وعلى ذلك كلّه، فإنّ العربية ظاهرة اجتماعية، بعلوّها يعلو المجتمع وبانخفاضها وتراجعها يتراجع المجتمع.. والأمة التي تنشد الحياة الراقية عليها التبصّر بلغتها عن طريق التبصّر بنهوضها [١٧٠].. فبالتجدد والمحافظة التي هي سمة العربية، نتجدّد ونحافظ على وجودنا.. فأنظر إلى أمة تسبقها لغتها في الميادين كلّها، وانظر إلى لغة قطوفها دانية مثمرة ناضجة تتحوّل عنها الأمة إلى الفجّ والرديء من الثمار؟

ما يلزم هو القرار العربي لحماية اللغة وتطويرها، ما يلزم هو قيام المجامع اللغوية العربية بأدوارها، وتتكب الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية واللغوية مهمات المحافظة على حياة اللغة وضبط الخارجين عن الأصول في الأداء اللغوي حتى يتسنّى إعادة الوجه المشرق للغة بإعادة الوجه الأكثر إشراقاً للأمة.

الهوامش

١- تاريخ سوريا الحضاري القديم: 1- المركز، د. أحمد داود، ص625، دار المستقبل، دمشق، 1994.

٢- الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر، ز.ل. ليفين، عرض وتقديم سليمان الديراني، مجلة الطريق، عدد3، بيروت، حزيران1979.

٣- يراجع المقالات والأبحاث والكتب التالية: حياة اللغة وموتها: اللغة العامية، الأب مارون غصن، ص8، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1952.

- حقوق اللغة العامية بإزاء اللغة الفصيحة، الأب لويس شيخو، مجلة الشرق، الجزء 23، العدد 3، بيروت، آذار 1952، ص162.
- علاقة التاريخ باللهجات العربية، شكيب أرسلان، مجلة "المقتطفات"، جزء 80، العدد 3، القاهرة، آذار 1923، ص325.
- اللغة المكتوبة واللغة المحكية، أسعد داغر، مجلة المقتطف، الجزء 27، العدد 3، القاهرة، آذار، 1902، ص257.
- اللهجات العامية في لبنان وسوريا، عيسى إسكندر المعلوف، مجلة المجتمع اللغوي في القاهرة، العدد 4، القاهرة، تشرين الأول، 1937، ص299.
- الوسائل لترقية اللغة العربية، الأب لويس شيخو، مجلة المشرق، الجزء 20، العدد 12، بيروت، كانون الأول 1922، ص1047.
- معجم عطية في العامي والدخيل، رشيد عطية، ص 12، دار الطباعة والنشر العربية، سان باولو، 1944.
- رأي في الصراع بين العامية والفصحى، مقال لمحمود تيمور، نشر في مجلة المجتمع اللغوي بالقاهرة، الجزء 11، ص 65.
- اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جورج الكفوري، ص99، مطبعة نصار، بيروت، 1948.
- نحو عربية ميسرة، أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1955.

– اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي (لبنان:1901–1960)، د. رياض قاسم، مؤسسة نوفل، بيروت 1982.
٤– محيط المحيط، بطرس البستاني، مادة وصل، ص: 972–973، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة العام 1983.
٥– لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، مادة "وصل" ص (936–937)، مكتبة لبنان، بيروت، بدون تاريخ طبع.
٦– Dictionnaire Bordas, Maurice Davau, Page 257, édition Bordas, Paris 1976.
٧– اللغة، ج. فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصّاص، ص603، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950.
٨– المرجع نفسه، ص6.
٩– أصوات متعددة وعالم واحد، جون ماكبرايد، ص 27–28، من دون مترجم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
١٠– لسان العرب، ابن منظور، المجلد السادس، ص 936–937.
١١– الموسوعة الفلسفية العربية، د. معن زيادة، م 1،ص18، مادة اتصال، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986.
١٢– الأقمار الصناعية وتكنولوجيا الاتصالات، فاروق إبراهيم علي، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز العربي للدراسات الإعلامية، القاهرة، عدد 1989، ص28–29.
١٣– اللغة العربية والوعي القومي، وسائل الاتصال الجماهيري، مسارع الراوي، ص 86، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.
١٤– الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشتي، ص44، دار الفكر العربي، القاهرة 1978.
١٥– اللغة العربية في عصر العولمة، د. أحمد بن محمد الضبيب، ص62، مكتبة العبيكان،الرياض، 2001.
١٦– محيط المحيط، بطرس البستاني ، ص874.
١٧– محيط المحيط، بطرس البستاني، مادة علم، ص638–639.
١٨– الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ص 280، مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة، 1969.

١٩- القيم في التربية والإعلام، إعداد د. بسام عبد الحميد، من بحث بعنوان"ثوابت القيم الصحيحة في الإعلام المرئي والمسموع" للأب الدكتور يوسف مونس، ألقاه في المؤتمر الأول للقاء الكليات والمعاهد الجامعية الدينية في لبنان، بيروت 2002، ص310.
٢٠- وسائل الإعلام بين الرأي العام الإرادة الشعبية، أنيس مسلم، ص 19، التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر.
٢١- اللغة، ج. فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ص5، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950.
٢٢- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الجزء 1، ص 46-47، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952.
٢٣- لغة الإعلام في لبنان، د. منيف موسى، من محاضرة ألقيت في النادي الثقافي العربي في بيروت، بتاريخ 1998/3/7.
٢٤- العرب وثورة الاتصال الأولى، د. عصام سليمان الموسى، ص:17-19، وزارة الثقافة، الأردن، 1999.
٢٥- العرب وثورة الاتصال الأولى، د. عصام الموسى، ص16.
٢٦- اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، الجزء الثاني، لبنان، د. رياض قاسم، ص 403 وما بعدها، مؤسسة نوفل، بيروت، 1982.
٢٧- انجيل يوحنا، الآية الأولى، والكلمة: تعني المسيح (عليه السلام).
٢٨- الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير، د. خليل أبو جهجه، ص 221-222، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995.
٢٩- قرآن كريم.
٣٠- اللغة، ج. فندريس، ص256.
٣١- الخصائص، ابن جنّي، الجزء الأول، ص13.
٣٢- لسان العرب، ابن منظور، مادة "سلط" ص182-183.
٣٣- قرآن كريم، سورة إبراهيم، أية22.
٣٤- اللغة العربية والإعلام، د. رشاد محمد سالم، بحث ألقي في مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة" (الدورة الأولى)، الذي عقد في بيروت في معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، ص547، بيروت، 2002.

٣٥- سمات الانفتاح والتطور في المحكية العربية المدينية: أنموذج بيروت، د. نادر سراج، بحث ألقي في مؤتمر اللغة العربية في لبنان، ص315-325، منشورات جامعة البلمند، بيروت، 1998

٣٦- لغات التعبير، فاروق المجذوب، ص55-59، دار منيمنة للطباعة والنشر، بيروت، 1994.

٣٧- الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، منذر العياشي، ص125، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998

٣٨- "يارا"، سعيد عقل، مكتبة لبنان، بيروت، 1961.

٣٩- انظر كتاب:"تاريخ سوريا الحضاري: 1- المركز"، د. أحمد داود.

٤٠- آفة اللغة هذا النحو، أحمد الزيات، مجلة "الرسالة"، عدد 23، القاهرة، 1933/7/15، ص13.

٤١- مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد؟، الشيخ الدكتور عبدالله العلايلي، المطبعة العصرية، القاهرة، صدر لأول مرة في العام 1938.

٤٢- انظر مثلاً: "حياة اللغة وموتها: العامية"، الأب مارون غصن، ص 8، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1952، وكتاب:"حقوق اللغة العامية بإزاء اللغة الفصيحة"، الأب لويس شيخو، مجلة المشرق، الجزء23، العدد 3، بيروت، آذار، 1925، ص162.

٤٣- "كلمة غيور على لغته"، أمين الشميّل، مجلة التبكيت والتنكيت، عدد 5، القاهرة، بتاريخ 1981/7/10.

٤٤- "القومية العربية"، أمين ناجي، جريدة العمل (عدد خاص)، بيروت، بتاريخ 1970/11/29،ص49.

٤٥- برنامج أذيع من الإذاعة المرئية MTV(تلفزيون المرّ) واستضاف فيه بعض الشعراء، أذيع البرنامج خلال شهر كانون الأول من سنة 2001.

٤٦- صد ر الكتاب عن دار الثقافة في بيروت في العام 1955 وتجد هذه التسميات على الصفحات: 181-184.

٤٧- المرجع نفسه، ص181.

٤٨- المرجع نفسه، ص181.

٤٩- صدر الكتاب عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت في العام 1962.

٥٠- الصفقة، توفيق الحكيم، ص157-158، منشورات مكتبة الآداب، القاهرة، 1956.

٥١- المشكلة اللغوية العربية، سمر روحي الفيصل، ص 126-147، جروس برس، طرابلس، لبنانن 1992.

٥٢- قضايا الفن القصصي، يوسف نوفل، ص34، دار النهضة العربية، القاهرة،1977.

٥٣- ديوان الولادة التانية (الثانية بالتاء)، يوسف الخال، المقدمة، منشورات مجلة "شعر" بيروت، 1981.
٥٤- مجلة "شعر"، الافتتاحية، عدد:31-32، بيروت1964.
٥٥- اللغة ليست عقلاً، أحمد حاطوم، ص257، دار الفكر اللبناني، بيروت، دون تاريخ طبع.
٥٦- المرجع نفسه، ص229.
٥٧- برنامج "حوار العمر"، مقابلة أجرتها الإعلامية جيزيل الخوري مع عثمان العمير في المؤسسة اللبنانية للإرسال LBC، أدما، لبنان في 2001/2/4.
٥٨- الإعلام في لبنان وانهيار السلطات اللغوية، أطروحة دكتوراه مخطوطة أعدها نسيم الخوري، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، 2002.
٥٩- يمكن العودة إلى مزيد من الإحصاءات للوسائل الإذاعية المسموعة والمرئية والفضائية إلى "نقابة الصحافة اللبنانية في عدديها الصادرين في 6أيار مايو 1987 و1 آذار 1993.
٦٠- ملف الإعلام في لبنان، نسيم خوري، مجلة الدفاع الوطني، مديرية التوجيه في وزارة الدفاع الوطني، العدد 6، تشرين الثاني 1993، بيروت، ص41.
٦١- اللغة العربية والعولمة، صالح بلعيد، مجلة "اللغة العربية"، العدد 4، الجزائر، 2001، ص115.
٦٢- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، مجموعة من المؤلفين، ص13، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 1982.
٦٣- "قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث"، عواطف عبدالرحمن، سلسلة كتاب "عالم المعرفة"، العدد 78، حزيران 1984، الكويت، ص48.
٦٤- اللغة العربية وتحديات القرن الواحد والعشرين، د. إبراهيم بدران، عن بحث د. عبدالله أبو هيف "اللغة العربية وتحديات العولمة" الذي ألقي في مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة ، بيروت، 2002، ص469.
٦٥- المرجع نفسه، ص469.
٦٦- انظر:"قوانين لبنان، مجموعة النصوص التشريعية والتنظيمية"، دار المنشورات الحقوقية، مكتبة صادر حتى العام 1998.
٦٧- الدستور اللبناني وتعديلاته (1926-1990)، مجلس النواب، 1990.

٦٨- سلسلة الوثائق الأساسية للأزمة اللبنانية، عماد يونس، 5أجزاء، بيروت، بدون تاريخ طبع.
٦٩- الأحزاب في لبنان، نهاد حشيشو، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت 1981.
٧٠- 16 سنة ملعونة من عمر لبنان، جريدة النهار بتاريخ 1992/3/5، بيروت.
٧١- الإصلاح الإعلامي بين الحرية والمسؤولية، محمد السمّاك، محاضرة في ندوة إعادة تنظيم الإعلام في لبنان، فندق الكارلتون، بيروت (17-1991/5/19).
٧٢- أزمة الإعلام الرسمي العربي (النموذج اللبناني)، فكتور سحاب، ص26، دار الوحدة، بيروت، 1985.
٧٣- مؤتمر الحوار الوطني في لوزان المنعقد بين 12-20 آذار، 1984.
٧٤- العربية في لبنان، جامعة البلمند، المقدمة بقلم د. إيلي سالم، منشورات جامعة البلمند، طرابلس، لبنان، 1998.
٧٥- الإعلام الصهيوني والفلتان الأخلاقي، نسيم خوري، ص9، دار اللواء، بيروت، 1999
٧٦- جريدة "النهار"، المؤتمر الصحفي لوزير الإعلام اللبناني ألبير منصور، بتاريخ 1991/9/8.
٧٧- مناقشات الجلسة الثانية من ندوة الكارلتون، غسان تويني، فندق الكارلتون، بيروت، بتاريخ 17-1991/5/19.
٧٨- النهار، بتاريخ 1992/12/24، لبنان.
٧٩- جريدة السفير، بتاريخ 1994/11/10، لبنان.
٨٠- نشر قانون تأسيسه في الصحف اللبنانية كافة، راجع جريدة "السفير" بتاريخ 1994/11/5، لبنان.
٨١- حديث لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، بعنوان "المطالبة بتحريك النيابات العامة ضد الإعلام"، نشر في جريدة البيرق، بيروت، بتاريخ 1994/2/12
٨٢- "دفاعاً عن لغتنا الجميلة"، حسن صبرا، مجلة الشراع، عدد 635، بيروت في 1994/7/4.
٨٣- المطالبة بتحريك النيابات العامة ضد الإعلام، "البيرق"، بيروت في 1994/2/12.
٨٤- جريدة النهار في 2000/2/12، بيروت.
٨٥- الوكالة الوطنية للإعلام، يوم الأحد في 2003/2/16، ص10.

٨٦- تقديم أسعد دياب.

٨٧- تقدمه مجموعة من المذيعات.

٨٨- من مقابلة مع رفيق شلالا مدير الوكالة الوطنية للأنباء أجرتها ليديا ريشا، نشرت في جريدة النهار، بيروت، في 1999/3/15.

٨٩- يذاع بعد ظهر يوم الجمعة، حلقة أذيعت بتاريخ 2003/5/30.

٩٠- يذاع كل يوم جمعة في الساعة الثانية والنصف من إذاعة "صوت الشعب".

٩١- يذاع في الساعة الثامنة والربع صباحاً ويقدمه الشاعر والأديب جورج جرداق من إذاعة "صوت لبنان".

٩٢- يذاع في التاسعة إلا ربعاً صباحاً.

٩٣- يذاع في العاشرة صباحاً.

٩٤- يذاع في الثامنة والنصف صباحاً ويقدمه الشيخ جمال بشاشة.

٩٥- يذاع في الساعة الحادية عشرة والربع صباحاً.

٩٦- يذاع في الساعة الواحدة والربع ظهراً.

٩٧- يذاع في الساعة العاشرة صباحاً.

٩٨- يذاع في الساعة الرابعة عصراً.

٩٩- برنامج أذيع من إذاعة البشائر في الثانية عشرة ظهراً من يوم الثلاثاء بتاريخ 2003/5/27، وهو من تقديم فاطمة حجازي.

١٠٠- يقدمه ريمون جبارة من إذاعة "صوت لبنان".

١٠١- يقدّمه ويعدّه ربيكا أبو ناضر هندي من "صوت لبنان".

١٠٢- يقدّمه طوني نصّار يومياً من الصباح حتى ما بعد الظهر.

١٠٣- تقدمه وفاء عبدالملك كلّ أربعاء.

١٠٤- كسروان: منطقة في جبل لبنان.

١٠٥- يذاع صباح كل سبت.

١٠٦- جاء هذا الكلام على لسان مدير البرامج في إذاعة لبنان الحرّ في مقابلة معه بتاريخ 2003/4/14.

١٠٧- في مقابلة مع الإعلامية هلا المرّ مديرة إذاعة "راديو سكوب" بتاريخ 1999/4/12 ، أذيع من إذاعة جبل لبنان يوم كانت مديرة لها.

١٠٨- الرسميون ومعضلة تلفزيون لبنان، جو سعادة، رئيس تحرير الأخبار في تلفزيون لبنان، جريدة النهار، بيروت 1999/7/26.

١٠٩- برنامج يذاع يومياً من الصباح حتى الظهر ولا يزال حتى اليوم.

١١٠- كلام قيل في مقابلة أجرتها كاتيا شر مع دوللي غانم إحدى المذيعات الرئيسية في LBCI بتاريخ 1999/4/24.

١١١- يذاع في الساعة التاسعة والنصف من مساء الثلاثاء.

١١٢- حلقة أذيعت في التاسعة والنصف مساء بتاريخ 2003/5/27.

١١٣- وهو من إعداد وتقديم جيزيل خوري.

١١٤- عن مقال، بعنوان:"آسيبويه، لم تنتحر يومياً لفصحى تلفزيوناتنا المحلية"، بقلم جنى نصر الله، جريدة النهار، بيروت، بتاريخ 1999/9/13، ص17.

١١٥- يذاع مساء كل خميس في الساعة التاسعة والنصف.

١١٦- تقديم د. زياد نجيم.

١١٧- أذيع من مرئية LBC في الساعة الثالثة والنصف ظهر يوم الاثنين الواقع في 2003/5/2، من إعداد وتنفيذ روني سعادة.

١١٨- عرض الشريط على شاشة lbc في الساعة العاشرة مساء بتاريخ 2003/2/10.

١١٩- نص المقابلة التي أجراها إدغار جلاد مع السفير الأميركي في لبنان فنسنت باتل في الساعة العاشرة مساء من يوم الثلاثاء في 2003/5/27.

١٢٠- أذيعت هذه الحلقة في الساعة الثانية من بعد ظهر الاثنين الواقع في 2003/6/2.

١٢١- العربية في لبنان، منشورات جامعة البلمند، بيروت 1998، ص319.

١٢٢- يذاع من تلفزيون لبنان في الفترة الصباحية وحتى منتصف النهار.

١٢٣- برنامج "خليك بالبيت"، الذي يقدّمه الشاعر زاهي وهبي في الساعة التاسعة والنصف من مساء كل يوم ثلاثاء، وهذه الحلقة أذيعت بتاريخ 2003/5/27.

١٢٤- وكان في تلك الحلقة صاحب السموّ الملكي خالد الفيصل، شاعر وأديب ورئيس مؤسسة الفكر العربي.

١٢٥- يذاع البرنامج من شاشة المستقبل، في التاسعة والنصف من مساء كل يوم جمعة، ويقدّمه ميشال القزي المعروف باسم "ميشو".

١٢٦- برنامج يعدّه ويقدّمه خضر الموسوي.. يقوم على استضافة علماء الدين والمفكرين الأكثر بروزاً، ويستقبل مشاركات المشاهدين عبر الطرق الاتصالية المختلفة ويتناول المشكلات المعاصرة من وجهة نظر إسلامية.

١٢٧- يعدّه محمود دهيني ويقدّمه حكم أمهر.. يهتم بخطب الجمع في مختلف أقطار العالم الإسلامي ويقدم مقتطفات منها بفصحاها السليمة.

١٢٨- يعدّه عبدالحليم محمود وفاطمة بدير وتقدمه الأخيرة، ويهتم بالفكر والثقافة والعلم والأدب، يستضيف أصحاب هذا الاهتمام.. ويؤدي بالفصحى الخالصة..

١٢٩- ربما كانت هذه اللفظة من الأجنبية من النوادر، إذ لا تستعمل هذه المحطة الأجنبية في حديثها.

١٣٠- أذيعت في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء بتاريخ 2003/2/10.

١٣١- الإعلام في لبنان وانهيار السلطة اللغوية، د. نسيم الخوري، ص424.

١٣٢- ندوة القاهرة حول:"التلفزيون الوطني في مواجهة الفضائيات الخاصة، مداخلة عدنان العوالمة"مدير المركز العربي للخدمات السمعية-البصرية في عمّان، صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ 1997/3/6.

١٣٣- أذيع في الحادية عشرة والنصف ليلاً من الفضائية المصرية بتاريخ 2003/5/28.

١٣٤- "القنوات الفضائية وإمكانية الاستفادة منها في نشر الثقافة العربية والإسلامية والتعريف بالحضارة العربية"، محمد عبدالكافي، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، ندوة عمان، بالتعاون مع مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان، تشرين الأول 1997، (صدرت دراستها ووقائعها في كتاب عن المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم في تونس 1998).

١٣٥- يذاع من شاشة إذاعة المستقبل المرئية الفضائية في الساعة التاسعة من مساء كل يوم أحد.

١٣٦- العلاقة العامة والإعلام في منظور علم الاجتماع، د. حسين رشوان، ص272، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997.

١٣٧- الإعلان وتأثيره في اللغة العربية، د. عصام نور الدين، بحث مقدّم إلى مؤتمر اللغة العربية في دمشق بتاريخ 26-1997/10/29.
١٣٨- أزمة الإعلام العربي الرسمي (الأنموذج اللبناني)، فكتور سحاب، ص19، دار الوحدة ، بيروت، 1985.
١٣٩- الإعلام في لبنان وانهيار السلطات اللغوية، د. نسيم خوري، ص466-467-472.
١٤٠- المرجع نفسه، ص473.
١٤١- على مرئية LBC، تقديم مارسيل غانم.
١٤٢- على مرئية المستقبل، تقديم زافين.
١٤٣- على مرئية تلفزيون لبنان (برنامج منوّع، ثقافي، حوارات، ومقابلات).
١٤٤- على مرئية المستقبل (برنامج منوّع، مقابلات، أبراج، حوارات...).
١٤٥- على مرئية المستقبل، تقديم زاهي وهبي.
١٤٦- على مرئية LBC ، تقديم جيزيل خوري.
١٤٧- على مرئية LBC، تقديم زياد نجيم.
١٤٨- على مرئية LBC.
١٤٩- على مرئية المستقبل، تقديم جورج قرداحي.
١٥٠- على مرئية المستقبل، تقديم ميشال قزي (أصه تعني قصة).
١٥١- مرئية تلفزيون لبنان.
١٥٢- مرئية LBC.
١٥٣- مرئية المستقبل.
١٥٤- مرئية المستقبل تقديم ميشال القزي.
١٥٥- مرئية LBC.
١٥٦- من مرئية المستقبل، الساعة الثالثة من بعد ظهر الاثنين بتاريخ 2003/6/2، نشرة الأخبار.
١٥٧- مرئية LBC.
١٥٨- مرئية MTV.
١٥٩- مرئية المستقبل.

١٦٠- أذيع البرنامج في الساعة التاسعة والنصف مساءً من مرئية LBC الفضائية (يقدّم البرنامج مارسيل غانم، بتاريخ 2003/5/29.

١٦١- التنمية الثقافية للطفل العربي، د. عبدالله أبو هيف، ابتداء من ص 224، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

١٦٢- خطاب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد لحود في القمة العربية في عمّان كان بالعامّية اللبنانية.

١٦٣- راجع كتاب الإعلام: قراءة في الإعلام المعاصر والإسلامي، د. محمد منير سعد الدين، دار بيروت المحروسة، بيروت، 1998.

١٦٤- من مقال للدكتور رشاد سالم، بعنوان "اللغة العربية والإعلام" قدّم إلى مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة" الذي عقد في بيروت في المعهد الجامعي للدراسات الإسلامية بتاريخ 7-2002/4/8، ص576.

١٦٥- المرجع نفسه، ص580.

١٦٦- تشويه العقل العربي، حسن عبد الباري عصر، ص212، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1999.

١٦٧- انظر: "الثقافة العربية وعصر المعلومات"، د. نبيل علي، سلسلة "عالم المعرفة" الكويت، 2001.

١٦٨- مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، مجموعة باحثين، من بحث بعنوان "اللغة العربية وتحديات القرن الواحد والعشرين"، إبراهيم بدران، ص358،-359، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001.

١٦٩- "قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث"، عواطف عبدالرحمن، سلسلة كتاب "عالم المعرفة"، العدد 78، حزيران 1984، ص84.

١٧٠- اتقوا التاريخ أيها العرب، مقال للمحلل السياسي عبداللطيف الغزاني (اللغة العربية إحدى لغات المستقبل)، جريدة الصباح، تونس، تموز 1997.